

المبشرات

مَجَلَّةُ فَضْلِيَّةٍ مُحْكَمَةٌ

تُعْنَى بِعُلُومِ كِتَابِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
وَبِسِيَرَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِكْرِهِ

تَصَدَّرُ عَنْ

الْأَمَانَةِ الْعَامَّةِ لِلْعَتَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ

مُؤَسَّسَةِ عُلُومِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

مُجَاوِزَةً مِنْ وَزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ وَابْتِحَاحِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةً لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ - الْعَدَدُ السَّابِعُ

شَهْرُ شَوَّالٍ ١٤٣٩ هـ - حَزِيرَانَ ٢٠١٨ م



الترقيم الدولي: ISSN 2414-1313

العنوان: العراق - كربلاء المقدسة - شارع السدرة

مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢١٧٨ لسنة ٢٠١٦م

للمعلومات والاتصال

٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

البريد الإلكتروني: info@inahj.org

تنويه: إن الأفكار والآراء الواردة في أبحاث هذه المجلة تعبر عن وجهة نظر
كتّابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَكَلَّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ

(سورة يس، الآية: ١٢)

بطاقة فهرسة

IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda.

مصدر الفهرسة:

BP1.1 M83. V3. N7 2018.

رقم تصنيف LC:

٢٤١٤ - ١٣١٣

الرقم العالمي

للدوريات (ردمد):

المبين: مجلة فصلية محكمة تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره.

العنوان:

مؤسسة علوم نهج البلاغة، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة.

بيان المسؤولية:

الطبعة الأولى.

بيانات المطبعة:

كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - مؤسسة علوم نهج البلاغة، ١٤٢٨هـ = ٢٠١٧م

بيانات النشر:

مجلد.

الوصف المادي:

(مؤسسة علوم نهج البلاغة):

سلسلة النشر:

الوصف مأخوذ من: السنة الثانية، العدد الثالث (١٤٢٨هـ - ٢٠١٧م)

تبصرة دورية:

فصلية.

تبصرة دورية:

علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجرياً - سيرة - دوريات.

موضوع شخصي:

الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩ - ٤٠٦ هجرياً - نهج البلاغة - شرح - دوريات.

موضوع شخصي:

علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجرياً - أحاديث - دوريات.

موضوع شخصي:

البلاغة العربية - دوريات.

مصطلح موضوعي:

الإسلام - دوريات.

مصطلح موضوعي:

عقائد الشيعة الإمامية - دوريات.

مصطلح موضوعي:

الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩ - ٤٠٦ هجرياً - نهج البلاغة - شرح - دوريات.

مؤلف إضافي:

نهج البلاغة. شرح. دوريات.

عنوان إضافي:

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ISBN 978-9933-582-00-5



9 789933 582005

المُشْرِفُ العام

سماحة الشيخ عبدالمهدي الكركزي

المولي الشرعي للعبة الحسينية المقدسة

رئيس التحرير

السيد نبيق قزويني حيدر الحسيني

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

مدير التحرير

د. لواء عبدالحسين عظيمي

المديرة العامة للتربية - كربلاء

سكرتير التحرير

علي محمد علي

الهيئة الاستشارية

أ. د. صلاح مهدي الفرطوسي

جامعة الكوفة- العراق

أ. د. محمد جواد الطريحي

جامعة بغداد- العراق

أ. د. علي مهدي زيتون

الجامعة اللبنانية- لبنان

أ. د. عبد الهادي بن عمار غيلوفي

جامعة قفصة- تونس

أ. د. حاكم حبيب الكريطي

جامعة الكوفة- العراق

أ. د. حسن منديل العكيلي

جامعة بغداد- العراق

أ. د. أياد عبد الحسين الحفاجي

جامعة كربلاء- العراق

أ. د. سامي حمود الحاج جاسم

الجامعة المستنصرية- العراق

أ. د. جواد كاظم النصر الله

جامعة البصرة- العراق

أ. د. نجاح فاهم العبيدي

جامعة كربلاء- العراق

أ. د. حسين علي الشرهاني

جامعة ذي قار- العراق

أ. د. علي عبد الفتاح الحاج فرهود

جامعة بابل- العراق

هياة التحرير

أ. د. صالح كاظم عجيل الجبوري

جامعة الكوفة- مركز دراسات الكوفة

أ. م. د. عدنان ماردي جبر

جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ. م. د. حسن حميد فياض

جامعة الكوفة- كلية التربية الأساسية

أ. م. د. مصطفى كاظم شغيدل

جامعة بغداد- كلية الآداب

أ. م. د. فهد نعمة مخيلف البيضاني

جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ. د. يوسف كاظم الشمري

جامعة بابل- كلية التربية

أ. م. د. فليح خضير شني

جامعة واسط- كلية الآداب

أ. م. د. محمد حسين عبود الطائي

جامعة كربلاء- كلية العلوم الإسلامية

أ. م. د. عبد علي كاظم الفتلاوي

جامعة كربلاء- كلية العلوم السياحية

مراجعة النصوص العربية

م.م. عماد طالب الخزاعي

م.م. عمار حسن الخزاعي

م.م. علي عباس الربيعي

م.م. محمد حاكم الكريطي

الإدارة والمالية

زمان جعفر كاظم

أحمد عدنان المعمار

ترجمة

حسن علي عبد الأمير

الإخراج والتصميم

أحمد عباس مهدي

شروط النشر في المجلة

ترحب مؤسسة علوم نهج البلاغة بنشر البحوث والدراسات العلمية في مجلتها (المبين) وفقاً للشروط الآتية:

١. تنشر المجلة البحوث الأصلية الملتزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً، والمكتوبة بإحدى اللغتين العربية والإنجليزية.

٢. أن يكون البحث منسجماً مع هوية المجلة في نشر البحوث المختصة بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره في مجالات المعرفة كافة.

٣. يُقدّم الأصل مطبوعاً على ورق (A4) بنسخة واحدة مع قرص مدمج (CD) بحدود (١٠,٠٠٠-١٥,٠٠٠) كلمة، بنظام (WORD 2007)، وتكون الكتابة بحجم خط (١٦) للعنوانات، و(١٤) للمتن، و(١٢) للهامش، والتباعد بين الأسطر (١ سم)، ونوع الخط (Simplified Arabic) في البحوث العربية، و(Times New Roman) في البحوث الإنجليزية.

٤. يُقدّم ملخص للبحث باللغتين العربية والإنجليزية، كل منهما بحدود صفحة مستقلة على أن يتضمن عنوان البحث.

٥. يجب أن تتضمن الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث ولقبه العلمي ومكان عمله (باللغتين العربية والإنجليزية)، ورقم هاتفه وبريده الإلكتروني، مع مراعاة عدم ذكر المعلومات المذكورة آنفاً في صلب البحث.

٦. يشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في آخر البحث وتراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في التوثيق.

٧. يزود البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش، ويراعى في ترتيبها

- النظام الألفبائي لعنوانات الكتب أو أسماء المؤلفين، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تُخصّص لها قائمة منفصلة عن قائمة المصادر العربية.
٨. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة، ويُشار في أسفل الشكل إلى مصدره أو مصادره مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.
٩. أن لا يكون البحث منشوراً أو مستلاً، وليس مقدماً إلى أي وسيلة نشر أخرى، وينبغي أن يُشار إلى أن البحث غير مقدّم إلى مؤتمر أو ندوة، وإذا كان كذلك فيجب أن يكون غير منشور، وعلى الباحث تقديم تعهد مستقل بذلك كله.
١٠. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى.
١١. تعبّر جميع الافكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجّهات فنية.
١٢. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبِلت للنشر أم لم تقبل وعلى وفق الآلية الآتية:
- أ: يُبلِّغ الباحث بتسلّم المادة المُرسَلة للنشر.
- ب: يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع.
- ج: البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تُعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر.
- د: البحوث المرفوضة يُبلِّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- هـ: يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه وتخصّص مكافأة مالية للبحث المستكتب.

١٢. يُراعى في أسبقية النشر:

أ: البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الاصدار.

ب: تاريخ تسلّم رئيس التحرير للبحث.

ج: تنوع مجالات البحوث كل ما أمكن ذلك.

١٤. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، على أن يكون ذلك في مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.

١٥. يحق للمجلة ترجمة البحوث المنشورة في أعداد المجلة إلى اللغات الأخرى، من غير الرجوع إلى الباحث.

١٦. تُرسل البحوث إلى البريد الإلكتروني لمجلة المبين (info@inahj.org) أو

تسلم مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان الآتي:

العراق/ كربلاء المقدسة/ شارع السدرة/ قرب مقام علي الأكبر (عليه السلام)/

مؤسسة علوم نهج البلاغة.

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Babylon
scientific office Assistant
Department of Research and Development



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل

مكتب المساعدة العلمي
قسم البحث والتطوير

Ref. No.:

Date: / /

العدد: ١١٦٤٥
التاريخ: ١٧/٤/٢٠١٨

إلى / الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة / مؤسسة علوم نهج البلاغة
مكتبه الإداري / مركز بحوث وتطوير



١٤١١
٢٠١٦/٤/٢٨
تحية طيبة:

إشارة الى كتابك المرقم بالعدد ٥٨ في ٢٠١٦/٣/٢٢ والمحاق بكتابنا المرقم بالعدد ١٠٢٣٧ في ٢٠١٦/٤/١٨ نود احاطتك علميا بالموافقة على اعتماد مجلتك الموسومة (المبين) مجلة محكمة ومرصنة لاغراض نشر البحوث العلمية ومن قبل جامعتنا فقط مراجين لكه دوام الانزدهاسر والتوفيق مع الاحترام

أ. م. د. قحطان هادي الجبوري
مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية
٢٠١٦/٤/٢٨

صورة منه الى //

- مكتب السيد رئيس الجامعة مع الاحترام .
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية للتفضل بالاطلاع مع الاحترام .
- كلية الدراسات القرآنية مع الاحترام .
- قسم البحث والتطوير / مع الأوليات .
- الصادرة .



Babylon_research@yahoo.com
babylon_research@uobabylon.edu.iq

Researchdep@gmail.com
Researchdep@uobabylon.edu.iq

Ministry of Higher
Education
& Scientific Research
Wassit University

العدد: ١٢٦٠١
التاريخ: ٢٠١٦/١١/٢٤
المصادف:



((معا لمساندة القوات المسلحة لادحر الارهاب))

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة واسط
قسم البحث والتطوير

إلى / الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

م/ تحكيم مجلة علمية

تحية طيبة

إشارة إلى كتابكم ذي العدد/ ٤٨٧ في ٢٤/٨/٢٠١٦، نود إعلامكم بأنه تمت الموافقة على اعتماد مجلتكم الموسومة (المبين) مجلة محكمة رصينة لأغراض نشر البحوث العلمية من قبل جامعتنا .

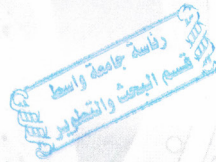
مع التقدير

أ.م.د. هاشم علي يسير
مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية

أ. م. د. هاشم علي يسير

مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية

٢٠١٦ / ١١ / ٢٤



نسخة منه الى/

- مكتب السيد رئيس الجامعة / للتفضل بالاطلاع لطفًا مع التقدير
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية والدراسات العليا / للتفضل بالاطلاع لطفًا مع التقدير
- قسم البحث والتطوير/ مع الاوليات
- البريد الالكتروني / لاتخاذ اللازم... مع التقدير
- الصادرة

الى

-mail: quality_dep@uowassit.edu.iq

www.univofwassit.org

Tel : 324186

Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education and Scientific Research
University of Thi-Qar
Bureau of University President



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ذي قار
مكتب رئيس الجامعة

Ref:
Date: / /

العدد / ٢٢٦٨
التاريخ ٢٠١٧ / ٣ / ١٣



الى / الأمانة العامة للمعتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

م / تحكيم مجلة علمية

السلامة والرفاهية والبيئة والتنمية
٢٠١٧ / ٣ / ١٣

إشارة السى كتابكم ذي العدد ٤٨٩ في ٢٠١٦/٨/٢٤ .
وبناءً على مصادقة مجلس الجامعة بجلسته العاشرة المنعقدة بتاريخ ٢٠١٧/٣/٦
نود إعلامكم بأنه تمت الموافقة على اعتماد مجلتكم الموسومة (المبين) مجلة محكمة ورسنية
لإغراض نشر البحوث العلمية من قبل جامعتنا.

٢٠١٧ / ٣ / ١٣

أ.د. رياض شنتنة جبر

رئيس جامعة ذي قار / وكالة

٢٠١٧/٣/١٢

نسخة منه إلى //

- السيد رئيس الجامعة للتفضل بالإطلاع . مع التقدير .
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون الإدارية . للعلم . مع التقدير .
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية . للعلم . مع التقدير .
- أماتة مجلس الجامعة . للعلم . مع التقدير .
- الكليات كافة . للعلم . مع التقدير .
- الصادرة .
- الحفظ .

بص حيت

العراق - ذي قار - الناصرية - المدينة الجامعية - المصطفاوية

university_of_thi_qar@yahoo.com

university.of.thiqr@utq.edu.iq

Ministry of Higher Education
And scientific Research
Misan university
Scientific Affairs Dept



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

رئاسة جامعة ميسان

مكتب المساعد العلمي

قسم الشؤون العلمية

No :
Date:

العدد : ٨٤٤ / ث
التاريخ : ٢٠١٧ / ١٢ / ١



﴿ بجيشنا والحشد الشعبي العراق أقوى وأمضى ﴾

(امر جامعي)

م / اعتماد مجلة

- اشارة الى كتاب امانة مجلس الجامعة المرقم (م . ج . ٥٧٢ س) في ٢٠١٧/١٠/١١ والمتضمن محضر الجلسة الاولى للدراسة الصباحية لمجلس جامعتنا للعام الدراسي ٢٠١٧/٢٠١٨ المتخذ بتاريخ ٢٠١٧/١٠/١ تقرر:
- قبول اعتماد مجلة المسين في الترفيقات العلمية في جامعتنا كونها تتبع الاساليب العلمية في نشر البحوث والمقالات العلمية حسب المادة (١٠) من تعليمات الترفيقات العلمية في الجامعات العراقية رقم (٣٦) لسنة ١٩٩٢.
 - اعتماد مجلة اعلاه لغرض الترفيقات العلمية ابتداءً من تاريخ ٢٠١٧/١٠/١.

١٤
رئيس الجامعة / وكالة
٢٠١٧/١٢/١

نسخة منه الى /

الإمامة العامة للعتبة الحسينية المقدسة / مؤسسة نهج البلاغة / كتابكم ذي العدد (٤٨٨) في ٢٠١٦/٨/٢٤.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير.

مكتب السيد رئيس الجامعة / للتفضل بالاصلاح مع التقدير.

مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية والدراسات العليا / للتفضل بالاطلاع... مع التقدير.

مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون القانونية والادارية / للتفضل بالاطلاع... مع التقدير.

لكليات كافة / مكتب السيد العميد / للاطلاع مع التقدير.

قسم الشؤون العلمية / شعبة البحوث العلمية... مع التقدير.

لجنة الترفيقات المركزية

شعبة البريد المركزي / الصادر.

www. Vomisan .edu. iq

q-mail: sci.dept@ . Vomisan .edu. iq



الافتتاحية:

حضارة الكلمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والصلاة والسلام على خير النعم وأتمها محمد وآله الأخيار الأطهار.

أما بعد:

فإن لكل أمة حضارتها التي تفتخر بها على غيرها من الأمم، ولكل حضارة رجالها الذين بنوها بالفكر والعمل والجد والاجتهاد، ولكل حضارة شواهدا الشامخة وعلاماتها القائمة، وهي تحاكي الأجيال على كرور الأيام أن هاهنا كانت أمة.

ولكن ليس كل من رأى حضارة أمة تفكر في حالها، واعتبر بأخبارها وأقول نجما، ولم يبق منها سوى مواضع الأطلال، تصهرها أشعة شمس النهار، وتغزوها الأمطار، وتدب حالها الأطيوار التي اتخذتها أوكارا لأعاشاشها، ومأوى لفراخها، وكأن قدرها قد حتم عليها أن لا يلحظها سوى فراخ هزيلة، وزواحف دخيلة، تجوب شقوق جدران هياكل الحضارة، وهي تؤز بأصواتها لتدعو الإنسان أن هاهنا كانت أمة.

ولكننا هنا في حضارة ليست كغيرها من الحضارات، فشموخها قائم في الأذهان وعلاماتها حاضرة في القلوب، وهياكلها تشد الأرواح لتنفو إليها أسيرة لأمرها، ومنقادة لنهبها تففو على المعنى هنا، وترتشف الدلالة هناك، وتنتشي العبرة هنالك، فضلا عن حيرتها في نسق التعبير وجمالية المغزى وقوام الجملة، إننا في حضارة الكلمة، كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام)، تلك الحضارة التي عجزت عن محوها الأنداد من الأعراب والأعاجم، فتكسرت على جدران حقائقها المعاول، وتقهقرت بساحات معارفها الفطاحل، ويئست عن بلوغ مغزاها الأعاضم.

لأنها حضارة الكلمة.. كلمة أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) الذي لم يزل صدى دعوته مردداً «أن هاهنا علماً جمأ لو أصبت له من حملة».

ومن هنا: اتخذت مؤسسة علوم نهج البلاغة منهجها في النهوض بهذا

التراث المعرفي الذي اكتنزه كتاب نهج البلاغة، فقامت بتأسيس مجلة علمية فصلية مُحَكَّمة مُعْتَمَدة لأغراض الترقية العلمية في المجال الأكاديمي، تهدف إلى استنهاض الأقلام العلمية والفكرية للارتشاف من معين علوم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وكتاب نهج البلاغة الذي يعد بوابة يلج منها أهل الفكر والبحث إلى حضارة الكلمة، كلمة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقرآنه الناطق علي بن أبي طالب (عليه السلام).

لذا:

تدعو أسرة (مجلة المبين) المفكرين والباحثين في الجامعات والحوارات العلمية إلى الكتابة فيها والإسهام في ردها بالأبحاث العلمية والدراسات المعمّقة؛ ليدلوا بدلائهم في رياض معين حضارة الكلمة الفيضة فتنتشي الأرواح، وتقر العيون، وتأنس النفوس، وهي تجوب بين أروقة علومها العديدة، وحقول معارفها الجمّة.

ولا سيما أنّ (المبين) تُعدّ أوّل مجلة علمية محكمة في العالم الإسلامي مختصة بعلوم كتاب نهج البلاغة، وسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره. سائلين الله تعالى التوفيق والتسديد لإدامة هذا الصرح المعرفي، ونسأله بلطفه وسابق رحمته، وخير نعمه وأتمها محمد وآله أن يديم علينا فضله وفضل رسوله الكريم وهو القائل وقوله حق ووعد صدق:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ الاسراء - ٥٩ - .

اللهم إنا إليك راغبون ولفضلك وفضل رسولك سائلون، والحمد لله رب العالمين...

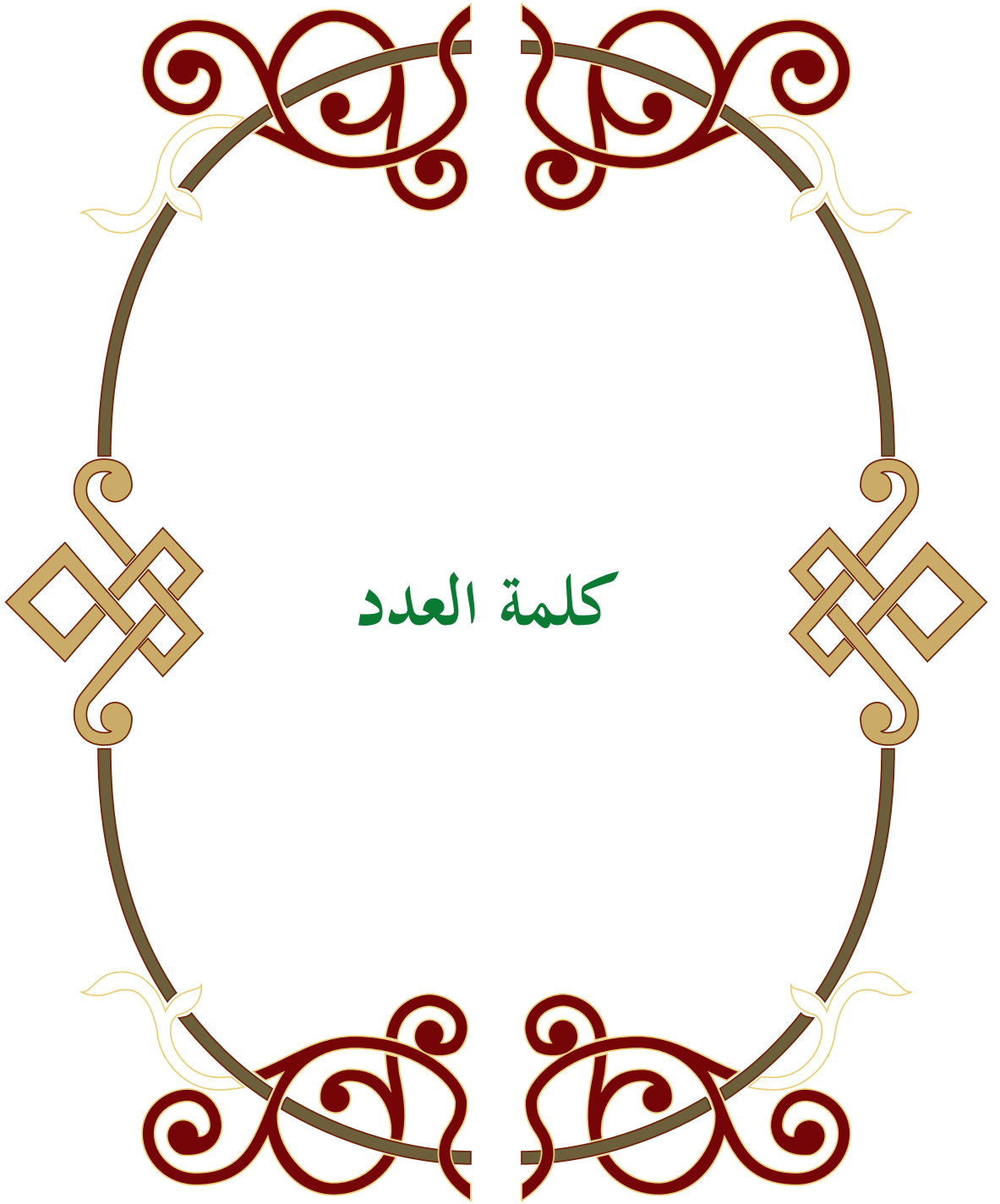
رئيس التحرير

المحتويات

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث
--------	-------------	------------

٢١	كلمة العدد	السيد نبيل الحسني رئيس التحرير
٢٤	ملف العدد	الخطاب الديني وأثره التربوي في نهج البلاغة
٢٥	جدلية الذوات في الخطاب العلوي، قراءة إنسانية	أ.م.د. حازم طارش حاتم كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة
٤٩	إنسانية الخطاب العلوي قراءة معرفية في الأبعاد القيمية	م.د. آمال خلف علي آل حيدر كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة
٧١	النسق القيمي التكاملي، أثره الإصلاحي في مستوى تشكيل الذات السلوكية للمجتمع بحث في ضوء عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمته)	أ.م.د. ضياء عزيز الموسوي جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية أ.م.د. مكي فرحان كريم جامعة القادسية / كلية التربية
٩٣	الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحي في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً	أ.م.د. أنسام غضبان عبود الباهلي كلية الآداب - جامعة البصرة م. قاسم عبد سعدون الحسيني كلية التربية / جامعة ميسان

- الأستاذ المتمرس
الدكتور حاكم حبيب الكريطي
الكلية الإسلامية الجامعة
النجف الأشرف
- صفات القضاة والولاة
في نهج البلاغة، قراءة تأويلية
- ١٣٧
- م. د. د. حميد يوسف إبراهيم
م. حكيم موحان عواد
كلية العلوم الإسلامية
جامعة ذي قار
- البعد التداولي
في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)
- ١٧٩
- أ. م. د. كاظم حسن الفتلاوي
الكلية التربوية المفتوحة / كربلاء
م. م. حيدر رمضان الاسدي
المديرية العامة لتربية كربلاء
- أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام)
في تأصيل قواعد علوم القرآن
دراسة في نهج البلاغة
- ٢١٩
- م. د. عدنان عباس البطاط
م. م. اركان حسين التميمي
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)
للعلوم الإسلامية
- السؤال
ودوره في الإثراء المعرفي دراسة في ضوء نهج البلاغة
- ٢٦١
- أ. د. علي عباس الأعرجي
كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة
- نافذة المبين:
تحقيقات لغوية
للمختلف من نسخ نهج البلاغة
القسم الأول
- ٢٩٧



كلمة العدد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا
أَلْهَمَ، وَالثَّنَاءُ بِمَا قَدَّمَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ
الْأَنَامِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْمُنْتَجِبِينَ، وَحُجَجِهِ
عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد:

فإنَّ الخطابَ الدِّينيَّ اليومَ قد شهدَ تمايزاً
واضحاً في المستوى المعرفي والعلمي، ولاسيما في
الحقلِ التَّربويِّ والإصلاحِ المبنيِّ على أُسسٍ
قرآنيةٍ ونبويَّةٍ، وإنَّ خيرَ وسيلةٍ لمعرفةِ هذه
الأُسسِ هي الإرثُ الروائي، الذي زَخَرَتْ بِهِ
مصنَّفاتُ علماءِ المدرسةِ الإمامية، ولاسيما كتاب
نهجِ البلاغة، فقد شكَّلَ خطابَ أميرِ المؤمنين
(عليه السلام) في حقلِ تربيةِ النفسِ وتقويمِ السلوكِ
وبناءِ الإنسانِ منهجاً متكاملًا وإنَّ جاءَ في

بعض موارده بالأصول، وفي بعضها الآخر بالبيان التفصيلي؛ لما يرتبط بهذا الجانب أو ذاك من أهميّة بناءة للنفس.

لذا قد لا يخلو خطاب من خطبه وأحاديثه من توجيه بنائي وقيمي وتربوي للنفس الإنسانية، ومجال تحركها في الدائرة الفردية أو الأسرية أو الاجتماعية؛ ليكتمل بذلك مشروع الإصلاح للإنسان والمجتمع، وهذا ما حاولنا عرضه وبيانه في ملف العدد الموسوم بـ (الخطاب الديني وأثره التربوي في نهج البلاغة)

رئيس التحرير

ملف العدد

المخاطبُ الدِّيني وأثرُهُ التَّربويُّ في نهجِ البلاغةِ

* جدلية الذوات في الخطاب العلوي
قراءة إنسانية

* إنسانية الخطاب العلوي
قراءة معرفية في الأبعاد القيمة

* النسق القيمي التكاملي
أثره الإصلاحي في مستوى تشكيل الذات السلوكية للمجتمع
بحث في ضوء عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمته الله)

* الخطاب الوعظي وهدفُهُ الإصلاحي
في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجا

جدلية الذات في الخطاب العلوي قراءة إنسانية

The selves dialectic in Imam Ali (peace be upon him)
Humanitarian readin

أ.م.د. حازم طارش حاتم
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)
للعلوم الإسلامية الجامعة

Dr. Hazem Tarash Hatem, Associate professor,
Imam Kadhim (peace be upon him)
university college of Islamic sciences

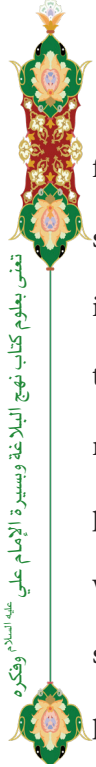
ملخص البحث

يسعى البحث إلى الكشف عن إنسانية الإنسان في الخطاب العلوي من زاوية طرفي الخطاب؛ لأنَّ الخطاب العلوي خطاب قيمي تقويمي، وزاوية النظر تخلق تعارضاً قيمياً، ولَّد هذا التعارض جدلاً قيمياً، كشفَ عن المنظومة المعرفية لطرفي الخطاب، وهذا التجاذب في القيم المتناقضة، مثَّل صورةً من صور الجدل، فضلاً عن صورة الجدل في الذات الواحدة التي تشكلت عنها ذاتاً أخرى، وهذا الانفصال كان بسبب تغير المواقف التي تستدعي ثبات القيم مع تغير المواقف، فالمبادئ المعلنة قد لا تجد لها مكاناً في التطبيق؛ لأن المبادئ لا تتركز على ثوابت معرفية أخذت حيزها في النفس، بل أريد بها منافع دنيوية، وهذا مما استظهر نزاعاً في الذات الواحدة، صورة نزاع القيم المعلنة، وتخاذل القيم في المواقف.



Abstract

The research seeks to reveal for humanity of man in Imam Ali speech from the perspective of the both sides of the speech because Imam Ali speech is a correctional valuable speech and the perspective creates a valuable incompatibility. This incompatibility generated a valuable contention detect the knowledge system and this tension between the contradictory values represents a pictures from contention pictures as well as the contention picture in one self which forms from itself another self and this separation was because of variability of situations which require stability of values with situation changing. The principles enunciated don't be applied because the principles don't based on the constants knowledge take its place in the soul but intended to worldly benefits and this leads to conflict in the one self the picture of conflict of principles enunciated and inaction the values in situation.



توطئة

بالمفهوم، فضلاً عن المنطلقات التي تأسس هذه المفاهيم وبواعثها التطبيقية التي تشكلت في الخطاب العلوي.

فالبحث يسعى إلى الكشف عن هذه المفاهيم الإنسانية بشقيها المتولدة من طرفي الخطاب، التي تمثل التناقض في الحد والمفهوم؛ لأن التغيرات بغير المنطلقات والركائز، فضلاً عن الفهم، والمنطلقات الإنسانية التي يدفع بها الإمام علي (عليه السلام) هي منطلقات أساسها القرآن، تنشده التكامل والرقى للإنسان، وتسعى إلى تجنبه المهالك، وبهذا الوعي تشكل الخطاب العلوي، وهو بذلك يجادل المفاهيم الإنسانية الواطئة التي تشكلت في نفس المتلقي، وحكيت سلوكه، والخطاب العلوي يحكي عملية الجذب بين المفاهيم، ولاسيما أن الخطاب العلوي يستعرض هذه المفاهيم على وفق

كشف أصول الخطاب العلوي في ضوء نظرية التلقي، ترسم لنا أبعاد نظرية التواصل التي يحققها الخطاب في ضوء ملابسات السياق الثقافي الخارجي، الذي تتغير به أصول المخاطبات؛ لأن مقتضيات الخطاب تستدعي ذلك، فظروف نشأة الخطاب، تحكي أهداف الخطاب، والغايات التي يرمي إليها، ولاسيما أن الخطابات وظيفتها الأساسية التأثير في المتلقي، وهنا يأشر نقطة الخلاف بين طرفي الخطاب في القضية المطروحة؛ ولاسيما أن الخطاب العلوي خطاب كوني، وأن تمثل بشكلها الخاص في مخاطباته، إلا أنه محمولاته الإنسانية ذات الأبعاد الإرشادية، والأساليب الإقناعية الحجاجية، كشفت عن جدلية الذوات المعبئة بالقيم الإنسانية غير أن هذه المفاهيم الإنسانية تتغير



جدلية المواقف بين أطراف الخطاب التي شكلت الخط البياني في استظهار القيم النبيلة التي تستدعيها المواقف، وهذه المواقف بالمقابل تظهر قيم تضاد قيم النبل، وهذا التقابل بين القيم يحكي الصور الإنسانية، المغايرة في المفهوم بين الذوات المتحاورة، والبحث يكشف عن مسوغات حركة الإنسان- المصلحة- التي تشكل المفهوم الإنساني.

المطلب الأول

قيم الذوات المتجادلة وأبعادها

الإنسانية

المنظور الإنساني منظور قيمى، وهذه القيم متنوعة تُسم في بناء إنسانية الإنسان، على هذا الأساس أن التجادل بين الذوات جدال قيمى، بواعثه المنظومة المعرفية التي تستند إليها الذات المتجادلة، وهذا ما عكسه الخطاب العلوي القائم على الدعوة الإنسانية قال أمير

المؤمنين (عليه السلام): «أما بعد، فإنَّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة، وتعقب الندامة، قد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأبي، لو كان يطاع لقصير أمر! فأبئتم عليّ إباء المخالفين الجفأة، والمنابذين العصاة، حتّى ارتاب الناصح بنصحه، وضمّن الزند بقده، فكنّتُ أنا وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى

فلم تستبيحوا النصح إلا ضحى»^(١).
يستهل أمير المؤمنين (عليه السلام) خطابه بمقدمة «كلية كبرى»، يبنى عليها استدلاله الحجاجي الإقناعي من أجل إيقاع الأثر في السامع، فضلاً عن ذلك توليد قوة إنجازية تمثل فعلاً غير مباشر إزاء «الناصر»، وهو القبول والرضا، فقلوه (عليه السلام) «إنَّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب



جدلية الذوات في الخطاب العلوي قراءة إنسانية.....

الندامة» (مقدمة كبرى)، ثم ينتقل من هذه الكبرى إلى «المقدمة الصغرى»:

١. كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري.

٢. ونخلت لكم مخزون رأيي.

٣. لو كان يطاع لقصير أمر.

وهنا يستظهر الخطاب العلوي

القيم الإنسانية التي تمثلت في «النصح»، الذي يستبطن الخير

والحب للآخرين، لاسيما أن «الناصح»

عالم ومجرب ومشفق، ويستلزم

قبول قوله، والعمل بنصيحته، غير

أن جدلية القيم تظهر في المخالفة

«الناصح»؛ لأنهم «مخالفين» و«جفاة»،

و«منابذين» و«عصاة»، فصار حاله

حال «قصير بن سعد اللخمي»

مولى جذيمة الأبرش ملك على

شاطئ الفرات، وكانت الزبباء ملكة

الجزيرة، وكانت من أهل باجرمي،

وكانت تتكلم العربية، وكان جذيمة

الندامة

قد وترها بقتل أبيها، كتبت إليه أنها لم تجد ملك النساء إلا قبيحاً في السماع وضعفاً في السلطان، وأنها لم تجد لملكها موضعاً ولا لنفسها كفواً غيرك فاقبل إليّ لأجمع ملكي إلى ملكك، وأصل بلادي ببلادك وتقلد أمري مع أمرك تريد بذلك الغدر، فلما أتى كتابها جمه جذيمة أهل الحجا والرأي من ثقاته، فعرض عليهم ما دعته إليه، فاجتمع رأيهم على أن يسير إليها فيستولي على ملكها، وكان فيهم قصير فخالفهم فيما أشاروا به، وقال: رأي فاتر وغدر حاضر، فلم يوافق جذيمة، فهلك^(٢)، واستحضر

الذاكرة التاريخية في ذهن المتلقي يولد تكثيفاً في الدلالات، فضلاً عن القيم المتقابلة التي شكلت جدلية

في المنظومة المعرفية لطرفي الخطاب،

والأمام علي (عليه السلام) يستظهر حاله

مع القوم «فكنتُ أنا وإياكم كما قال

أخوهوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى

فلم تستبيحوا النصح إلا ضحى». وهذا الاستظهار هو استظهار للقيم التي استدعاها المقام، ومظاهر هذا الاستدعاء «أنا» و«إياكم» في ذلك بعد أشاري يأشر المقابلة بين القيم التي شكلت صراعاً بين المتخاطبين، وهذا ما كان واضحاً في الاستشهاد الشعري.

وقال (عليه السلام) في ذم المتقاعسين عن الجهاد: «يا أشباه الرجال ولا رجال! حُلُومُ الأطفال، وعقول ربّات الحجال لو وددتُ أني لم أراكم، ولم أعرفكم معرفةً. والله. جرّت ندماً، وأعقت سدماً قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التّهام أنفاساً، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب»^(٣).

أ. م. د. حازم طارش حاتم يستفتح أمير المؤمنين (عليه السلام) خطابه بالنداء، ويستعمل أداة «يا» التي تستعمل للقريب والبعيد، ودلالاتها في الخطاب للبعيد، لغاية حجاجية يريد الكشف عن حالة التذمر وعدم القبول على القوم ثم يأخذ بالتعريف بهم: أشباه الرجال ولا رجال! حُلُومُ الأطفال.

وعقول ربّات الحجال.

والقيمة التي يظهرها الخطاب العلوي «فساد الرأي» و«العصيان» و«الخذلان»، التي هي نتاج عدم الدراية والمعرفة، التي جادلت قيم المعرفة والدراية بشؤون الحرب التي تكفل للإنسان إنسانيته وتحافظ عليها التي تمثلت بالقيم التي عرضها أمير المؤمنين (عليه السلام)، التي تبين ما على الإنسان القيام به إلا أن قيم «الخوف» و«حب الدنيا» أذهبت بالإنسان على خلاف ما يقتضيه



جدلية الذوات في الخطاب العلوي قراءة إنسانية.....

الخطاب

يعرضها الخطاب قيمة توحيدية أساسية تمثل ركيزة أساسية في معتقد الإنسان إلا وهي «التوكل على الله»، وهذا ما أثبتته الخطاب في قوله «سيروا على اسم الله»، وهو بذلك يثبت قيم للإنسان أبعادها تكاملية تتشكل في بناء الجانب الروحي؛ لهذا جاء التنبيه والتحذير من فقدان هذه القيمة بإتباع «تعلم النجوم» التي هي باب إلى «الكهانة»، وهذه القيمة تحط من قيمة الإنسان؛ لهذا نجد بأن الخطاب تشكل بشكل استدلالي:

الكاهن كالساحر «مقدمة كبرى»

الساحر كافر «مقدمة صغرى»

الكافر في النار «النتيجة»

وهذا التقابل القيمي بين «مدعي الغيب» والذي «يتوكل على الله»، يولد بعداً إنجازياً «اتركوا الكهانة»، وهنا تقع الجدلية القيم التي تمثل الأبعاد المعرفية لطرفي الخطاب.

وفي خطبته (عليه السلام) التي يستنفر

العقل والعلم والمعرفة، مما أفقده إنسانيته، وهذا الصراع القيمي ينضح بعبارة الخطاب العلوي «وددتُ أني لم أراكم، ولم أعرفكم معرفةً. والله، ... ، قاتلكم الله!»، وأمير المؤمنين (عليه السلام) ينأى بنفسه عن هؤلاء القوم الذين فقدوا إنسانيتهم، بفقدهم القيم، التي أكدها بقول قريش: «إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب».

وقال (عليه السلام) لأصحابه عندما عزم على المسير إلى الخوارج «أيها الناس، إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في برّ أو بحر، فإنها تدعو إلى الكهانة، والمنجم، كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار سيروا على اسم الله»^(٤).

مقتضيات الخطاب استدعت من المتكلم التنبيه «أيها»، فضلاً عن التحذير «إياكم»؛ لأن القيمة التي

الناس فيها لمحاربة أهل الشام من قول: «أفُّ لكم! لقد سئمت عتابكم! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذل من العز خلفاً؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكمهم كأنهم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة، يرتج عليكم حوارى فتعمهون، وكأنَّ قلوبكم مأنوسة فأنتم لا تعقلون»^(٥). في هذا النص تويخ وضجر من أعمالهم وأفعالهم فقوله (عليه السلام) «أفُّ لكم!» أي تباً، واللام في «لكم» لبيان المتضجر لأجله^(٦)، ثم يعول على طاقة الاستفهام الإقناعية التي في الغالب على الضمني لا على الصريح، وهذا الأمر أهتم به ديكرو في «نظرية المسألة» حيث بين أن الافتراضات الضمنية هي التي تجعل منه أسلوباً حجاجاً؛ لأن الإجابة مهما كان نوعها لا بد من أن تسلم بتلك الافتراضات^(٧)، فالافتراض

في الخطاب يقتضي «الإنكار» وهذا يمثل الحجة؛ لأن الاستفهام خرج من دلالاته الأصلية طلب الجواب إلى دلالاته المجازية.

أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟

وبالذل من العز خلفاً؟.

وهنا تتضح القيم المتضادة المتجادلة بين «الحياة الدنيا» و«الحياة الآخرة»، وبين «الذل» و«العز»، التي ترسم الخط التكاملي في بناء الدائرة الإنسانية للإنسان المؤمن، بخلاف الذين اتخذوا القيم المذمومة التي ترسم مستوى الهبوط الإنسانية؛ لذا شبههم تشبيهاً مركباً، فمرة بأن أعينهم تدور حيرة وتردداً وخوفاً من أحد أمرين: إما مخالفة دعوته للجهاد، أو الإقدام على الموت، وفي كلا الأمرين خطر، ثم شبه حالتهم تلك في دوران أعينهم وحيرتهم بحال المغمور في سكرات الموت، الساهي



يحمل دلالة النفي والتقرير بحسب تصنيف «سيرل» تكمن قوته الإنجازية في إعلان الحجة على المخاطب^(١٠)، بعدما استعمل الاسم الصريح، ثم غاير بعد ذلك بقوله: «يا أشباه الرجال»، وهذا التغاير ما

هو إلا تغاير في القيمة، والذي تمثل في سلوكه الخارجي في «التجمع» و«التفرق»، وهذه الجدلية في القيم كانت كمقدمة أولى لتقديم الحجة على المخاطب، وإلزامه بها مستعيناً بالصورة التشبيهية بيان انفراج الصحابة عن ابن أبي طالب (عليه السلام) في المعركة، بانفراج المرأة عند الولادة، وفي ذلك كناية عن العجز والدناءة في العمل^(١١)، وهذا مما ولد فعلاً إنجازياً توبيخياً، ثم استعمل الضمير الاشاري في موضعين:

١. إني لعلی بینة من ربي، ومنهاج من نبي.
٢. وإني لعلی الطريق الواضح

فيها عن حاضر أحواله المشغول بما يجده من الألم، وهذا التشبية التمثيلي مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^(٨).

وقال (عليه السلام) في توبيخ أصحابه من أهل الكوفة على التباطؤ عن نصره الحق: «يا أهل الكوفة، ...، يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها! كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر، ...، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها، إني لعلی بینة من ربي، ومنهاج من نبي، وإني لعلی الطريق الواضح أَلْقَطُهُ لِقْطاً»^(٩).

المقتضى القولي استلزم من المخاطب استخدام النداء، لغرض حجاجي تنبيي المخاطب ولفت انتباهه بما يجب عليه، فالمضمون القضوي للفعل القولي بأن المخاطبين «ليس رجال»، فالخطاب



ألقطه لقطاً.

وهنا جدلية القيم التي تظهر، لاسيما في الاستعمال البعد الاشاري الذي يميل إلى ذات أخرى، تتقاطع معها في القيم^(١٢)، ويرمي القول إلى إلزام المخاطب بالحجة التي مفادها: بما أني لعل بينة من ربي، ومنهاج من نبيي، وأني على الطريق يجب أن لا تفرقوا عني؛ لأن في ذلك خسران؛ لأنهم فقدوا عقلاً مدبراً ورئيساً بارزاً، فشبههم بالانفراج، وبما أن التمثيل يقوم على أساس المشابهة بين جمهور المسلمين بين العلاقات، فإن علاقة جمهور المسلمين بالإمام علي (عليه السلام) علاقة تتسم بالخوف من الجهاد^(١٣).

وقوله (عليه السلام) في ذم المتفاعسين عن القتال: «دعوتكم إلى نصر إخوانكم، فحرجتم جرجرة الجمل الأسر، وثاقلتم ثاقل النضو الأدبر، ثم خرج إلي منكم جنيد، متدائب

ضعيف ﴿كأنما يُساقون إلى الموت

وهم ينظرون﴾^(١٤)»^(١٥).

تقابل القيم في الصورة التشبيهية بين الدعوة إلى «النصرة» و«التخاذل» من قبل القوم، تمثل في حالهم بحال الجمل المصاب بالقرعة الذي يردد صوتاً قبيحاً، وبحال البعير الهزيل المعقور عندما ينهض متثاقلاً، ويسير متثاقلاً، ثم يوظف النص القرآني في بيان حال القلة التي خرجوا بها إلى الحرب، وفي هذا دليل على الضعف والتخاذل، وهذا التجاذب بين القيم أخذ يشكل ملامح الإنسانية لدى طرفي الخطاب في ضوء المباني المعرفية التي يركز كلا الطرفين، لاسيما أن المتكلم مبانيه قرآنية.

ولجوء المتكلم إلى «القانون الإخبار» من المكونات الأساسية في عملية التواصل، وعملية تزويد المتلقي بالمعلومات تجعل هذه المعلومات حجة على المتلقي^(١٦):



فجر جرتم جرجرة الجمل الأسر .

وثاقلتم ثاقل النضو الأدبر .

ثم خرج إلى منكم جنيد، متذائب
ضعيف .

وفي قوله «إخوانكم» ترغيباً لهم
على القتال، وبث الحمية في نفوسهم،
ومن فاعلية الخطاب العلوي تضمين
النص القرآني على سبيل صورة
المشبه به، وهذه سمة أسلوبية للإمام
(عليه السلام) (١٧).

المطلب الثاني

جدلية التقابل الإنساني في الخطاب

العلوي

السياق الخارجي هو الحاكم في
رسم أسلوبية الخطاب، لاسيما إذا كان
غرض المخاطب أيقاع الأثر، فضلاً
عن سرعة الإنجاز، وحتى يكون
ذلك أُنخذ المخاطب «التقابل» مسلكاً
لتوليد التفاعل المعرفي الإنساني؛ لأن
التقابل «تضاد» في المعاني (١٨)، قال ابن
الأثير: (واعلم أنّ في تقابل المعاني باباً

عجيب الأمر، يحتاج إلى فضل تأمل،
وزيادة نظر وتدبر، ...، وهذا الباب
ليس في علم البيان أكثر نفعاً منه،
ولا أعظم فائدة) (١٩).

وأسلوبية الخطاب العلوي
وظفت هذا التقابل في استظهر
القيم الإنسانية المتقابلة التي تحكي
الأبعاد المعرفية للذوات المتحاورة
التي شكلها أمير المؤمنين (عليه السلام)
في خطابه، فقلوه: «ولقد بلغني أنّ
الرجل منهم كان يدخل على المرأة
المسلمة والأخرى المعاهدة، فيتزع
حجلها وقلبها، وقلائدها ورُعْثها،
...، فلو أنّ امرأً مسلماً مات من
بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل
كان عندي جديراً، فيا عجباً! عجباً
والله يُميتُ القلب، ويجلب لهم من
اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم
وتفرقكم عن حقكم! فقبحاً لكم
وترحاً، حين صرتم غرضاً يُرمى
يُغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا

أ. م. د. حازم طارش حاتم «تَعْزُونَ، وَيُعْصِي اللهُ وَتَرْضُونَ!» (٢٠).

ومع بشاعة هذه الصورة وقباحة منظرها، التي تجسدت بأصل فعلهم التطبيقي نجد «اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم!»، والبدا الحق يقتضي عكس ذلك الفعل، وهذا ما يفسر وجه التعجب من قبل الإمام (عليه السلام) «فيا عجباً! عجباً والله يُمِيتُ القلب»، و«يجلب الهم»، لا بل توجيه القول مباشرة، وفضحهم، وفي ذلك حجة عليهم، وقطع الطريق عنهم:

حين صرتم غرضاً يُرمى يُغار عليكم ولا تغيرون. وتُغزُونَ وَلَا تَغزُونَ. وَيُعْصِي اللهُ وَتَرْضُونَ.

واستعمال هذه التقنية «الوقائع والأحداث التاريخية» لبيان فضاغت الفعل، ووضاعة القيم ودناءتها، التي يحملونها، ثم يرتب الإمام (عليه السلام) على هذه الإحداث والوقائع حدثاً يمثل مقدار القبح «فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان عندي جديراً»، وهذه المواجهة بين القيم ولدت صورة عن الهيئة التي كانوا عليها القوم، وبشاعة هذه الصورة،

وهذه نتيجة في نفس الوقت صدرها الإمام (عليه السلام) في خطابه إلى المتلقي الحاضر، والغائب الكوني، وهي دعوة إلى الابتعاد «عن قبائح الأفعال» لاسيما التي تنافي الإنسانية؛ لأن الخاسر في ذلك هو الذي قام



جدلية الذوات في الخطاب العلوي قراءة إنسانية.....

بالفعل، وليس الذي وقع عليه الفعل.

وقال (عليه السلام) في الخوارج: «كلمة حق يُراد بها باطل! نعم إنه لا حُكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله، وإنه لا بدّ للناس من أمير برٍّ أو فاجرٍ يعمل في أمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر»^(٢١).

ارتدادات الحق على لسان المدعين، يراد منه إيهام العامة، فضلاً عن تحسين الصورة الخارجية لهم، بمعنى الحفاظ على الصورة الإنسانية الطالبة للحق، وهذه القيمة الإنسانية ثبتها الإمام (عليه السلام) «نعم إنه لا حُكم إلا لله»، ولكن هذه الدعوة من قبل المدعين كانت باطلة؛ لأنهم لا يعملون بها، ولا يسيرون عليها،

وهنا جاءت الإشكالية القيمية بين «الإدعاء»، و«الواقع»، وهذا يخلق تناقض وصراع داخلي، الكاشف عنه السلوك التطبيقي العملي الذي

الإنسان

هو خارج «الإدعاء»، والمسوغ لهذه الدعوة «لابدّ للناس من أمير برٍّ أو فاجرٍ»، وهم بذلك يريدون أن يقولون بحسب القول المضمّر «لا يشترط إمامة الإمام علي (عليه السلام)»؛ كونه عادلاً، فتداخل القيم عكس حجم الصراع فيما بين الحقيقتين الواقعية وخلافها، عاماً أن نتاج هذا الصراع الداخلي في المواقف المختلفة جعلت القيم تناقض السلوك الذي يمثل المنطلقات المعرفية للأشخاص التي تشكل جوهر القناعات، التي في ضوئها يتشكل السلوك الخارجي الذي يتعد دائرة الإنسانية، والخطاب في طياته يستلزم فعلاً إنجازياً «التنبية والحث على الإمساك بالحق قولاً وفعلاً».

وقال (عليه السلام): «ما أنتم لي بثقةٍ سَجيس الليالي، وما أنتم بركنٍ يُمال بكم، ولا زوافر عزٍ يفترق إليكم. ما أنتم إلا كإبل ضلَّ عنها رُعاتها،

فكلما جُمعت من جانب انتشرت من آخر» (٢٢).

يكشف الوعي في بعده التداولي عن الجوانب الإثباتية التي تحملها المحمولات الخبرية في صياغاتها المنفية، ويمكن بيان ذلك:

ما أنتم لي بثقةٍ سَجِيسِ الليالي. —
أنا لا أثق بكم، وأنتم ليس أهل للثقة.

وما أنتم بركنٍ يُمال بكم. —
أنا لا اعتمد عليكم، وأنتم ليس أهل لأن يعتمد عليكم

ولا زوافر عزٍ يفترق إليكم
ما أنتم إلا كإبل ضلَّ عنها رُعاتها. —

أنتم قوم لا تملكون عقلاً، فتفرقتم عن الحق.

كشف القناع عن القيم في الخطاب

العلوي، لاسيما الخطاب الموجه إلى الناس ينصحهم إلى الطريق السديد

يرسم في بعده الإجرائي دعوة إلى هذه القيم؛ كونها تشكل قيماً إنسانية، فضلاً عن أنها تكشف عن المضادات

لهذه القيم التي شكلت وجهها لوجه

جدلاً قيمياً، وهذا الجدل له أبعاد

حجاجية تريد تصدير خطاباً إعلامياً يعلن فيه عن «القيم الإنسانية» التي تحفظ هوية الإنسان، وترسم الملامح الحقيقية للإنسان.

وقال (عليه السلام): «والله لا أكونُ كالضَّبَعِ: تنام على طول اللِّدَمِ، حتَّى يصل إليها طالِبُها، ويختلها راصدُها، ولكني أضرب بالمُقْبِلِ إلى الحق المدبر عنه، وبالسامع المُطِيع العاصي المُريب أبداً، حتَّى يأتي عليَّ يومي» (٢٣).

افتتاح الخطاب بالتوكيد بالقسم أعطى طاقة حجاجية عالية، وأنتج

مفهوماً دلاليًا هدم فيه الأفكار والآراء التي تشكل عالم خطاب

الخصوم في صيغته: (ليس ق «قضية» ب «صادقة») (٢٤)، والمفهوم الذي

هدمه الخطاب (لا أكونُ كالضَّبَعِ)، التي (تنام على طول اللِّدَمِ، حتَّى يصل إليها طالِبُها، ويختلها راصدُها)،

تتمنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره



جدلية الذوات في الخطاب العلوي قراءة إنسانية.....

المبني

أخذت تتجادل معها، فتولد الجدل المبني على القيم المعرفية التي تملكها الإنسان، وبرز في الجانب السلوك العملي الخارجي الذي يمثل المرأة العاكسة للمعطيات الداخلية للفرد الإنساني.

وقال (عليه السلام): «يزعم أنه قد بايع بيده، ولم يُبايع بقلبه، فقد أقرَّ بالبيعة، وادّعى الوليجة، فليأت عليها بأمر يُعرف، وإلا فليدخل فيما خرج منه»^(٢٧).

يستند المتكلم على تقنية «طرائق الفصل أو الانفصال»، وهي من التقنيات الحجاجية القائمة: (على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامن بعضها مع بعض، مرده إلى زوج الظاهر/ الواقع أو الحقيقة)^(٢٨)، ولا يتسنى هذا الفصل إلا في العناصر التي تؤلف وحدة واحدة يتم فصلها لغايات حجاجية، وهدف هذا الوصل استبعاد أحد

وفي ذلك فعلاً انجازياً يتمثل في «أنتم كالضبع»، وهذا يستلزم منها صفاتها «تنام على طول اللدم»، و«يصل إليها طالبها»، و«يختلها راصدها»، وفي ذلك حجة على متلقي الخطاب الذي تمثل بهذه القيم التي تحط من قدره، والتي تباعد عن الإنسانية؛ لهذا كانت محل النفي والاعتراض من الإمام (عليه السلام)، واستدرك مؤشراً في البعد الذاتي إلى القيم التي مثلها في «الحق» و«السامع المطيع»، وقد لجأ المتكلم إلى استعمال العامل الحجاجي «لكن» من أجل تقييد الإمكانيات الحجاجية^(٢٥)، فالقيمة الحجاجية في هذا القول تخدم نتيجة واحدة «أني ملازم للحق»، وتابع له «حتى يأتي يومي»، وهذا العامل الحجاجي أصبح عنصر توجيه، وتعزيز للخطاب^(٢٦)، وبذلك تنكشف القيم الحقيقية الإنسانية التي أضحت تقابل القيم الهابطة، والتي بدورها

يبكي لديناه»^(٣٠).

التوكيد بالقسم يعطي طاقة حجاجية عالية، وينتج مفهوماً دلاليًا يهدم فيه الأفكار والآراء التي تشكل عالم خطاب الخصوم في صيغته: (ليس ق «قضية» ب «صادقة»)^(٣١)، وهو يريد به أثبات: لا يدعو الله محرماً إلاّ استحلّوا. ولا عقداً إلاّ حلّوه.

والخطاب يريد تقرير نتيجة سلوكية من هذه المقدمات إلا وهي: ١. وحتى لا يبقى بيت مدرٍ ولا وبرٍ، إلاّ دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم.

٢. وحتى يقوم الباكيان يبكيان، باكٍ لدينه، وباكٍ يبكي لديناه.

فالتقابل القيمي في الخطاب العلوي يكشف عن حجم الصراع الداخلي، المبني في الأصل على الجوانب المعرفية التي تملكها الإنسان، التي تشكلت في صورتين

العنصرين، ثم تأكيد العنصر المتبقي منها^(٢٩)، فالزعم: ادعاء- العلم والعلم يقتضي مطابقة الواقع، وهو أنه لم يبايع بقله، بل بايع بيده، وهذا غير مطابق للحقيقة وانفصال عنها، والحقيقة أنه بايع، وفي ذلك جدل بين الذات الواحدة التي خالفت المفهوم من أجل الإيهام، وهي بفعلها هذا ناصرت الباطل، وتركت الحق، فالجدل الإنساني في القيم هو الذي يشكل المظهر السلوكي الخارجي، وهذا ما نجده في البيعة التي شكلت الجانب السلوكي للمفاهيم الداخلية التي على أساسها يفسر ذلك السلوك.

وقال (عليه السلام): «والله لا يزالون حتى لا يدعووا الله محرماً إلاّ استحلّوا، ولا عقداً إلاّ حلّوه، وحتى لا يبقى بيت مدرٍ ولا وبرٍ، إلاّ دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم، وحتى يقوم الباكيان يبكيان، باكٍ لدينه، وباكٍ



جدلية الذوات في الخطاب العلوي قراءة إنسانية.....

الخطبة

تضاعيف نصوصه؛ لأن القيم هي التي تحفظ كنه الإنسان، وجوهره، والخطاب العلوي يحمل الكثير من القيم؛ لأن بواعثه إرشادية توجيهية تسعى إلى الحفاظ على الإنسان كونه قيمة عليا، وهو المخاطب في أصل الخطاب؛ لذا وقف البحث على نتائج منها:

١. أضحت المضامين الإنسانية في الخطاب العلوي أبعاداً حجاجية إقناعية، تستلزم الفعل الإنجازي من قبل المخاطب.

٢. شكلت القيمة الإنسانية في الخطاب العلوي حجةً على متلقي الخطاب، لاسيما أن المخاطب تمثلت فيه قيم «الجبين»، والخوف، والرفض من الجهاد «مما تولد جدلاً بين القيم».

٣. كشف الخطاب عن الصراع الداخلي في الذات الواحدة، وهذا الصراع قيمي يتضح وبيان بفعل المواقف التي يتعرض لها الإنسان.

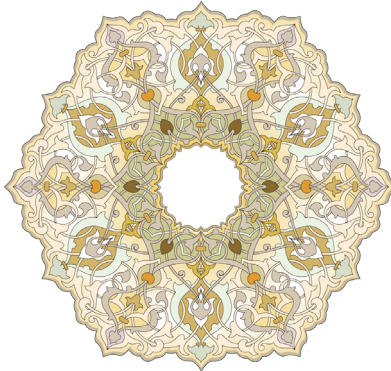
«باكٍ لدينه، وباكٍ يبكي لديناه»، وهذا يمثل طرفي نقيض في الجوانب القيمة الإنسانية، وفلسفة الخطاب ترمي إلا بيان أحوال الناس ومسالكها إزاء المواقف الحياتية، وفيه دعوة إلى تبني القيم التي لا تناقض الإنسانية، بل التي تحقق فعلاً إنسانياً.

فالمنجز اللفظي في الخطاب العلوي يستند إلى مرتكزات أساسية لها علاقة وثيقة ببنية التكوين الفكري لذهنية الإمام (عليه السلام)، والتي لا يمكن فصلها عن المضمون القرآني^(٣٢)، وكان فيها الإمام (عليه السلام) (يصدر عن رؤية كونية شاملة محاورها ثلاثة موضوعات لا انفصال بينها هي: الله والعالم والإنسان)^(٣٣).

الخاتمة

تسمية الخطاب بأنه إنساني، أو توصيفه بالإنسانية قائم على أساس القيم التي يحكيها الخطاب في

٤. التجأ الخطاب العلوي إلى تبني استراتيجيات متعددة تمثلت في أساليب متنوعة أظهرت تناقض القيم، لاسيما في السلوك الخارجي الكاشف عن الجوانب المعرفية المتبناة من قبل طرفي الخطاب.
٥. بيّن الخطاب العلوي غايته الخطابية في ضوء القيم الإنسانية التي يطرحها، ويقلبها القيم التي تعارضها وتناقضها، لاسيما في المواقف المحرجة، وهي دعوات الجهاد والنصرة، والدفاع عن الدين.
٦. قرب الخطاب العلوي عن طريق الصور التشبيهية الكثير من الوقائع والأحداث التاريخية التي كان لها مساس في الحاضرة العربية.
٧. تضمن الخطاب العلوي الكثير من الأفعال غير المباشرة، من أجل توليد أفعال إنجازية تمثل دعوة صريحة من قبل المتكلم.
٨. الخطاب العلوي لم يتعد عن دائرة الخطاب القرآني في الجوانب الإنسانية، بل كان النص القرآني المعضد، والساند والحاضر في أصل الخطاب، بل لا ينفك عنه.



الهوامش

١. الخطبة: ٣٥.
٢. ينظر: مجمع الأمثال: أبو الفضل النيسابوري: ٢٣٤، دار المعرفة- بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
٣. الخطبة: ٢٧.
٤. الخطبة: ٧٩.
٥. الخطبة: ٣٤.
٦. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسي: ٨٠: ٧.
٧. ينظر: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المسألة: لميشال ماير (بحث): ٣٩٤: ضمن (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم): إشراف حمادي صمود.
٨. سورة الأحزاب: الآية: ١٩- ٣٣.
٩. الخطبة: ٩٧.
١٠. ينظر: نظرية الفعل الكلامي: ١٢٠.
١١. ينظر: نهج البلاغة: ضبط نصه د. صبحي الصالح: ١٧٨. (الهامش).
١٢. ينظر: عن الذاتية في اللغة: إميل بنفست: ١١٠.
١٣. ينظر: حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي (خطب الإمام علي إنموذجاً): د. علي عمران: ٩٤.
١٤. سورة الأنفال: الآية: ٦.
١٥. الخطبة: ٣٩.
١٦. ينظر: الحجاج في الشعر بنيته وأساليبه: د. سامية الدريدي: ١٥٠.
١٧. ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة: د. عباس علي حسين: ٢٠٧.
١٨. ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل: ١٧٧.
١٩. المثل السائر: ٢: ٢٦٥.
٢٠. الخطبة: ٢٧.
٢١. الخطبة: ٤٠.
٢٢. الخطبة: ٣٤.
٢٣. الخطبة: ٦.
٢٤. ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: د. عبد الله صولة: ٢٧٠.
٢٥. ينظر: الحجاج في درس الفلسفة: ٥٤.
٢٦. ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية: د. عز الدين الناجح: ٢٥.
٢٧. الخطبة: ٨.
٢٨. الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته: (بحث): ٣٤٣، وحجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (عليه السلام): ١٢٥.
٢٩. ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في النقد المعاصر: ١٣٢- ١٣٣.
٣٠. الخطبة: ٩٨.
٣١. ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: د. عبد الله صولة: ٢٧٠.
٣٢. ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة (دراسة في الشكل والمضمون): د. عباس علي حسين: ٣٥٠.
٣٣. عبقرية الإمام علي: عباس محمود العقاد: ٤٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم مصدر العربية الأول.

الكتب المطبوعة

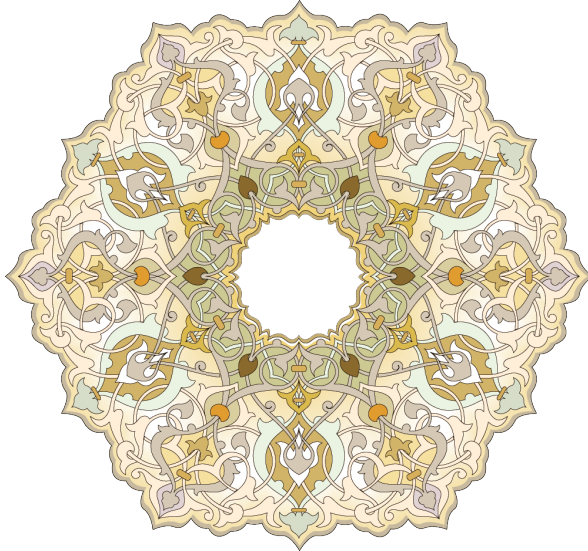
١. الأثر القرآني في نهج البلاغة (دراسة في الشكل والمضمون): د. عباس علي حسين، ط ١، منشورات الفجر، لبنان- بيروت، ١٤٣٠ هـ- ٢٠١٠ م.
٢. بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل، ط ١، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م.
٣. الحجاج في البلاغة المعاصرة- بحث في النقد المعاصر: د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ط ١، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان، ٢٠٠٨ م.
٤. الحجاج في الشعر بنيته وأساليبه: د. سامية الدريدي، ط ٢، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن- إربد، ٢٠١٢ م.
٥. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: د. عبد الله صولة، ط ٢، دار الفارابي- بيروت، كلية الآداب والفنون والإنسانيات متّوبة، ودار المعرفة للنشر- تونس، ٢٠٠٧ م.
٦. الحجاج في درس الفلسفة: إعداد وإنجاز خلية البحث التربوي لمادة الفلسفة بأكاديمية أنفا، (د- ط)، دار البيضاء، أفريقيا الشرق- المغرب، ٢٠٠٦ م.
٧. حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي (خطب الإمام علي إنموذجاً): د. علي عمران، (د- ط)، مطبعة دار نينوى، دمشق- سورية،

١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م.

٨. حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (عليه السلام): د. كمال الزماني، ط ١، عالم الكتب الحديث، الأردن- إربد، ١٠١٢ م.
٩. عبقرية الإمام علي: عباس محمود العقاد، (د- ط)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
١٠. العوامل الحجاجية في اللغة العربية: د. عز الدين الناجح، ط ١، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ٢٠١١ م.
١١. عن الذاتية في اللغة: إميل بنفست، ط ١، دار البيضاء، أفريقيا الشرق- المغرب، ٢٠١٠ م.
١٢. مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، ط ١، دار القارئ دار الكتاب العربي، لبنان- بيروت، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م.
١٣. مجمع الأمثال: أبو الفضل النيسابوري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط- د) دار المعرفة، لبنان- بيروت.
١٤. نهج البلاغة: ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: د. صبحي الصالح: ط ١، مطبعة الرسول، إيران- قم، ١٤٢٦ هـ.
١٥. نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي: الأستاذ هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، ط ١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان- بيروت، ٢٠٠٧ م.
- البحوث في الدوريات العلمية
١. البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة:



جدلية الذوات في الخطاب العلوي قراءة إنسانية.....
 ميشال ماير (بحث): ضمن (أهم نظريات
 الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم):
 إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب -
 من أرسطو إلى اليوم): إشراف حمادي صمود،
 منشورات كلية الآداب - منوبة، جامعة الآداب
 والفنون والعلوم الإنسانية، تونس (د-ت).
 تونس (د-ت).





عنه



قال أمير المؤمنين (عليه السلام)

وَمِنْ جَبْرِ ضَرَّابِ بْنِ حَمْرَةَ الضَّبَّابِيِّ عِنْدَ دُخُولِهِ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَمَسْأَلَتِهِ لَهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام) وَقَالَ فَاشْهَدَ لَقَدْ رَأَيْتَهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَدْ أَرَى الْيَلَّ سُدَّوْهُ وَهُوَ قَائِمٌ فِي مَحَلِّهِ قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ يَتَمَلَّلُ تَمَلُّلَ السَّمِ وَيَبْكُ بَكَاءَ الْحَزِينِ وَيَقُولُ: يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا الْيَلَّ الْيَلَّ عَنِّي أَبِي تَعَرَّضْتَ أُمَّ إِلَى تَشْوِيقِ أَحِبَّانِ حَيْثُكَ هِيَهَاتَ عُرِّي فَبُرِّي لِأَحَاجَةٍ لِي فِيكَ فَدَ طَلَّقْتُكَ ثَلَاثًا لَأَرْجِعَنَّ فِيهَا فَعَيْشُكَ قَاصِرٌ وَخَطْرُكَ يَسِيرٌ وَأَمْلُكَ حَقِيرٌ آه مِنْ قَلْبِ الرَّادِ وَطَوَّلِ الطَّرِيقَ وَبَعْدِ السَّفَرِ وَعَظِمِ الْمُرْدِ.

المصدر: نزهة البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق: د. صبحي الصالح



قال رسول الله
عليه السلام
الحق مع الحق
والحق مع علي

قال رسول الله (ﷺ)
عليه مع الحق والحق مع علي

إنسانية الخطاب العلوي قراءة معرفية في الأبعاد القيمية

The humanism of Imam Ali speech knowledge
reading in dimensions of values

م. د. آمال خلف علي آل حيدر
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)
للعلوم الإسلامية الجامعة

Dr. Amal Khalaf Al haider

Imam Kadhim (peace be upon him)

University college of Islamic sciences

ملخص البحث

توسم الخطابات ولاسيما الخطابات التوجيهية ذات البعد المعرفي الإرشادي، التي تشكل مساحة اشتغالها (الإنسان) بالخطابات الإنسانية، والخطاب العلوي شكّل على وفق محمولاته القيمية خطاباً إنسانياً اتّسم بالشمولية والعمق والتطبيق العملي، فهو خطاب يخاطب الإنسانية في كل زمان ومكان، والقيم التي عرضها الخطاب العلوي هي قيم قرآنية حث عليها الله جلّ جلاله، وقد انقسمت على:

قيم أخلاقية: مثل: حب الخير، والتعاون، والنصيحة، والتضحية.
 وقيم معرفية، مثل: العلم والمعرفة والتفكير، التي تحقق للإنسان إنسانيته التي من دونها يخرج من دائرة الإنسانية.
 ويسعى البحث لبيان هذه القيم التي تشكل الإنسان في مفهوم الخطاب العلوي، وهذه القراءة تشكل الخط البياني في الكشف عن خطين متوازيين بين الرقي والانحطاط، والمعيار الفاصل بين القيم الأخلاقية والمعرفية.
 وقد توصل البحث إلى الكشف عن إنسانية الخطاب العلوي التي تمثلت بـ «التعاون» و«الإيثار» و«حب الخير».



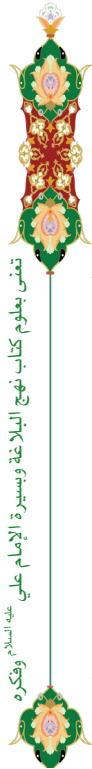
Abstract

The speeches marked-especially the guidance speeches having guidance and knowledge dimension which «human» filled its space as humanitarian discourses and Imam Ali speech forms according its values a humanitarian discourse was characterized by inclusiveness, pertinence and practical application its speech addresses the humanity at all times and places and the values which showed by Imam Ali speech is a qurani values urged by Allah Almighty divided into:

Moral values like love for good, collaboration, advice and sacrifice.

Knowledge values like science, knowledge, thinking which achieve for human his humanity and without it he will get out from his humanity and the research seeks to declare this values which forms human in the concept of Imam Ali speech and this reading forms the graf to reveal for two parallel lines between sophistication and degeneration and the criteria that separates between moral and knowledge values

And the research finds to reveal for the humanism of Imam Ali speech which represented by <<collaboration>> and <<altruism>> and <<love for good>>.



توطئة

والحلم، ودين التسامح الذي يظهر الإنسان فيه مدى حبه للآخرين وسعيه للارتباط معهم بروابط إنسانية قائمة على أسس الخير والمحبة، ودعا أيضاً إلى نبذ التعاليم الجاهلية والالتزام بالتعاليم الإسلامية التي أنقذت الإنسان من الجهل والظلم والضلال، ويبدو ما ذكرناه آنفاً واضحاً جلياً في ثنايا الخطاب العلوي، سواء كان خطباً أو رسائل تهدف إلى بث روح الإخاء والمحبة بين المسلمين فضلاً عن حرصه على وحدة الصف والكلمة.

المطلب الأول

القيم الأخلاقية وأبعادها في أنسنة

الخطاب العلوي

أسس الإمام علي (عليه السلام) دعائم العلاقة السليمة التي ينبغي أن تقوم بين الإنسان وخالقه، كالتسليم المطلق لإرادته تعالى شأنه، والعبودية الخالصة له والخشية والخوف منه،

نظر الإمام علي (عليه السلام) بدقة وعمق وشمول للإنسان، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقته مع خالقه، ونفسه، ومجتمعه، وحكومته وغير ذلك، فوضع له نظاماً خاصاً لهذه الحقوق والواجبات، وجعله مسؤولاً عن رعايتها وصيانتها؛ ليُنشئ مجتمعاً إسلامياً تسوده العدالة الاجتماعية، والعلاقات الوثيقة بين أبنائه القائمة على أساس الثقة والتعاون والمحبة، وغير ذلك مما يسهم في تنظيم العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع، وكان للإمام علي (عليه السلام) الدور الكبير في وضع المناهج التربوية الحية لتنظيم سلوك الإنسان، فضلاً عن تطوير حياته وبناء حضارته على أسس رصينة تضمن له الاستقرار النفسي من خلال بيان معنى الإسلام الحقيقي للناس، وإنه دين الأخلاق والصفح

فضلاً عن طاعته والتوجه إليه وحده من دون غيره، فضلاً عن علاقة الأفراد فيما بينهم، من خلال عنايته (عليه السلام) بتربية المجتمع الإسلامي الإنساني، حيث جاءت محاولاته لمعالجة الانحراف الأخلاقي في المجتمع فضلاً عنه في الإنسان نفسه، من خلال التعرف على جذوره العميقة أولاً، حيث عزا السبب الرئيس في انحراف المجتمع إلى حب الدنيا والتعلق بحبالها الواهمة كما ورد في الحديث النبوي الشريف «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»، إذ يترتب على هذا الحب فقدان بصيرة الإنسان، فضلاً عن تعطيل العقل وإعمال الشهوات والهوى التي تصبو إليها النفس الخاسرة^(١).

يشخص الإمام (عليه السلام) مجموعة من العقاقير الإنسانية لمعالجة الانحراف الإنساني في المجتمع منها:
أولاً: التقوى

ورد في إحدى خطب الإمام (عليه السلام) التي تضمنت وصفه الدقيق للمتقين موضحاً السر الكامن وراء وصولهم إلى هذه المرتبة من الكمال المتمثل بالتقوى بقوله «فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُّعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَلَّتِي نُزِلَتْ فِي الرَّخَاءِ، وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ، عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغَّرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ»^(٢).

يصف الإمام (عليه السلام) المتقين فيقول: «فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ» أي إن المتقين في الدنيا هم أصحاب الفضائل بل أهلها أي أصل الفضائل، فهي تنبع منهم، ثم



يوالي الإمام (عليه السلام) وصفهم فيقول: «منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشئهم التواضع» فلا يقولون بألسنتهم إلا الصواب والحق والصدق، أما ملابسهم فهو البساطة والتواضع فضلاً عن عدم التكلف للملبس، فهم لم يشغلوا أنفسهم بأمرٍ غير ذا أهمية عندهم، أما مشئهم فيمتاز بالتواضع وعدم الكبر والخيلاء، فهم بذلك مصداق للحديث الشريف «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ» تواضعوا لله فرفع شأنهم فضلاً عن مراتبهم، واستغرق الإمام (عليه السلام) في وصفهم فأضاف «غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم» انتهج المتقون خطأً مستقيماً لأنفسهم فأشاحوا بأبصارهم عما حرمه الله، وصدوا أسماعهم عن غير العلم النافع في رضا الله تعالى، فالتقوى تعني الالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه وهي في (عرف الشرع

والقرآن عبارة عما يتقى به من النار) (٣)، إن للتقوى مضمون قرآني محض جاء به الإسلام فكراً مجسداً بسلوك عملي؛ لأنها تعني امتزاج النظرية بالتطبيق (٤) فكانوا مصداقاً فعلياً للتقوى، كذلك تابع أمير المؤمنين (عليه السلام) وصفه للمتقين فقال: «نُزِلَتْ أَنفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِلَتْ فِي الرِّخَاءِ، وَلَوْ لَا الْأَجَلَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، لَمْ تَسْتَقِرُّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ» يتبين من هذا الوصف حال المتقين الذين لا يابهون بالبلاء النازل أو الذي ينزل تباعاً في ساحتهم، فقد وطنوا أنفسهم على التسليم المطلق لمشيئة الخالق فلا يستشعرون الألم الظاهري بل على العكس من ذلك فأنهم يتذوقون حلاوة الإيمان من خلال مرارة البلاء؛ لأنه يقربهم لله زُلْفَى، فضلاً عن الرغبة الكبرى لملاقاة العلي



القدير؛ تشوقاً للفوز بثوابه وخوفاً من عقابه إن طال بهم الآجال، أما قوله (عليه السلام) «عَظَّمَ الخَالِقَ فِي أَنفُسِهِمْ، فَصَغَّرَ ما دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ» أي صاروا لا يعظمون شيئاً سوى الله سبحانه وتعالى وهذا مصداق لقول أمير المؤمنين «إنما عبدتك لأنك أهلاً للعبادة» فتصاغر كل ما هو دون مرتبة الإله تعالى شأنه في أعينهم، كذلك ما ورد في وصية الإمام علي (عليه السلام) للحسين (عليه السلام) حيث قال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالْأَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغْتُمْهَا، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُويَ عَنْكُمْ، وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَاعْمَلَا لِلْأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ حَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً، أَوْصِيكُمْ، وَجَمِيعَ وَوَالِدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمْ (عليه السلام) يَقُولُ: «صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ

الصَّلَاةِ الصَّيَامِ»، اللهَ اللّهُ فِي الْإِيْتَامِ، فَلَا تُغْبُوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ»^(٥) يوصي الإمام ولديه بوصايا خاصة وأخرى عامة وثالثة مشتركة، فالخاصة منها هي ألا تبغيا الدنيا وأن بغتكما، أي لا تُجهدا أنفسكما بطلب الدنيا حتى وإن طلبتكما؛ لأن طالب الدنيا لا يلقى إلا العناء والتعب، حتى وإن تذرع بضرورة الكسب فهذا الكسب سيترك ورائه كما قال تعالى ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٦)، كذلك عدم الضجر والتأسف على ما تأخر أو مُنِعَ عنكما لعل فيه خيرٌ لكما لقوله «ولا تأسفا على شيء زوي عنكما»، وقول الحق في أصعب الأحوال «وقولا بالحق»، وأن تبغيا من عملكما الأجر من الخالق لا من المخلوق «واعملا للأجر»، وأن تكونا خصماء للظالم وللمظلوم عوناً وابغيا في ذلك القربة لله تعالى «وكونا



بينهم والتطوع لخدمة بعضهم بعضاً، فضلاً عن الاهتمام بمناطق الضعف والحاجة في المجتمع من خلال الحث على إصلاح هذا الضعف الحاصل في مختلف جوانبه الدينية والدنيوية.

ثانياً: حُسن الخُلُق

إن المجتمع الذي لا يتعامل أفراده بالأخلاق الحسنة، لا يمكن له بلوغ الأهداف السامية لبعثة الرسول الأكرم (ﷺ)؛ لأن الأخلاق هي مَنْ يُوصِل الإنسان إلى المقامات الإنسانية العالية ولا ينبغي أن يقتصر التمسك بالأخلاق الحسنة على إظهارها عند التعامل مع الآخرين فقط من دون أن تترك أثراً على تنمية الشعور الأخلاقي الإنساني المتمثل بالروح، ومن ثم ترجمتها على مستوى العمل الظاهري، لقد تجلت القيم الأخلاقية بمضامينها الإنسانية العالية، كالتحلي بروح الصفح والعفو، والتعايش، والتسامح، فضلاً عن ترك التحاسد

للظالم خصماً وللمظلوم عوناً»، أما الوصايا العامة «ونظم أمركم» أي أن تعمدوا إلى تنظيم أموركم بالشكل الذي يضمن سير العمل بالوجه الأمثل، كذلك ذكر الإمام (ﷺ) «صلاح ذات بينكم» أي لا تتركوا أمراً فاسداً بينكم واعمدوا إلى إصلاحه فإنه أنفع للمجتمع فضلاً عن أفرادهِ وكما يصف النبي (ﷺ) «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» مع ما للصلاة والصيام من الأجر والفضل عند الله، أفاض الإمام (ﷺ) في وصاياه العامة فذكر الأيتام وأعطاهم مساحة في المجتمع حيث شدد على رعايتهم في كافة المجالات التربوية والاجتماعية فضلاً عن الاقتصادية فقال: «الله في الأيتام فلا تُغْبُوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم»، أما وصيته المشتركة فهي تقوى الله، ويهدف إلى دعوة الناس للتعاون فيما



في وصية الإمام (عليه السلام) لابنه الإمام الحسن (عليه السلام) عند انصرافه من صفين حيث قال «وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقِي إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَابِنِ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ وَخُضِ الْعَمْرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ وَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ، يَا بَنِيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحِبِّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ هُمْ مِنْ نَفْسِكَ»^(٧) يعني هذا النص باستنهاض الإنسان ليمارس دوره

الفاعل في الحياة، ويستظهر طاقاته الكامنة من خلال تسلحه بعلو المهمة والطموح المشروع، يوضح الإمام (عليه السلام) مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي ينبغي أن يعمل الإنسان جاهداً لكسبها فيقول: «فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك» من خصال حُسن الخُلُق أن تُحب لغيرك ما تُحبه لنفسك من الخير وعدم الظلم، «وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك» وكما يُحب الإنسان أن يُحسن إليه بالقول والفعل فعليك أن تُحسن للآخرين قولاً وفعلاً، «واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك» وأن تكره ما يصدر منك من أفعالٍ أو أقوال لا تؤسم بالصحة، وأن لا تُجمل قبيح أفعالك قبالة أفعال غيرك، «وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك» وأن تقبل ما يصدر من الناس كما تريد أن يقبلوا بما يصدر منك، وهذا مصداق لنص الحديث



إنسانية الخطاب العلوي قراءة معرفية في الأبعاد القيمية

﴿البقرة﴾

حيث يُعد الصبر والصلاة الأدوات المفضلتان لتمكين الإنسان من التحرك، ومواجهة التحديات الصعبة التي يواجه بها أئمة الكفر والضلال، فلا بد من توافر الصبر في علاقة الإنسان بنفسه ومساحة اشتغاله، كذلك الصلاة التي توضح علاقة الإنسان بالله تعالى شأنه^(١١)، يُعد الصبر العنصر الحافظ والمحامي للمجتمعات من التراجع وبذل الأرواح وخوض الصعاب لأجل الوصول إلى الهدف الأسمى، ولا بد من الإشارة إلى أن الصبر نوعان، صبرٌ محمود وهو الصبر على الطاعات والعبادات وترويض النفس على ترك الشهوات، وصبرٌ مذموم وهو الصبر على الذل والهوان^(١٢)، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) «لا يُعدم الصبور الظفر إن طال به الزمن»^(١٣)، كذلك قوله (عليه السلام) «مَنْ ركب مركب الصبر اهتدى إلى ميدان النصر»^(١٤)، فالصبر

الشريف «حب لأخيك كما تُحب نفسك» وهذا يعني التخلص من حُب الأنا، بل يُجاوز ذلك بإيثار أخيه المسلم على نفسه ومشاركته إياه في السراء والضراء، وكل ذلك يرجع إلى الأصل الأول وهو حُسْنُ الخُلُق الذي لأجله اختار الله عز وجل النبي محمد (ﷺ) بقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٨).

ثالثاً: الصبر والتصبر

إن القيم التي توزعت في أرجاء النهج تنماز بالأخلاقيات الرفيعة ذات الطابع الإنساني، والتي استمدت جذورها الإنسانية من القرآن الكريم والرسول الأكرم (ﷺ)، والتي تمثل الحجر الأساس لرقى المجتمعات^(٩). حيث يصف الإمام (عليه السلام) الصبر والتصبر بأنهما نعم الخُلُق، وكما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١٠)،

هو الطريق الموصلة إلى الصواب وإن طال به الوقت.

رابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقال (عليه السلام) أيضاً «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَبِلِسَانِكَ وَبِأَيْنَ مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ، وَغَايَةُ الدِّينِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ، وَالْجِهَادُ عِمَادُ الدِّينِ وَمِنْهَاجُ السُّعْدَاءِ، وَمَنْ جَاهَدَ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ وَفَقَّ، وَالْمُجَاهِدُونَ تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتَوَابُ الْجِهَادِ أَعْظَمُ الثَّوَابِ»^(١٥).

إن الأمر بالمعروف وإنكار المنكر واجب على كل مسلم، فيوجه الإمام (عليه السلام) نظر المجتمع نحوهما فيقول «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَبِلِسَانِكَ وَبِأَيْنَ مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ» يتوجب على الفرد المسلم بأن يأمر بالمعروف ويحث عليه مثل برِّ الوالدين، وحُسن

الخُلُق، والعفة، والإنفاق في سبيل الله وغيرها كثير مما أثير من المعروف، فضلاً عن الترغيب بالمعروف معللاً هذا الأمر بالمعروف؛ كينونته من

أهل المعروف، أي يكون كالمعروف ممدوحاً أينما ذُكر وبأي حالٍ ذُكر، أما إنكار المنكر، فوجب أن يكون الإنكار باليد، أي تغيير المنكر بالفعل، واستخدام الإمام (عليه السلام) مفردة (اليد) كناية عن الفعل، فضلاً عن إنكار المنكر باللسان، فنرى استخدام لفظة (اللسان) كناية عن القول بإنكار المنكر، إذن لا بد من إنكار المنكر قولاً وفعلاً، فضلاً عن مباينة أي - ترك - من اعتاد فعل المنكر بكل الجهد، لكيلا يكون على المؤمنين من حرج في عدم القدرة على تغيير الحال.

المطلب الثاني

القيم العبادية وأثرها في التكامل الإنساني
للقيم العبادية مقاصد وآثار متعددة



فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَصَانِ الذَّنْبَ
 وَصَلَّةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ
 وَمَنْسَاءٌ فِي الْأَجَلِ وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا
 تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا
 تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ
 فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ أَيْضُوا فِي
 ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ وَارْغَبُوا
 فِيمَا وَعَدَ الْمُتَمِّينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ
 الْوَعْدِ وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ
 أَفْضَلُ الْهَدْيِ وَاسْتَنْتُوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا
 أَهْدَى السُّنَنِ وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ
 أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ
 رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ
 شِفَاءُ الصُّدُورِ وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ
 أَنْفَعُ الْقَصَصِ وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ
 بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي
 لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ بَلِ الْحُجَّةُ
 عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَالْحَسْرَةُ لَهُ الْأَزْمُ وَهُوَ
 عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ»^(١٦) بين الإمام (عليه السلام)
 ضرورة التمسك بقيم السماء العبادية
 التي من شأنها رفع مستوى الإنسان

منها ارتباط المخلوق بالخالق جل
 وعلا الذي يوصله إلى المقصد
 الأساس وهو (تزكية الإنسان)
 فتعمل القيم العبادية على تزويد
 الإنسان بالطاقة المحركة، ولكي
 يصل الإنسان إلى مستوى التكامل
 لا بد أن يعمل جاهداً لاكتساب القيم
 العبادية فضلاً عن القيم الأخلاقية
 على أرفع المستويات مثل الاهتمام
 بالعدل في علاقته بخالقه أو بأسرته
 أو بأصدقائه أو بمجتمعه أو بأمواله
 أو بنفسه، ويذكر أمير المؤمنين (عليه السلام)
 في خطبة له في أركان الإسلام وفضل
 القرآن الكريم «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ
 بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ
 تَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ
 فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذُرْوَةُ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةُ
 الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ
 فَإِنَّهَا الْمَلَّةُ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ
 وَاجِبَةٌ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جَنَّةٌ
 مِنَ الْعِقَابِ وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ



إلى التكامل الإنساني والذي يسعى الإمام (عليه السلام) جاهداً لإيصال أفراد المجتمع إليه، من خلال الحث المستمر على لزوم الطاعة لفروض السماء، من توحيد الله تعالى شأنه، وإيماناً برسوله، وجهاداً في سبيله، فضلاً عن إقامة الصلاة والصيام، والزكاة وحج البيت الحرام وتعاهد الصدقة سراً كانت أم جهراً، وقراءة القرآن والغور في أعماقه لاستخراج كنوزه الثمينة، فضلاً عن الالتزام بسنة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله).

كذلك اهتم الإمام (عليه السلام) ببيان فلسفة جملة من التشريعات العبادية قائلاً: «فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنْ الشُّرْكِ وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ وَالزَّكَاةَ تَسْبِيهاً لِلرِّزْقِ وَالصِّيَامَ إِبْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ وَالْحَجَّ تَقْوِيَةً تَقْرِبُهُ لِلدِّينِ وَالْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلِحَةً لِلْعَوَامِّ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً

لِلشُّفَهَاءِ وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنَمَةً لِلْعَدَدِ وَالْفَصَّاصَ حَقْنًا لِلدَّمَاءِ وَإِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَامًا لِلْمَحَارِمِ وَتَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ وَ مُجَانِبَةَ السَّرِقَةِ إِجَاباً لِلْعَقَّةِ وَتَرْكَ الزِّنَى الزَّنَا تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ وَتَرْكَ اللَّوَاظِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ وَالشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَاراً عَلَى الْمُجَاحِدَاتِ وَتَرْكَ الْكُذْبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ وَالْإِسْلَامَ أَمَاناً مِنَ الْمَخَافِ وَالْإِمَامَةَ نِظَاماً لِلْأُمَّةِ وَالطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلْإِمَامَةِ»^(١٧)،
 وضع الإمام (عليه السلام) علل التشريعات العبادية موضعاً وشارحاً لها حيث علل الإيمان تطهيراً للنفس البشرية من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن خصلة الكبر، والزكاة سبباً للرزق، والصيام اختباراً للخلق في صبرهم على الطاعات، والحج إظهاراً لقوة الدين، والجهاد إعزازاً للإسلام، والأمر بالمعروف مصلحة للناس كافة، والنهي عن المنكر ردعاً



للمتجاوزين على حرمان الله، والقصاص حماية للنفوس المحترمة،

وإقامة الحدود تعظيماً للحرمان وعدم انتهاكها مجدداً، وترك شرب

الخمير صيانة للعقل البشري، وترك الزنا تحصيماً للأنساب من الاختلاط

المحرم، وترك الكذب شرفاً للصدق، فلا يجتمع الكذب والصدق إطلاقاً؛

لعلو مرتبة الصدق في المجتمعات، حتى لو خفت أنواره لفترة من

الزمن، والإسلام يضمن الأمن الإنساني بمختلف صنوفه، والإمامة

دستوراً ينظم حياة المسلمين في كل ما تحتاج إليه، والطاعة تعظيماً للإمامة

وهو مصداق للآية الكريمة في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا

اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ

إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١٨)، فكل ما

تطرق إليه الإمام من قيم عبادة

هي كفيلة بتكوين المجتمع الإنساني المتكامل.

ومن خطبة له (عليه السلام) في بيان قدرة

الله تعالى وتمجيده قال «فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ فَأَتَابَهُمْ بِجِوَارِهِ وَخَلَدَهُمْ

فِي دَارِهِ حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النُّزَالُ وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ وَلَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ

الْأَخْطَارُ وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ وَعَلَّ

الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ وَالْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطْرَانِ وَ

مُقَطَّعَاتِ النَّيِّرَانِ فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي

نَارٍ لَهَا كَلْبٌ وَلَجَبٌ وَلَهَبٌ سَاطِعٌ وَقَصِيفٌ هَائِلٌ لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَ

لَا يُفَادَى أَسِيرُهَا وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا لَأَمْدَةٍ لِلدَّارِ فَتَنَنِي وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ

فَيُفْضَى»^(١٩).

إن الحديث عن تركية النفوس وتطهير الطباع وتنمية دواعي العفة



والطهارة ليست شعارات عاطفية، أو كمالات خُلُقِيَّة، وإنما هي أصل لتماسك المجتمع وأساس بقاءه، فضلاً عن بناء الشخصية الإنسانية للمجتمع المسلم وتحصينه ضد محاولات الهدم والتخريب، لذلك تستدعي ضرورة العمل الجاد في الدعوة إلى الله تعالى والحث على القيم العبادية بكافة تمثلاتها، والدعوة إليها، والتذكير بالله واليوم الآخر، والحساب والعقاب، من خلال العمل على تعزيز الترابط بين الناس والقرآن وعِبرَه وحِكمَه وأحكامه، ولا يغفل ذو لبٍ رشيد عن المخاطر والصعاب التي تُحَفُّ بحياة المؤمنين المتمسكين بدينهم، والتي بُنيت على العبودية لله تعالى، وعلى الطهر والعفاف والفضيلة، حيث يعمل الشيطان وجنوده جاهداً للإطاحة بمن يسير على جادة الصواب، وهذا مصداق قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ

يُرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾^(٢٠). إن القيم العبادية ليست رأياً بشرياً ولا نظاماً وضعياً، وإنما هي قيم ربانية المصدر عبادية المقصد يُراد بها وجه الله ورضوانه، فيها الأسوة والقدوة، كما جاء في قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢١)، وفيها الاقتداء والهداية كقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾^(٢٢).

المطلب الثالث

المجتمع الإنساني في الخطاب العلوي

قراءة قيمية

شهد المجتمع الاسلامي متغيرات في المفاهيم التي جاء بها القرآن الكريم والنبى الأكرم (ﷺ) مما تطلب جهداً كبيراً من الإمام علي (عليه السلام) في إعادة الناس إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، فكان لا بد للإمام أن يبين مجموعة ليست بالقليلة



إليه الإمام (عليه السلام) هو انعدام الأمن في المجتمع^(٢٤). وتؤكد سيرة الإمام علي (عليه السلام) مع أفراد المجتمع في سياسة الدولة من خلال وضعها على إنجاح التنمية الإنسانية، فضلاً عن توجيهاته لولاته وموظفيه في الأمصار، ومن أبرزها عهده لمالك بن الأشتر حين أوكل إليه ولاية مصر والذي يُعد دستوراً إنسانياً للحكام، حيث أكد على تطبيق العدل والمساواة بين أفراد المجتمع، فضلاً عن حفظ حقوقهم المادية والمعنوية، وإن اختلفت أديانهم وتوجهاتهم حيث قال الإمام (عليه السلام) «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَحْ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»^(٢٥)، تتجلى أبهى صور الإنسانية في هذا العهد من خلال الوصايا التي تدعو

من المعطيات الفكرية التي واكبت حركة النمو القيمي والمعرفي، فضلاً عن المتغيرات السياسية بعد انتقال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرفيق الأعلى، وقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى صرف أنظار العقلاء للأساس الذي يقوم عليه المجتمع فضلاً عن الأساس الذي يقوم عليه الأمن الإنساني ألا وهو (القيم الفكرية)، حيث ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال «مَنْ اسْتَحْكَمَتْ لِي فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ احْتَمَلْتُهُ عَلَيْهَا، وَاعْتَفَرْتُ فَقَدْ مَا سِوَاهَا، وَلَا اغْتَفِرُ فَقَدْ عَقِلَ وَلَا دِينَ؛ لِأَنَّ مُفَارَقَةَ الدِّينِ مُفَارَقَةُ الْأَمْنِ، فَلَا يَتَهَنَأُ بِحَيَاةٍ مَعَ مَخَافَةٍ، وَفَقْدُ الْعَقْلِ فَقْدُ الْحَيَاةِ وَلَا يُقَاسُ إِلَّا بِالْأَمْوَاتِ»^(٢٣)، نلاحظ من محتوى الحديث بيان التلازم القيمي بين الأمن والتوحيد لله تعالى، فكل مجتمع فارق الدين فلا بد ألا يهنأ بحياته، وعدم الهناء الذي أشار



إلى اللين وخفض الجناح في حدود المعقول والواجب، من إظهار الرحمة والمحبة، وعدم التسلط على الرعية التي لا تمتلك حولاً ولا قوة قبالة الحاكم، ونرى الوصف الإنساني الدقيق الذي أكد عليه الإمام بقوله «إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق» الذي يراد منه إشعار الحاكم بإنسانيته لا بحاكميته على الرعية، فيكون سبباً ضارياً ينتهز الفرص المناسبة لينال من فريسته إلا ترسيخاً للفكر الإنساني في الأذهان ضمن الدستور العلوي، وقيمة هذا التصنيف تمثل الامتداد الطولي إلى النظرية الإنسانية التي يمثلها الخطاب السماوي فالقيم التي عرضها الخطاب العلوي هي قيم قرآنية حث عليها الله جل جلاله. نرى أن الإمام (عليه السلام) يلفت نظر واليه إلى ما هو أهم من أخذ الضرائب من الناس، وهو ما يعرف

آنذاك ب(جباية الخراج)، وإنما عمله الرئيس هو إصلاح أمور أهل البلد في كافة الجوانب الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية حيث يقول (عليه السلام): «هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْثَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وُلَّاهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا»^(٢٦)، حيث يؤكد الإمام (عليه السلام) على إعطاء الأولوية للتنمية الإنسانية من خلال طرق مختلفة، منها زيادة الإنتاج مبيناً ذلك في قوله (عليه السلام) «وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ»، يوجه الإمام (عليه السلام) نظر ولايته إلى ضرورة استصلاح الأرض بكافة الطرق الممكنة لما فيه الخير والصلاح للأمة؛ لأنه مدعاة لعامة الأرض البور فضلاً عن الفائدة المتوخاة منها، بدءاً من تشغيل



الأيدي المعطلة عن العمل إلى عمران الأرض سواء أكان بالزراعة أم الصناعة أم تشييد المباني أكثر من الاهتمام بمقدار الخراج المستحصل من هذه الأرض.

الخاتمة

تكمن فلسفة العمل الإنساني بالقيم التي يؤمن بها الإنسان، والتي تُشكل سلوكاً واقعياً في الخارج، وهذه القيم تمثل المنظومة المعرفية التي يستمد منها الإنسان حركيته، والمنظومة المعرفية للإمام علي (عليه السلام) منظومة قرآنية؛ لذا كشف البحث عن نتائجها في:

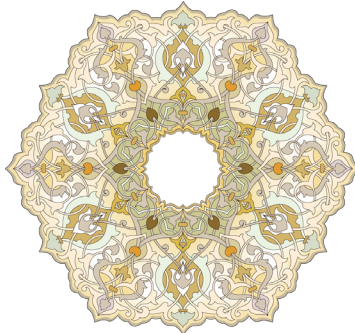
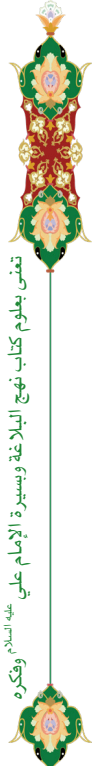
١. كشف البحث عن القيم الأخلاقية التي رسمت ملامح البعد الإنساني في الخطاب العلوي المتمثلة بـ (حُسن الخُلُق والتقوى والصبر والسلم والتسامح).
٢. كشف البحث عن إنسانية الخطاب العلوي التي تمثلت بـ

- (حب الخير)، و(التعاون)، و(النصح والإرشاد) ومسعى الإمام علي (عليه السلام) بإيجادها في السلوك العملي الإجرائي.
٣. أثبت البحث أن الخطاب العلوي خطاب قيمى، لم يتعد عن دائرة الخطاب المعرفى، بل هو خطاب إصلاحى تجسدت فيه المفاهيم السماوية، وشكلت المنطلقات له.
٤. بين البحث أسس بناء المجتمع الإنساني، من خلال قراءة الأبعاد القيمية في المجتمع على وفق المنهج القرآنى والعمل على تفعيلها.
٥. أثبت البحث أثر القيم العبادية في التكامل الإنساني عن طريق إرساء دعائم العلاقة السليمة بين الإنسان وخالقه.
٦. أظهر البحث روعة توظيف الخطاب العلوي في معالجة أمراض المجتمع، لاسيما في الجوانب الأخلاقية التي تُشكل جوهر حركة الإنسان الإيمانية.



الهوامش

١. ينظر: أعلام الهداية: ٢/ ٢٩٠.
٢. نهج البلاغة ٣٢٩، ٣٣٠.
٣. البحر المحيط: ٢/ ١٠١.
٤. ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة ٤١٨-٤١٩.
٥. نهج البلاغة / ٤٥٢، من وصية له (عليه السلام) ٤٧.
٦. سورة الضحى: آية: ٤، ٥.
٧. الإمامة والسياسة: ١/ ٨٩.
٨. سورة القلم: آية: ٤.
٩. الإنسانية المثالية عند الحسن بن علي (عليه السلام)، دراسة تحليلية في تراثه: ٥٥.
١٠. سورة البقرة: ١٥٣.
١١. ينظر: في رحاب القرآن: ٨، سنة التعميم في القرآن: ١٦٨.
١٢. ينظر: مكارم الأخلاق وورثاتها: ٢/ ٤٢.
١٣. نهج البلاغة: ٤/ ٤٠.
١٤. بحار الأنوار: ٦٨/ ٩٦.
١٥. تصنيف غرر الحكم: ١٧٥-١٩٠ و ٣٣١-٣٣٥، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة ١٤٠-١٥٠ و ٢١٦-٢٣٩.
١٦. نهج البلاغة: ١٨٦، ١٨٧.
١٧. أعلام الهداية: ٢/ ٢٨٩.
١٨. سورة النساء: ٥٩.
١٩. نهج البلاغة: ١٨٥.
٢٠. سورة النساء: ٢٧.
٢١. سورة الأحزاب: ٢١.
٢٢. سورة الأنعام: ٩٠.
٢٣. بحار الأنوار: ٥/ ٥٩.
٢٤. الأمن الإنساني في خلافة الإمام الحسن (عليه السلام): ٦١.
٢٥. نهج البلاغة: ١٧٠.
٢٦. نهج البلاغة: ٤٥٧.



المصادر والمراجع

- الأطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.
٧. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)، ط ٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٨م، دار الفكر.
٨. تصنيف غرر الحكم، عبد الواحد الأمدي التميمي من علماء القرن الخامس الهجري.
٩. في رحاب القرآن ٨ - (سنة التعميم في القرآن)، محمد مهدي الأصفى، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، المشرق للثقافة والنشر، ياران - طهران.
١٠. المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، اويس كريم محمد (معاصر)، مجمع البحوث الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٨هـ، مشهد.
١١. مكارم الأخلاق وذرائلها، السيد علي الخامنئي، إعداد السيد علي عاشور، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.
١٢. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، مطبوعات دار الأندلس النجف الأشرف، بيروت - لبنان.

- القرآن الكريم
١. الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، تأليف د. عباس علي حسين الفحام، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م، لبنان - بيروت.
٢. أعلام الهداية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، لجنة التأليف في المعاونة الثقافية للمجمع العلمي لأهل البيت (عليهم السلام)، ط ٦، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، لبنان - بيروت.
٣. الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، ط ٣، ٢٠٠٩م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٤. الأمن الإنساني في خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) - دراسة مقارنة بين مفاهيم القرآن والعترة ومفاهيم الأمم المتحدة رؤى نظرية أم وسائل تطبيقية، السيد نبيل الحسني، ط ١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العراق - كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة.
٥. الإنسانية المثالية عند الحسن بن علي (عليه السلام) (دراسة تحليلية)، تأليف الدكتور رحيم كريم علي الشريف، ط ١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، دار البرهان، بيروت - لبنان.
٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة





قال أمير المؤمنين (عليه السلام)

كَلَامُ الرَّبِّ
رَبِّ كَلَامٍ كَلَامٍ
اللَّهُ وَرَبِّ

رَبِّ كَلَامٍ كَلَامٍ

المصدر: عيون الحكم والمواعظ، الواسطي الليثي، حكمة ٤٨٥٩



قال أمير المؤمنين (عليه السلام)

إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلَا

تُضَيِّعُوهَا وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوداً

فَلَا تَعْتَدُوهَا وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ

فَلَا تَنْتَهِكُوهَا وَسَكَتَ لَكُمْ

عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدْعَهَا نِسْيَاناً فَلَا

تَتَكَلَّفُوهَا

النسق القيمي التكاملي،
أثره الإصلاحي
في مستوى تشكيل الذات السلوكية للمجتمع
بحث في ضوء
عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمته)

The complementary value pattern its
correctional effect in the level of behavioral
self formation for the society

أ.م.د. مكي فرحان كريم
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية
جامعة القادسية/ كلية التربية

Dr. Maki Farhan Karim, Associate professor
Quran studies and Islamic education
Department, college of Education,
Qadisiyah University.

أ.م.د. ضياء عزيز الموسوي
قسم الدراسات القرآنية
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

Dr. Daa Aziz Al Moussawi, Associate professor.
Quran studies Department,
Islamic science college.

ملخص البحث

ليس من السهل أن يتكامل البحث في الدين نفسه وقد تجسدت تكاملية هذا الدين في فكر الإمام علي (عليه السلام) وشخصيته، وتعددت الأبعاد المعرفية في هذه الشخصية، حتى باتت مادة خصبة للتقيب في فكرها، والبحث في رؤيتها، وهي مؤسسة على أسس المدرسة الإلهية، منهجها القرآن الكريم، ومعلمها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، شخصية ربطت العلم بالعمل، عنايتها المطلقة الدين القيم، والإنسانية، والحياة الحرة الكريمة، والعدالة في الحكم... تفاعلت والواقع الاجتماعي بمجالاته المختلفة، فاقرنت شخصيته باسمه عالية - الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) - حتى أصبح رائد العدالة والإنسانية، وثبت أسسها بعهدته (مالك الأشتر) وعده دستوراً لبناء المجتمع العادل، ينظم إدارة شؤون دولته، ويسهم في بناء منظومته القيمية السلوكية، وتشكيل ذاته، ليشعر حراً بعبوديته المطلقة لله تعالى وحده.

في ضوء هذه الإشارة المعرفية لشخصية الإمام علي (عليه السلام)، وأهمية ما تضمنه نصّ عهده المبارك، تولدت الفكرة الرئيسة لأهداف البحث، وهي معرفة النسق القيمي التكاملي في مضمون العهد، ومعرفة أثره الإيجابي الإصلاحي في مستوى تشكيل الذات السلوكية للمجتمع.

لذا قُسم البحث على مبحثين: تناول المبحث الأول، دراسة المداخل النظرية لمحددات البحث، وتناول المبحث الآخر دراسة العينة التطبيقية للبحث، وختم البحث بخاتمة تضمنت أهم نتائجه واستنتاجاته.



Abstract

Research in the light of Imam Ali covenant (peace be upon him) to Malik Al-Ashtar (God rest his soul) its not easy to integrated the research in the religion it self and the complementary of this religion until be come was reflected in Imam Ali (peace be upon him) ideology and personality and knowledge dimensions have multiplied in this personality to become rich material to searching in its ideology and vision and it established on the basis of divine school its curriculum the holy Quran and its teacher is the greatest prophet (peace be upon him and his family) a personality linked science and work its all attention the religion humanity, a free and decent life and the justice in rule interacted with social reality and its various aspects so his personality had been accompanied by his name high personality- Imam Ali Ibn Abi-Talib (peace be upon him) with he become a pioneer in the justice and humanity and he based it by his covenant to Malik Al-Ashtar and he regarded it as a constitution for a just society it organized the running of this country and contribute to the building of its behavioral value system and him self formation to fell free in his slavery to Almighty Allah in the light of this knowledge reference to Imam Ali (peace be upon him) personality and the importance of what it contained the text of his blessing covenant the main thought of the research aims is born and it's the knowledge of the complementary value pattern in the content of the covenant and the knowledge of its evocative reform effect in the level of formation of behavioral self of the society.

So the research divided into two researches the first research deals with the study of conceptual entry points of the research determinants and the other research deals with the study of practical sample of research and the research ends with conclusion included its most important results and conclusions.



الاجتماعي والثقافي للمجتمع بشكل عام، والنسق القيمي على وجه الخصوص؛ لأنّ القيم انعكاس لثقافة المجتمع من جهة، واحتكاك هذه الثقافة مع الثقافات الأخرى من جهة أخرى؛ ولأنّ ثقافة مجتمعاتنا تتعرض أكثر فأكثر إلى تغيرات كبرى وهي عرضة للتآكل والانظمار؛ لأنّ ما يشهده العالم المعاصر هو محاولة سيطرة نمط واحد من الثقافة الطاغية وهو النمط السائد عند الدول المتقدمة، وهذا ما كانت حصيلته تعرّض الفرد للصراع بين القيم الموروثة والتقاليد المستوردة ما جعله يصاب بالحيرة والقلق^(١).

إذ إنّ التغير الذي يطرأ على النسق القيمي المجتمعي اليوم هو التراجع الروحي في مقابل الإحباط والنفور والسخط المتولد عند الأفراد من مجموعة الظروف المحيطة بهم، وإنّ هذا التراجع من شأنه أن يجعل

المبحث الأول

دراسة المداخل النظرية لمحددات

البحث

تمثل المنظومة القيمية للإنسان مرجعيته المعيارية التي تنظم حياته وتحكم سلوكياته، وهي بالنتيجة تسهم في حفظ هوية المجتمع وتجانسه وتماسكه وترابطه، ولعل الاهتمام بالنسق القيمي ودراسته هو لما يحصل من تسارع في التغيير الثقافي وتأثيره في البناء المجتمعي، وكذلك انحلال التربية القيمية للفرد بصورة عامة.

إنّ القيم السائدة في هذه الأيام هي ليست نفسها القيم التي كانت سائدة في المجتمع منذ سنين أو عقود مضت، إذ إنّ تبديلاً كبيراً أصاب منظومات القيم اليوم، لاسيما مع تنامي موجات العولمة وما رافقها من تطورات هائلة في مجال المعلوماتية وما أحدثه ذلك من تأثير في النسيج



منهم أشخاصاً حاملين لقيم متشددة متعصبة في ظل غياب مفهوم القيمة الروحية الحقيقية، أو قيماً مادية متدنية مثل: الرغبة في الثراء السريع، والرشوة، والوساطة. وبالرغم من أنّها قيماً سلبية إلا أنّها تلبّي الحاجة الملحة لهم التي فرضها عليهم الواقع الاجتماعي الاقتصادي الذي يسيطر عليه النمط الاستهلاكي الناتج عن استيراد أنماط الحياة الغربية بمظاهرها السلبية، وغياب قيمة العمل والنمط الإنتاجي الحقيقي وأكثر من ذلك فقد لحظ عزوفاً عن كثيرٍ من القيم الإيجابية عند بعضٍ منهم، مثل قيم التعاون والتسامح، وحلّ بدلاً عنها تمسكهم بقشور القيم تاركين لجوهرها، إذ باتت مثل هذه القيم عبئاً عليهم في ظل سيطرة قيمٍ سلبية، غالباً ما تكون مادية، وهذا بمجمله يعني فكراً مضطرباً، ولأنّ القيم التي يتبناها الفرد لا

تشأ من فراغ، ولا هي مجردة مطلقة، ولا ثابتة ولا أبدية، بل هي جزء من الخبرة الإنسانية الواقعية، وجزء من حاجات الفرد، كما أنّ لها دوراً كبيراً في توجيه سلوكه، وتحديد العلاقة بينه وبين مجتمعه، وبالنتيجة فهي تؤثر على نوعية حياته، وإنّ مدى هذا التأثير يحدده عمق تبني الشخص لهذه القيم، فمدى عمق هذا التبني قد يكون تأثيره سلبي أو إيجابي على نمط حياته، وهذا يعود إلى نوع القيمة التي يتبناها الشخص والمفهوم المرتبط بها عنده، فهل هي قيم يغلب عليها الطابع المادي أو الطابع الروحي مثلاً، وقد أصبحت القيم ذات الطابع المادي هي الغالبة على قيم الأفراد^(٢).

ولعل ذلك يشكل أحد الأسباب الرئيسة من أسباب اشكالية البحث، مما تطلّب بحث معالجتها في ضوء عهد الإمام علي (عليه السلام) لملك الأشر



(رحمته)، وهو اختيار تحددت فيه أكثر من سمة، منها: الذات الشخصية للإمام (عليه السلام)، والبعد الاستراتيجي للمعرفة بشكل عام في نصّ عهده المبارك، وشخصية مالك الأشتر (رحمته) التي تنماز بالنمط المطيع، وكذلك منها طبيعة الفرد وتأثره بالتطورات الثقافية المتسارعة المغربية التي تسير سلوكه ضمن إدارة غير صحيحة في تشكيل ذاته وتنظيمها، وتجعله مرتبكاً في إدارتها. إذ إنَّ الطريقة المناسبة في إحداث تغيير في السلوك الإنساني هي أن يحدث التغيير في مفهوم الذات^(٣)؛ لأنَّ هذا المفهوم هو فكرة الفرد وعلاقته ببيئته، وإنَّ الكيفية التي يدرك الفرد بها ذاته تؤثر في الطريقة التي يسلك بها، كما أنَّ سلوكه يؤثر في الكيفية التي يدرك فيها ذاته^(٤).

وبما أنَّ الذات هي جزء من تشكل شخصية الفرد وبعد من أبعادها المهمة فإنَّها العامل الأساسي المتفرد في التأثير على السلوك^(٥). فالذات هي الاتجاهات والأحكام والقيم التي يحملها الفرد بالنسبة لسلوكه وقدراته وقيمه بوصفه إنساناً^(٦). وهاهنا مصداق يتجسد في نمط ذات شخصية الإمام علي (عليه السلام) وهو نمط الشخصية العبقريّة؛ «إنَّه فتق أكثر من ثلاثين علماً، لم يعرفها المسلمون من قبل...»^(٧).

وثابت هذا في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) «**أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيُّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا**»^(٨)، ومفصح عنه بقوله (عليه السلام) «**عَلِمَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ يَنْفَتِحُ لِي مِنْهَا أَلْفُ بَابٍ...**»^(٩). ومن بين العلوم التي انفرد بها الإمام (عليه السلام) وضعه لأنظمة الحكم والإدارة في عهده لملك الأشتر (رحمته)، فقد وضع فيه أدق أنظمة الحكم وأعمّها إصلاحاً لحياة الإنسان السياسية (والعامة)،



في مجتمع لم يفقه أي بند من أنظمة الحكم والإدارة، وقد شرع الإمام (عليه السلام) أروع صور الحضارة، وأبهى ألوان التطور والتقدم الفكري^(١٠). وقد تجسد هذا الإصلاح الاجتماعي في نصّ عهده (عليه السلام) بالقيم التي ضمنها فيه -النص- وبالتحديد القيم السياسية؛ إذ يعبر عنها باهتمام الفرد بالنشاط السياسي، وتعني تحقيق أهداف الفرد في السيطرة والحكم والقوة كما يتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيم بالقيادة في نواحي الحياة المختلفة، ويتصفون بقدرتهم على توجيه غيرهم ويكون عادة من المشتغلين بالسياسة^(١١).

المبحث الثاني

عهد الإمام علي (عليه السلام) لملك الأشر

(رحمته)، أمثلة تطبيقية

يوثق الخطاب التوجيهي للإمام علي (عليه السلام)، في نصه المبارك الأطر المنهجية للنصوص القرآنية، ويرسمها على شكل نسق قيمى تكاملي يوضح عن طريقه صورة الذات الإلهية وانطباعاتها في ذهن الفرد، ليمثل قيم هذه الصورة بأبعادها وصفاتها، واسمائها الخالصة، لتصبح سلوكاً، وفكراً، وكينونة، وهدفاً، ومنهجاً، يحدد مسالك طرق حياته العامة

والتحديد القيم السياسية؛ إذ يعبر عنها باهتمام الفرد بالنشاط السياسي، وتعني تحقيق أهداف الفرد في السيطرة والحكم والقوة كما يتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيم بالقيادة في نواحي الحياة المختلفة، ويتصفون بقدرتهم على توجيه غيرهم ويكون عادة من المشتغلين بالسياسة^(١١). إذ تتشكل في بنية النص المبارك دائرة من القيم التي بضمنها القيم السياسية وما تنتجه هذه القيم من دلالات ووظائف مختلفة ومتنوعة في ذهن الفرد يشكل بدوره سلوك



مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ
مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ
مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ؛ وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ
عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى
الْأَسْنِ عِبَادِهِ. فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ
إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ فَاْمَلِكْ
هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ
لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ
مِنْهَا فَيَمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ» (١٣).

حينما نقب في متن هذ المقطوعة من نص عهد الإمام (عليه السلام)، نلحظ أن مفهوم (التقوى) أخذ الموقع الأصل في متن الحديث؛ وهو يشكل القيمة الأساس التي تستند (عليها) وترتبط (بها) وتتكامل (معها) القيم الأخرى مشكلة نسقا قيمياً في بنية نص العهد المبارك، قدمها بصيغة الأمر (ممالك الأشرار حجة)، فقد أمره بأوامر خمسة أولها إصلاح نفسه، العامل الأهم في تقوى الله تعالى - أحد هذه الأوامر - فهو القائل (عليه السلام) «فَمَنْ أَشَعَرَ التَّقْوَى

والخاصة، وبالنتيجة تتشكل عند تمثلها الذات السلوكية للمجتمع، إذ إن ذات الخطاب يعظم هذه القيم بنسق ترابطي يبين أهميتها وفاعليتها الاجتماعية، فقد افتتح عهده (عليه السلام)، بالأمر والتذكير بتقوى الله تعالى واتباع أوامره، والالتزام بنواهيته، وهذا واضح في قوله (عليه السلام): «أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكْفَلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجُمُوحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ. ثُمَّ أَعْلَمَ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُورٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلِ وَجُورٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ



قَلْبُهُ بَرَزَ مَهْلَهُ - وَفَازَ عَمَلُهُ ^(١٤)؛ أي من اتقى تقوى حقيقة برزت مودته؛ أي ظهرت عليه آثار الرحمة الإلهية في السكينة والوقار والحلم والأناة عن التسرع إلى مطالب الدنيا، وعلمت راحته في الآخرة، وفاز عمله فيها بالجزاء الأوفى. ثم أمرهم بإحكام التقوى؛ أي أن تتقوا الله تقوى حقيقية فإنها التي يستحق بها الثواب الدائم، وأن يعملوا للجنة عملها التي تستحق به ^(١٥).

فهذا هو سياق القرآن الكريم الذي أوصى عباده بالتقوى فقال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ^(١٦)؛ والمعنى «جعل الأمر بالتقوى وصية؛ لأن الوصية قول فيه أمرٌ بشيء نافع جامع لخير كثير، فلذلك كان الشأن

في الوصية إيجاز القول؛ لأنها يقصد منها وعي السامع، واستحضاره كلمة الوصية في سائر أحواله، والتقوى تجمع الخيرات؛ لأنها امثال الأوامر واجتناب المناهي. والتقوى المأمور بها هنا منظور فيها إلى أساسها وهو الإيمان بالله ورسوله. وبين بها عدم حاجته تعالى إلى تقوى الناس، ولكنها لصلاح أنفسهم...» ^(١٧).

فالتقوى قيمة ضابطة لقيمة العمل، كما أنها قيمة موجبة تقع على رأس منظومة القيم، على اعتبار أن سيادة التقوى في أعمال المسلمين يؤدي إلى صلاح أحوال المجتمع ^(١٨).

والثاني: اتباع أوامره في كتابه من فرائضه وسننه، ورغب في ذلك بقوله: لا يسعد... إلى قوله: إضاعتها. وتكرّر بيان ذلك ^(١٩).

فالتقوى هي القيمة المشار إليها باتباع الأوامر؛ إذ إن عبادة الله تعالى تتكامل بها، في اتباع لأوامره،



النسق القيمي التكاملي، أثره الاصلاحى في مستوى تشكيل الذات السلوكية للمجتمع؛ بحث في ضوء عهد الإمام علي (عليه السلام) لملك الأشتر (رحمته)...

تَفْضُلًا مِنْهُ وَتَوْسَعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ
أَهْلُهُ... فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا
بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ- وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا
بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ...» (٢٣).

«...بيّن فيها أنّ حقوق الخلق بعضهم على بعض من حقّ الله تعالى من حيث إنّ حقّه على عباده هو الطاعة، وأداء تلك الحقوق طاعات لله كحقّ الوالد على ولده وبالعكس، وحقّ الزوج على الزوجة، وحقّ الوالي على الرعيّة وبالعكس. فصلاح حال الولاية منوط بصلاح الرعيّة واستقامتهم في طاعتهم، وفساد أحوالهم بعصيانهم ومخالفتهم. فإذا أدّى كلّ من الوالي والرعيّة الحقّ إلى صاحبه عزّ الحقّ بينهم ولم يكن له مخالف (٢٤).

والثالث: أن ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه في جهاد العدو. وإنكار المنكرات. رغب في ذلك بقوله: قد تكفّل. إلى قوله: أعزّه (٢٥).

واجتناب لنواهيه، عملاً خالصاً نابعاً من الذات، كما أنها حق من حقوق الله تعالى على البشر، فمن يطع الله تعالى ورسوله يغدق عليه بنعمه ففي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٢٠)؛ بمعنى إنّ الطاعة لازمة من لوازم «صلاح النفس والذات» (٢١)، ومقام المطيعين عند الله تعالى مقام النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهم «منزلون منزلتهم عند الله أي بحكم منه لهم أجرهم ونورهم» (٢٢).

وقد ساق الإمام علي (عليه السلام) في موقع آخر من خطبه جاعلاً من الطاعة بأنّها حق من حقوق الله تعالى، بقوله: «...وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ- وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ-



الْبَيْتِ

..... أ. م. د. مكي فرحان كريم / أ. م. د. ضياء عزيز الموسوي

كقوله تعالى ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

فقد قرن الإمام (عليه السلام) قيمة النصر بقيمة الجهاد، ووظيفة الخاصة وهي مجاهدة العدو- الخروج عن دين الله وطاعته، وقد استشهد بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٢٦)؛ وهو «تخفيض لهم على الجهاد ووعدهم بالنصر إن نصروا الله تعالى فالمراد بنصرهم الله أن يجاهدوا في سبيل الله على أن يقاتلوا لوجه الله تأييداً لدينه وإعلاء لكلمة الحق لا يستعلوا في الأرض أو ليصيبوا غنيمة أو ليظهروا نجده وشجاعة»^(٢٧).

ووظيفته العامة وهي (مجاهدة النفس)؛ بدليل قوله (عليه السلام) «يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ... فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ».

وقد ذكر الجهاد بتعدد وظائفه في موقع مهم في خطبه (عليه السلام) وأسنده

إلى التقوى، وجعله باباً من أبواب الجنة، إذ قال: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ - فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى - وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ»^(٢٨).

«وبيانه أن الجهاد تارة يراد به جهاد العدو الظاهر كما هو الظاهر هاهنا، وتارة يعنى به جهاد العدو الخفي وهو النفس الأمارة بالسوء.

وكلاهما بابان من أبواب الجنة، والثاني منها مراد بواسطة الأول إذ هو لازمة له؛ وذلك أنك علمت أن لقاء الله سبحانه ومشاهدة حضرة الربوبية هي ثمرة الخلقة وغاية سعي عباد الله الأبرار، ثم قد ثبت بالضرورة من دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

أن الجهاد أحد العبادات الخمس، وثبت أيضا في علم السلوك إلى الله أن العبادات الشرعية هي المتممة والمعينة على تطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس المطمئنة، وأن التطويع كيف



النسق القيمي التكاملي، أثره الاصلاحى في مستوى تشكيل الذات السلوكية للمجتمع؛ بحث في ضوء عهد الإمام علي (عليه السلام) مالك الأشر (عليه السلام)...

يكون وسيلة إلى الجنة التي وعد المتقون» (٢٩).

وفي مجاهدة النفس فقد انطلق الإمام (عليه السلام) من المصدر الأصل وهو القرآن الكريم، لتبيان الوظيفة الذاتية في

قيمة الجهاد مستشهداً بقوله تعالى:

﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٠)؛ «أي إن النفس بطبعها

تدعو إلى مشتيتها من السيئات

على كثرتها ووفورها فمن الجهل أن

تبرأ من الميل إلى السوء، وإنما تكف

عن أمرها بالسوء ودعوتها إلى الشر

برحمة من الله سبحانه تصرفها عن

السوء وتوفقها لصالح العمل» (٣١).

وتكامل الوظيفة الجهادية ضمن

النسق القيمي في الأمر الرابع، أن

يكسر من نفسه عند الشهوات. وهو

أمر بفضيلة العفة (٣٢).

فالعفة؛ قيمة تطلق على معنيين

عام وخاص، فالعام هو ضبط

النفس في مقابل الرغبات والميول
الإنسانية والإفراط في اتباعها، وأما
الخاص هو ضبط النفس في مقابل
متطلبات الغريزة الجنسية والتحلل
الأخلاقي (٣٣).

وفي حديث للإمام علي بن الحسين

(عليهما السلام) «ما من شيء أحب

إلى الله بعد معرفته من عفة بطن

وفرج، وما من شيء أحب إلى الله من

أن يُسأل» (٣٤).

بمعنى إن العفة مانعة من وجود

السبب المزاحم، والسبب المزاحم

أشدُّ تأثيراً من السبب المعد دائماً،

وفي الأمور المعنوية كذلك، فإنَّ

الإنسان الذي يأتي بالعبادات كثيراً

ولكنه في الوقت نفسه يُدخل على

قلبه وروحِهِ الذنب والمعصية فهنا

لن يكون لعبادته أي أثر، بخلاف

ما إذا لم يندس القلب شيء من

الذنوب؛ فإنَّ فطرته الإلهية سوف

تهديه إلى الرشد والكمال (٣٥). فالعفة



هي السمو والترفع عن ملذات الدنيا وترك شهواتها، وهذا هو هدفها الأصل.

والأمر الخامس: أن يكفها ويقاومها عند الجمحات. وهو أمر بفضيلة الصبر عن اتباع الهوى وهو فضيلة تحت العفة، وحذر من النفس^(٣٦) (بدليل الآية المباركة).

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٣٧). فالصبر قيمة

عبر عن قسر النفس على مقتضيات الشرع والعقل أوامر ونواهي، وهو دليل راحة العقل، وسعة الأفق، وسمو الخلق، وعظمة البطولة والجلد، كما هو معراج طاعة الله تعالى ورضوانه، وسبب الظفر والنجاح، والدرع الواقى من شماتة الأعداء والحساد^(٣٨).

تعبير عن قسر النفس على مقتضيات الشرع والعقل أوامر ونواهي، وهو دليل راحة العقل، وسعة الأفق، وسمو الخلق، وعظمة البطولة والجلد، كما هو معراج طاعة الله تعالى ورضوانه، وسبب الظفر والنجاح، والدرع الواقى من شماتة الأعداء والحساد^(٣٨).

والصبر ضربان: إما أن يكون بدنياً، وإما نفسياً، فأما البدني كتحمل

المشاق بالبدن والثبات عليها، وكتعاطي الأعمال الشاقة، وأما النفسي فيكون عن مشتريات الطبع ومقتضيات الهوى، ثم إن هذا الضرب إن كان صبراً على شهوة البطن والفرج سمي عفة، وإن كان على احتمال مكروه، اختلفت تسمياته عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر، فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر، وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع، وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الحدود وشق الجيوب وغيرهما.

وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس، وتضاده حالة تسمى البطر، وإن كان في حربٍ ومقاتلةٍ سمي شجاعةً ويضاده الجبن، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حليماً ويضاده التذمر. وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص،



عليه حتى يبتليه، فإن صبر وخرج من البلاء سليماً مدحه ووصفه وإلا بين له كذبه ودعواه^(٤١).

فقد تجسدت وصية الإمام علي (عليه السلام) في عهده المبارك لمالك الأشتر (رحمته) بدعوته إلى الشجاعة والجرأة والعمل بما فيه خير وتحمل الداء وعدم الاستنامة إليه، والصبر بمراتبه، وإخفاء الزهد، أي الزهد في سبيل التظاهر والزهد في القلب مع مواصلة العمل والجهاد، ونبيه عن الإعجاب بالنفس وحب الثناء، ولا تعرض نفسك للهلاك إلا أن تقضي غاية سامية وضرورة لازمة، فإنه أدخل في نطاق المعاملة النفسية، كل هذه العهود يتناولها الإنسان بينه وبين نفسه، وبين نفسه وبين الآخر^(٤٢).

فقد تجسدت تكاملية القيم بشكلها النسقي والترابطي بحسب أهميتها في هذه المقطوعة من نص العهد المبارك

وإن كان صبراً عن قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشر^(٣٩).

وقد ذكر الإمام (عليه السلام) الصبر بقوله: «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى،... جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَقَاتِهِ...»^(٤٠).

ف(الصبر) قيمة خلقية ومظهر من مظاهر الشخصية الإنسانية المؤمنة، تُعرف به حقيقة الإيمان وحسن اليقين بالله، والصبر والتقوى في الإسلام صنوان لا يفترقان، أحدهما منوط بالآخر لا يتم كل واحد منهما إلا بصاحبه، فمن كانت التقوى مقامه كان الصبر حاله، ومن هنا يكون الصبر أفضل الأحوال من حيث كانت التقوى أعلى المقامات، إذ الأتقى هو الأكرم عند الله تعالى، والأكرم على الله تعالى هو الأفضل، وإن كان كل شيء به وكل عمل صالح له ولا يصف الله تعالى عبداً ولا يثني



للإمام علي (عليه السلام) بصورة خطاب رسم عن طريقه لوحة الإدارة والحاكمية (لمالك الأشتر (رضي الله عنه)) وتطبيقها بمعية رعيته فيما إذا حصل الاستعداد الذاتي من الرعية، وإظهار هذه القيمة لهم في سلوك حكمه تمثلاً ذاتياً لمنهج القرآن الكريم، ولا مصطنعاً بحسب الرغبة واللذة والشهوة. وجعل هذه القيم مركزاً مهماً للتنشأة الاجتماعية حصيلتها أن يتمثلها الفرد لتصبح منهجه في تشكيل ذاته السلوكية في المجتمع.

الخاتمة (أهم النتائج والاستنتاجات)

١. جسد الإمام علي (عليه السلام) منظومة القيم الإلهية بنسق منتظم مترابط الوظيفة والأهمية، في منهج سياسته وإدارته في توعية المجتمع وإصلاحه، عن طريق ما تضمنه عهده إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه).

٢. اتسمت القيم المتضمنة في وثيقة العهد المبارك بشمولية النسق من جهة زمكانيتها، وأهدافها، ووظائفها، وتحفيز الدافع نحوها؛ لما يحمله النص من بلاغة عالية وأسلوب يحاكي الوجدان، وينشط الذاكرة الإدراكية للفرد بإعادة بناء شخصيته وتشكلها ذاتياً.

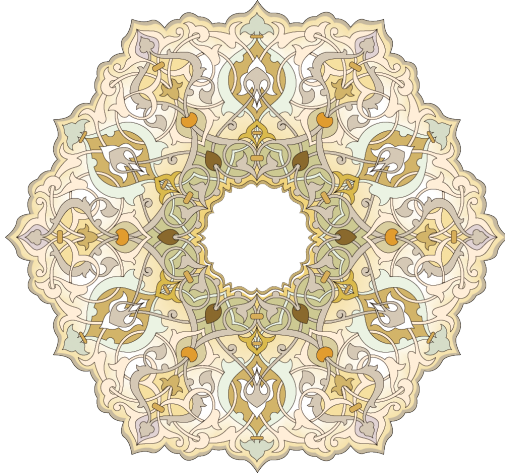
٣. تتضح أهمية النسق القيمي في نص

لأنّ القيم تعد من أهم موجّهات السلوك الإنساني وهي ضوابط اجتماعية تضبط السلوك المرغوب والسلوك غير المرغوب^(٤٣)، إذ إنّ الوعي بقيمة الأشياء هو بمثابة رد فعل إنساني أو حركة تبادلية بين عالم الأشياء ووجودها الواقعي من جهة، وبين عالم الذات وظروفها الاجتماعية من جهة أخرى^(٤٤). وهذا



النسق القيمي التكاملي، أثره الاصلاحى في مستوى تشكيل الذات السلوكية للمجتمع؛ بحث في ضوء عهد الإمام علي (عليه السلام) مالك الأثر (ج ١) ..

العهد المبارك للفرد في استعداده على
تهيأة التقنية المناسبة في تقبل القيمة
وتمثلها، وجعلها أداة مساعدة في إدارة
حياته العامة والخاصة.
٤. التقوى، والطاعة، والجهاد،
والعفة، والصبر، صفات عليا جعلها
الله من عزم الأمور، وأضاف إليها
في القرآن الكريم أكثر الدرجات
وأكبرها، وأعلى المراتب وأسماها،
وجعلها صفات منتجة دائماً.
٥. تعد شخصية الإمام علي (عليه السلام)
هي المصدر الحقيقي الصادق لقيم
القرآن الكريم؛ وهذا ما تضمنه نص
عهده المبارك، من منهج فكري،
وعلمي، ودستوري، وعلمي،
وتربوي، يتمثله (العالم/ الخاص)،
(المسلم/ غير المسلم) في كل مكان
وزمان.



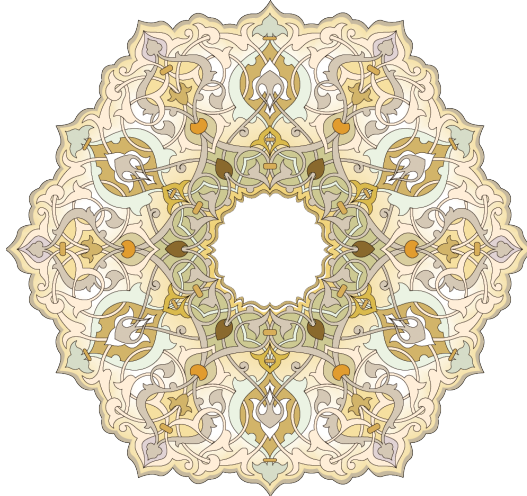
الهوامش:

- ١٥٣.
١. ينظر: الزبيد، ماجد، الشباب والقيم في عالم متغير، ط ١، الأردن، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٦. ص ٤٦.
 ٢. عبود، ضحى، وبشرى نبيل خليل، النسق القيمي وعلاقته بالقلق لدى عينة من طلبة جامعة دمشق، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية- سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية (المجلد ٦٣) (العدد ٣)، ٢٠١٤. ص ١٣٥ - ١٣٦.
 ٣. حامد زهران، ١٩٩٠، ص ٢٩١.
 ٤. صالح ابو جادو، ١٩٩٨، ص ١٥١.
 ٥. نعيمة الشاع، ١٩٧٧، ص ١٨٥.
 ٦. من رسالة مفهوم الذات ص ٧.
 ٧. العقاد، عبقرية الإمام علي (عليه السلام).
 ٨. مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ابن المغازلي الشافعي: ١٠١.
 ٩. الاختصاص، الشيخ المفيد: ٢٨٣.
 ١٠. القرشي، باقر شريف، شرح العهد الدولي للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لملك الأشر (رحمته)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط ١، ستارة للطباعة، النجف الأشرف، د. ت.
 ١١. زهران ص ١٢٥.
 12. Kitwood 1976, p. 227.
 ١٣. شرح نهج البلاغة، ج ٥، ص ١٣٥.
 ١٤. نفسه، ج ٣، ص ١٥١.
 ١٥. شرح نهج البلاغة. مصدر سابق. ج ٣، ص ١٠٦.
 ١٦. النساء/ ١٣١.
 ١٧. تفسير ابن عاشور، ص ٩٩.
 ١٨. في فلسفة التربية، نظريا وتطبيقيا، أحمد علي محمد، المنهل، ٢٠١٤. ص ١٣٠.
 ١٩. شرح نهج البلاغة. مصدر سابق. ج ٥، ص ١٣٥.
 ٢٠. النساء/ ٦٩.
 ٢١. تفسير الميزان، الطباطبائي، ج ١، ص ١٧٦.
 ٢٢. تفسير الميزان. مصدر سابق. ج ١٩، ص ٨٨.
 ٢٣. شرح نهج البلاغة (ابن ميثم)، ج ٤، ص ٣٩.
 ٢٤. نفسه، ج ٤، ص ٤٣-٤٤.
 ٢٥. نفسه، ج ٥، ص ١٣٦.
 ٢٦. محمد/ ٧.
 ٢٧. تفسير الميزان. مصدر سابق. ج ١٨، ص ١٢٠.
 ٢٨. شرح نهج البلاغة (ابن ميثم)، ج ٢، ص ٣٠.
 ٢٩. نفسه، ج ٢، ص ٣٣.
 ٣٠. يوسف/ ٣٥.
 ٣١. تفسير الميزان. مصدر سابق. ج ١١، ص ١٠٦.
 ٣٢. شرح نهج البلاغة (ابن ميثم)، ج ٥، ص ٣٦.
 ٣٣. الأخلاق في القرآن ج ٢: ٢٥٩.
 ٣٤. تحف العقول: ٢٨٢.
 ٣٥. العفة القرآنية. سورة يوسف مثلاً، جعفر علي المالكي، مجلة رسالة القلم- العدد ٢٧- ٧ رجب ١٤٣٢ هـ (https://www.olamaa.cc/).



النسق القيمي التكاملية، أثره الاصلاحى في مستوى تشكيل الذات السلوكية للمجتمع؛ بحث في ضوء عهد الإمام علي (عليه السلام) مالك الأشتر (رحمته).. (البيان)

٣٦. شرح نهج البلاغة (ابن ميثم)، ج ٥، ص ٤١. قوت القلوب في معاملة المحبوب: أبو طالب المكي: ١ / ٣٣١.
٣٧. الكهف: ٢٨.
٣٨. ينظر: مفردات غريب القرآن: ٢٧٣.
٣٩. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٤.
٤٠. ص ١٠٤.
٤١. قوت القلوب في معاملة المحبوب: أبو طالب المكي: ١ / ٣٣١.
٤٢. الأغراض الاجتماعية في نهج البلاغة، محسن الأمين، ط ٢، مؤسسة البلاغ، ١٩٨٧.
٤٣. سيف الإسلام على مطر، التغيير الاجتماعي، ط ٢ (المنصورة دار الوفاء للطباعة، ١٩٨٨) ص ٧٩.
٤٤. قبارى محمد إسماعيل، قضايا علم الأخلاق، مرجع سابق، ص ٧٧.



المصادر

القرآن الكريم

ط ٢، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، ١٩٨٨.

١١. الشماع، نعيمة، الشخصية النظرية والتقييم
مناهج البحث، المنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية،
١٩٧٧.

١٢. الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم (دام ظلّه
العالی) بالتعاون مع مجموعة من الفضلاء،
الأخلاق في القرآن، مدرسة الإمام أمير المؤمنين
(عليه السلام). د. ت.

١٣. عبد الله، نبوية لطفي، مفهوم الذات لدى
الاطفال المحرومين من الأم دراسة مقارنة،
جامعة عين شمس، مصر، ٢٠٠٠.

١٤. عبود، ضحى، وبشرى نبيل خليل، النسق
القيمي وعلاقته بالقلق لدى عينة من طلبة
جامعة دمشق، مجلة جامعة تشرين للبحوث
والدراسات العلمية- سلسلة الآداب والعلوم
الإنسانية (المجلد ٦٣) (العدد ٣)، ٢٠١٤.

١٥. العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام علي
(عليه السلام) المكتبة العصرية للطباعة والنشر، مصر،
١٩٤٩.

١٦. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء
علوم الدين، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٤.

١٦. القرشي، باقر شريف، شرح العهد الدولي
للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لملك الأشر (رحمته)،
تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط ١، ستارة
للطباعة، النجف الأشرف، د. ت.

١٧. المالكي، جعفر علي، العفة القرآنية. سورة

١. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير
والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ٢٠٠٨.

٢. أبو جادو، صالح محمد، سيكولوجية التنشئة
الاجتماعية، ط ١، دار المسيرة، عمان، ١٨٨٩.

٣. الأمين، محسن، الاغراض الاجتماعية في نهج
البلاغة، ط ٢، مؤسسة البلاغ، ١٩٨٧.

٤. البحراني، العلامة كمال الدين ميثم بن علي
بن ميثم، شرح نهج البلاغة، ط ١، منشورات دار
الثقلين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

٥. تفسير الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين
الطباطبائي، صححه وأشرف على طباعته: الشيخ
حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، طبعة ١ محققة، ١٩٩٧.

٦. الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل
الرسول، انتشارات الإسلامية، ١٣٨٤ هـ. ق.

٧. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن
محمد المعروف (ت: ٥٠٢ هـ)، المفردات في غريب
القرآن: تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار
القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٢ هـ.

٨. زهران، حامد عبدالسلام، علم نفس النمو،
«الطفولة والمراهقة»، ط ٥، علم الكتب، القاهرة،
١٩٩٠.

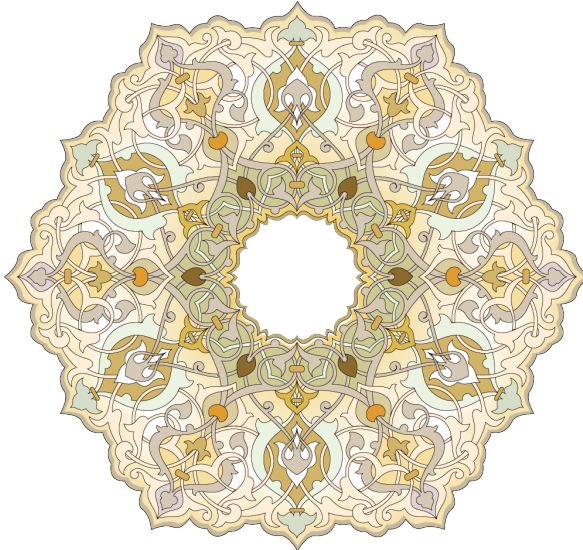
٩. الزبيد، ماجد، الشباب والقيم في عالم متغير،
ط ١، الأردن، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٦.

١٠. سيف الإسلام، علي مطر، التغيير الاجتماعي،



النسق القيمي التكاملية، أثره الاصلاحى في مستوى تشكيل الذات السلوكية للمجتمع؛ بحث في ضوء عهد الإمام علي (عليه السلام) مالك الأشتر (رحمته).. (البيان)

- يوسف مثلاً، مجلة رسالة القلم - العدد ٢٧-٧ طالب [عليه السلام]، المحقق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوداعي، ط ١، دار الآثار، صنعاء، رجب ١٤٣٢ هـ (https://www.olamaa.cc).
١٨. محمد، أحمد علي، في فلسفة التربية، نظرياً وتطبيقياً، المنهل، ٢٠١٤.
١٩. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ط ٢، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧.
٢٠. المغازلي (المتوفى: ٤٨٣ هـ)، علي بن محمد بن محمد بن الطيب، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [عليه السلام]، المفيد، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، ط ١، نشر وتحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، د. ت. ٢٢. المكّي، أبو طالب (ت ٣٨٦ هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، ط ١، دار العلوم، القاهرة، ٢٠٠١.



قال أمير المؤمنين (عليه السلام)

الجُودُ حَارِسُ الأَعْرَاضِ وَالْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِينَةِ وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ وَالسُّلُوكُ
عَوْضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ وَالإِسْتِشَارَةُ عَيْنُ الهِدَايَةِ وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَعْنَى
بِرَأْيِهِ وَالصَّبْرُ بِنَاضِلِ الحِدْثَانِ وَالْمُجْنَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ وَأَشْرَفُ
الغِنَى تَرْكُ المُنَى وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَى أَمِيرٍ وَمِنَ التَّوْفِيقِ
حِفْظُ التَّجْرِبَةِ وَالْمُودَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ وَلَا تَأْمَنْ مَلُولًا.



**الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحية
في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)،
جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجا**

**The preachy speech and its reforming aim
in the biography of Imam Ali Ibn Abi- Talib
(peace be upon him) for instance
(aspects of «Al- waseela speech»)**

**أ. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي
كلية الآداب - جامعة البصرة
م. قاسم عبد سعدون الحسيني
كلية التربية / جامعة ميسان**

**Dr. Anasam Ghadhban About Al-bahli, Associate professor,
college of Arts, Basra university.**

**Lecture. Qassem Abd Saadoun Al-Husseini
college of education/ Mausan university.**

ملخص البحث

يُسلط هذا البحث الضوء على واحدة من خطب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهي خطبة الوسيلة التي اجتمعت فيها جواهر من الكنوز البلاغية لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وحكمه البليغة، وقد تناولنا جوانب مهمة من هذه الخطبة، واقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تناول المبحث الأول مفهوم الخطاب الوعظي وأدواته، أما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان النهج الوعظي في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، في حين تناول المبحث الثالث، خطبة الوسيلة في محاور عدة وهي:

١. سندها وأهم مصادرها.
٢. عنوانها وتاريخها.
٣. محورية قضية الإمامة في خطبة الوسيلة.
٤. جوانب من الخطاب الوعظي في خطبة الوسيلة.



Abstract

This research shed lights on one of prince of true believers (peace be upon him) speeches and its «Al-waseela speech» which gathered in it jewels from rhetorical treasure by prince of true believers (peace be upon him) and his eloquent wisdoms and we addressed an important aspects from this speech and nature of this subject required dividing it into introduction and three researches and conclusion the first research deals with the concept of the preachy speech and its tools and second research entitled the preachy approach in the biography of prince of true believers Ali Ibn-Tablib (peace be upon him) and the third research deals with» Al-waseela speech» in several axis and it is:

- 1- Backing and the most important references
- 2- Its title and history
- 3- The central of leadership cause in «Al-waseela speech»
- 4- Aspects of the preachy speech in «Al-waseela speech».



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحية في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً (عليه السلام)

المقدمة

النهج الوعظي في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كما تناول المبحث الثالث، خطبة الوسيلة في محاور عدة وهي:

١. سندها وأهم مصادرها.
٢. عنوانها وتاريخها.
٣. محورية قضية الإمامة في خطبة الوسيلة.
٤. جوانب من الخطاب الوعظي في خطبة الوسيلة.

ونحن نأمل في عملنا هذا ذكر شيء بسيط من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودوره الكبير في تهذيب النفس وبناء شخصية الإنسان، تربية إسلامية تتوافق مع تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف.

المبحث الأول

مفهوم الخطاب الوعظي وأدواته

الإطار اللغوي والاصطلاحي
الخطاب لغة: الخطب سبب الأمر، والخطاب مراجعة الكلام والخطبة

تُعد خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، منهلاً ثراً لكثير من المعارف والحكم التي تناقلتها الألسن وتعلقت بها القلوب مشغوفة بظاهرها الأنيق وباطنها العميق وأسرارها التي تدفقت من علم الإمام علي (عليه السلام)، بحرّاً متلاطماً يغدق فيضهُ على الأزمنة، يحدث كل زمان بلسانه حتى يوم الناس هذا، يُسلط البحث الذي بين أيدينا الضوء على واحدة من تلك الخطب، وهي خطبة الوسيلة التي اجتمعت فيها جواهر من الكنوز البلاغية لأمر المؤمنين (عليه السلام)، وحكمه البليغة، وقد تناول الباحثان جوانب مهمة من هذه الخطبة، واقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، تناول المبحث الأول مفهوم الخطاب الوعظي وأدواته، أما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان



مصدر الخطب^(١)، وفي خطبِ الخاء والطاء والباء أصلان أحدهما الكلام من اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطاباً والخطبة من ذلك^(٢)، والخطب الأمر يقع وإنما سُمي ذلك لما يقع من التخاطب والمراجعة وخطب الخاطب على المنبر، يخطب خطبة ورجل خطيب حسن الخطبة والجمع خُطباء^(٣).

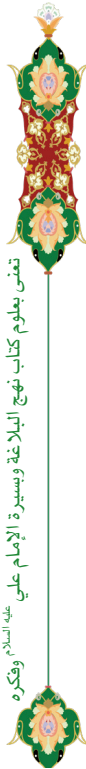
والخطابة قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض من ترغيب الناس فيما ينفعهم معاشاً ومعاداً كما يفعله الخطباء الوعاظ^(٤).

من خلال ما ورد من تعريفات نستطيع أن نقول بأن الخطاب عملية تفاعلية تتم بين طرفي الخطاب، وهي المتكلم والمخاطب (المرسل والمتلقي) وهذه هي عناصر الخطاب^(٥).

وتخضع عملية التواصل بالخطاب لشروط عدة هي:

١. الإفهام باللفظ.
٢. أن يكون المتلقي (المخاطب) متهيئ لفهم المرسل (المتكلم).
٣. أن يكون المرسل (المتكلم) معتقداً فيه.

المعنى الاصطلاحي: الخطاب في معناه الاصطلاحي يقترب كثيراً من المعنى اللغوي، فالخطاب هو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو مُتهيئ لفهمه، أحترز باللفظ على الحركات والإشارات المفهومة بالمواضعة عن الألفاظ المهملة، وبالمقصود به الإفهام عن كلام يُقصد به إفهام المستمع فانه لا يسمى خطاباً، ويقول لمن هو مُتهيئ لفهمه عن الكلام لا من لا يفهم كالنائم، والكلام يطلق على



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاح في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً (الخطبة)

٤. أن تكون الرسالة (الخطاب) ومضامينه وحالاته الدلالية وهو في كل حالة يخضع لقواعد وقوانين مما يستلزمه التبليغ من تقنيات ظاهرة (المُخاطب).

٥. إن للخطاب أهدافاً يتوخاها الخطيب من خطابه بحسب نوع ذلك الخطاب^(٧).

والملاحظ هنا تعدد الآراء والمواقف النقدية المعاصرة في تعريف الخطاب، فالخطاب هو الصيغة التي نختارها لتوصيل أفكارنا إلى الآخرين، والصيغة التي نتلقى بها أفكارهم، فينبثق من المفهوم الضيق إلى الرحب ليدل على ما يصدر عن المرسل من كلام أو إشارة أو أبداع فني، والخطاب يتجاوز حدود اللغة المنطوقة ليضم تحت جوانحه كل ما

نعتبر به عن أنفسنا للآخرين، وعلى ما يعبرون لنا به عن أنفسهم، فيولد عندنا لغتين: منطوقة وغير منطوقة، ونوعين مباشر وغير مباشر أيضاً، فيتنوع الخطاب^(٨) وتختلف أشكاله

وقد تعددت أنواع الخطاب بحسب مضامينه إلى عدة أنواع وتقترن بعدة أوصاف مثل: الخطاب السياسي، الديني، الصوفي، التاريخي، الاجتماعي والثقافي وغير ذلك^(١٠).
الوعظ. الأصل اللغوي: الواو والعين والطاء كلمة واحدة، فالوعظ التخويف والعظة، والاسم منه قال الخليل هو التذكير بالخير وما يرق له القلب^(١١)، والوعظ هو النصيح والتذكير بالعواقب، نقول وعظته وعظاً وعظته فأتعظ أي قبل



الموعظة^(١٢).

بين المتكلم والخطاب مع التركيز على

البُعد الحجاجي والإقناعي وأفعال

الكلام داخل النص^(١٤)، فهي تهتم

بالمتكلم ومقاصده بعدّه محرّكاً لعملية

التواصل، وتراعي حال السامع

أثناء الخطاب، كما تهتم بالظروف

والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية

التواصلية ضماناً لتحقيق التواصل

ولتستغلها في الوصول إلى غرض

المتكلم وقصده من كلامه^(١٥).

أثر الخطاب وأهميته في بناء الأمة

تؤدي الخطب غاية مهمة في حياة

الأمة فهي وسيلة لإيصال رسالة

تختلف مضامينها ومعطياتها بحسب

أهدافها أو غاياتها، وهي بالتأكيد

تلامس الواقع الاجتماعي والسياسي

والفكري لعامة الناس على اختلاف

طبقاتهم ومستوياتهم وتوجهاتهم،

وهي بهذا ترتبط ارتباطاً وثيقاً

بالواقع المعاش للفرد والجماعة فلا

تخرج في مسارها في هذه الأطر، وأن

المعنى الاصطلاحي: الوعظ

هو اهتزاز النفس بموعدود الجزء

ووعيده، وقيل التذكير بالخير فيما

يرق له القلب، والوعظ زجر مقترن

بتخويف ودعوة الأشياء بما فيها

من العبرة للانقياد للإله الحق بما

يخوفها^(١٣)، فالوعظ تذكير بالعقاب

والثواب مقترن بالترغيب والترهيب

للوصول إلى الطاعة والانقياد لإله

الحق بما يخوفها. فها هو موضوع

الوعظ وهدفه ولا يكون الوعظ إلا

بواسطة الخطاب، فالخطاب وسيلة

لنقل الموعظة وهو بهذا يرتبط ارتباطاً

وثيقاً بالخطاب. ويُدرس الخطاب

بأنواعه في ميدان الدراسات اللسانية

في إطار نظرية تُعرف بالنظرية

التواصلية أو التداولية، وفق منهجية

تناول الجانب الوظيفي والتداولي

والسياقي في النص أو الخطاب،

وتدرس مجمل العلاقات الموجودة



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاح في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً (الخطبة)

تنوعت موضوعاتها الدينية، التربوية، السياسية والثقافية.

لابد أن يكون للخطاب أثره

وانعكاسه في المجتمع سلباً وإيجاباً

فقد يُعبأ الخطيب جمهوره للثورة على

ظاهرة اجتماعية منبوذة، أو سلوك

منحرف هدام، أو عادات اجتماعية

مقنونة عفا عليها الزمن وعرتها يد

الإصلاح والتهديب، أو دعوة للثورة

على الظلم والدفاع عن المظلومين،

والجهاد لنصرة الدين والذود عن

الوطن، أو تحفز النفوس للتخلص

من أمراضها وتطهيرها من أدرانها

للوصول بها إلى أعلى مراتب الكمال

الذي خلقت لأجله، فالخطاب في

هذا الإطار يسير في مسار إيجابي

يتوخى الإصلاح والتركيز على البعد

الروحي والإنساني في حياة الفرد

والمجتمع، وقد يسير الخطاب في

مسار سلبي غير مُعلن بل متلبس

بلباس الفضيلة، ونصرة الحق

والدفاع عن الإنسان ومساندة القيم

النيلة وتوحيد الأمة وحقن دماء

أبنائها ووئد الفتن ومتخفياً دون

إظهار أهدافه الحقيقية، وإنما يحاول

التمويه^(١٦)، عن المقاصد والغايات

التي وجد لأجلها وعادة ما يكون

أصحاب هذا الاتجاه أصحاب

السلطة وحاشيتهم وأنصارهم، أو

من هم في ركبهم^(١٧)، من وعاظ

السلطين وصنائعهم واللاهثين

وراء مصالحهم وغاياتهم المشبوهة،

وقد يستغل هؤلاء عواطف الجماهير

فيوجهون خطابهم لصالح قضية

باطلة^(١٨).

إمكانات الخطيب وأدواته

لابد للخطيب من امتلاك

الأدوات التي تمكنه من التأثير

في الجمهور وشدهم نحو خطابه

واقتناعهم بما يدعو إليه^(١٩)، ومن

أهم هذه الأدوات وأكثرها تأثيراً

على المخاطب هي اللغة، فالخطاب



بحاجة إلى بلاغة وخطيب ضليع في فهم القضايا والتعبير عنها، ولا بد أن يكون خطابه أكثر انسياباً، وتدفقاً دون تكلف في الخطاب، وأن يتصف بعمق انتمائيه إلى القضية التي يتحدث عنها، وإلى من يمثلهم أو ينوب عنهم، فالخطيب هو الذات المحورية في أنتاج الخطاب لأنه هو الذي يتلفظ به ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه، وهو الذي يوظف اللغة في مستوياتها المتميزة بتفعيلها في نسيج خطابه ذلك التفعيل الذي ينوع طاقاتها الكامنة^(٢٠).

يُقاس حصوله وتحقيقه من خلال المشاهدة (البكاء أو فيضات الدموع، أو الإقبال الشديد على الواعظ)، أو من خلال شعور المتلقي الداخلي (حضور القلب وخشوعه أو فرجه أو سروره)، أو من خلال التأثير بعيد المدى والذي يكون بتعديل السلوك من السلب للإيجاب أو التدرج الحسن إلى الأحسن^(٢١).

أن مفهوم التأثير لا يمكن تحديده بمقادير محددة تظهر جملة وتخفي جملة، بل لكل متلق ما يخصه من تأثير، وما يترتب على التأثير من نواتج سلوكية واستجابات شرطية، وإذا حاولنا أن نبحث عن سر التأثير في الخطاب الوعظي يمكننا أن نضع أيدينا على سببين:

أن طبيعة الخطاب الوعظي أنه خطاب مؤثر يعمل على مخاطبة القلوب وتليينها وخشوعها، وإحداث التأثير على جمهور المتلقين في عملية التواصل اللغوية وهو أهم أهداف اللغة التي يشير إليها فلاسفة اللغة المعاصرين، ولكن التأثير الوجداني الذي يمكن أن

الأول: سحر الخطاب.

الثاني: سحر الأداء، وقد شبه الخطاب بالسحر وأمام السحر يصبح المتلقي مكتوف اليدين تستمليه رقى

في عملية التواصل اللغوية وهو أهم أهداف اللغة التي يشير إليها فلاسفة اللغة المعاصرين، ولكن التأثير الوجداني الذي يمكن أن



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحية في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً (الخطبة)

الكلام وجماليات اللغة وصرف الأمور في ظواهرها ولا يمتلك

المتلقي إلا أن يلين قلبه وتذرف عيناه^(٢٢). والوعظ المتمكن من أدواته

اللغوية يسير في هذا الفلك التأثيري على المخاطبين، بما يحويه من أدبية

تكمن في: المجاز والذي من شأنه أن يقرب البعيد القريب ويصور الحسي

ويكون قاموساً جديداً للمتلقي يرى من خلاله الأشياء والتشبيهات

بطرائقها المختلفة، وما يلحق بها من ضرب الأمثال، كذلك النظم على

مقتضى المعاني النحوية ويقصد بها سياق الجمل على هيئة مخصوصة من

تقديم وتأخير وذكر وحذف وغير ذلك والاعتماد على الجمل القصيرة

غالباً ذات القرع والإيقاع المؤثر على السمع، وكذلك استعمال الجمل

الإنشائية بنوعيتها، إذ إن هذه الجمل در على مخاطبة الوجدان واستثارة

العواطف والاستشهاد والتضمينات

الكلام شعراً ونثراً^(٢٣).

إنَّ للايجابية أو التلميحية في اللغة دورها القوي والمؤثر في الخطاب، وهي تختصر معانٍ جمّة، وأفكاراً عميقة في كلمة أو كلمات قصيرة^(٢٤)، حيث أنها أحد أهم استراتيجيات الخطاب التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يُغيّر معنى الخطاب الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمراً بذلك عناصر السياق^(٢٥)، وبهذا يكون مصدر قوة اللغة الذاتية كونها تحتوي طبقات من المعنى في كل عنصر من عناصرها، فالطبقة الأولى ما تشير إليه الكلمات مباشرة أو ما يسمى الدلالة الذاتية، والطبقة الثانية ما تتضمنه أو توحى به أو ما يسمى الإيحاء^(٢٦).

أما الأداة الثانية التي يجب أن



يملكها الخطيب فهي مهارة الأداء أو ما أشير إليه سلفاً (بسحر الأداء) وهذه الأداة لها ارتباط وثيق بشخصية الخطيب ومدى قوتها وتأثيرها ومكانتها في نفوس المخاطبين فهي بناء مختلط من الذكاء والإبداع والثقة، فالطريقة التي يعبر بها المتحدث عن نفسه لها تأثير في صورته وبخاصة على المدى الطويل (٢٧).

إنَّ مهارات الأداء الخطابي كثيرة جداً، وأهمها استخدام الصوت خفضاً ورفعاً بطريقة مؤثرة يتفاعل الخطيب بها مع إيقاع كلماته ووقعها في النفوس، ويضاف إلى الصوت وحسنه تعبيرات الجسد وحركاته وإيماءاته وما يظهر عليه من ملامح التأثير حماساً وحنناً، وكذلك حسن الوقف على الجمل تامة غير منقوصة مع الابتعاد عن أللحن والخطأ كل ذلك وغيره من مهارات إذا أحاط

بها الواعظ علماً وتطبيقاً مع لغة راقية كان التأثير في أوجه وقوته (٢٨). لا بد للخطيب الواعظ أن يكون عالماً حكيماً، ذلك أن الجاهل لا يعرف ما يعظ به وغير الناصح ربما يتخير من الكلام ويستخدم من البيان ما له فيه غرض وغاية ومنفعة صلح به الناس أم فسدوا كما أن غير الحكيم ربما كان ضرره أكبر من نفعه لو وضع وعظه في غير محله وإيراده في غير موقعه. أن الواعظ حكمة والحكمة إذا أعطيتها لغير أهلها فقد ضيعتها وظلمتها والواجب أن يعطى لكل ما يناسبه وما ينتفع به ويفهمه (٢٩).

المبحث الثاني

النهج الوعظي في سيرة الإمام علي

(عليه السلام)

كان البعد الوعظي حاضراً في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولم يقتصر على الجانب





الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحي في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً
النظري الذي طغى على خطبه
وكلماته بل شمل أيضاً الجانب
العملي في كل جزئية من تفاصيل
حياته الشريفة^(٣٠)، وهو بهذا يقدم
درساً تطبيقياً للأمة إذ لا يكفي أن
يكون الواعظ واعظاً بلسانه دون
عمله، كما أنه (عليه السلام) يتمثل بالنهج
القرآني دستوراً للحياة ورائداً للسير
في طريق الإصلاح ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ﴾^(٣١)، فالقول والعمل في
منظور أمير المؤمنين (عليه السلام) صنوان
يعضد أحدهما الآخر لا يفترقان إلا أن
يكون النفاق والرياء قريباً لهما، وقد
أثر عنه دعائه عليه السلام «اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَحْسَنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ
عَلَانِيَتِي، وَتَقْبَحَ فِيهَا أَبْطُنُ لَكَ
سَرِيرَتِي، مُحَافِظًا عَلَى رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ
نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ
مِنِّي، فَأَبْدِي لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي،

وَأَفْضِي إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي، تَقَرُّبًا إِلَى
عِبَادِكَ، وَتَبَاعُدًا مِنْ مَرَضَاتِكَ»^(٣٢).
حرص أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب (عليه السلام) على أن لا يترك مناسبة
أو يضيع فرصة إلا واغتمها موعظة
الناس وتذكيرهم بما ينتظرهم من
الثواب والعقاب على حسن عملهم
أو قبيحه لإدراكه عميق أثر الموعظة
وأهميتها ولهذا فقد جاء في وصيته
لأبنيه الإمام الحسن (عليه السلام) م قوله:
«أحيي قلبك بالموعظة..»^(٣٣)، كما
روي أنه قلما اعتدل به المنبر إلا قال
أمام خطبته «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ
فَمَا خَلِقَ امْرُؤًا عَبَثًا فَيَلْهُوَ وَلَا تَرِكَ
سُدَى فَيَلْغُوَ وَمَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَحَسَّنَتْ
لَهُ بِخَلْفٍ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي قَبَحَهَا
سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ...»^(٣٤)، فهو لا يبدأ
حديثه إلا بالموعظة والتذكير، وهذه
هي الرسالة التي بُعث بها الأنبياء
وسار بها المصلحون بين الناس
ليحيوا في ضمائرهم ما أماتته الغفلة

ودفنه ركام الذنوب والآثام، وهو قوله (عليه السلام): «فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لَيْسْتَأَدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيَذْكُرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ...» (٣٥).

خاطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الناس على قدر عقولهم، لأنه كان يدرك أن قدرات البشر الاستيعابية، وتركيبهم النفسي يختلف فيما بينهم، وقد أثر عنه قوله (عليه السلام): «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتَحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...» (٣٦)، ولو ان الإمام (عليه السلام) أراد أن يفيض عليهم بغزير ما كان يحمل صدره من علم لأضر بهم ذلك ولكنه علم بما يصلحهم وهو القائل: «بَلِ إِذْ مَجَّتْ عَلَيَّ مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِأَضْطَرَّتُمْ إِضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ...» (٣٧) ولكنهم (عليه السلام) بالرغم

من ذلك ترك باب السؤال مفتوحاً لكل باحث عن الحقيقة وكان يقول وهو يضرب على صدره: «سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين جنبي علماً...» (٣٩)، ولهذا نرى أن الإمام (عليه السلام) لم ييخل بالإجابة عن ما كان يُسأل عنه فكانت إجاباته بمثابة بحر متلاطم من العلم والحكمة (٤٠)، لم يكن (عليه السلام) ناصحاً أميناً لأصحابه، ومن تبعه فحسب بل إنه بذل النصح لأعدائه أكثر مما بذله لغيرهم ليلقي عليهم الحجة ويؤدي ما عليه من حق الرعية على الإمام الرفيق بهم الحريص على استنقاذهم من الضلالة وحيرة الجهالة والمآل إلى النار، ففي حرب الجمل لم يترك منفذاً للدخول في السلم وحقن دماء المسلمين إلا وجهه وقد بعث إلى الزبير بن العوام (٤١)، وهو من هو فيمن ألب عليه، يدعوه بلين القول ويذكره بالرحم التي بينهما وبمكانه



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحي في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً (عليه السلام)

(عليه السلام) من رسول الله (ﷺ)، وأنه لم يجد عن نهجه، ولم يغير بعده فعلى ما يقاتله الناس ونلمس في خطابه إليه على لسان عبد الله بن عباس (٤١)، أسلوباً يفيض محبة ورحمة ويمتزج فيه العتاب بالألم على غير ما توقع من زعماء الحرب وأبطالها من أسلوب التهديد والوعيد والترهيب والغلظة في العقول وهو يخاطب الزبير: «يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فما عدا على ما بدا...» (٤٣)، ولكن

الزبير لم يرتدع ولم يرجع عن غيئه، ولم يترك الإمام (عليه السلام) محاولة أخرى لردّه، وكان ذلك في ميدان القتال حين خرج أمير المؤمنين (عليه السلام) حاسراً منوهاً أنه لا يريد قتاله فناده: يا زبير اخرج إلي فخرج إليه شاكاً سلاحه ظناً منه أن الإمام يريد قتاله ولكنه (عليه السلام) عانقه وذكره بحديث رسول الله (ﷺ) بأنه - أي الزبير - سيقاتل

أما طلحة بن عبيد الله (٤٧) فقد حاول الإمام رده وهو الآخر حين رجع الزبير فنادى: يا أبا محمد مالذي أخرجك؟ قال الطلب بدم عثمان قال الإمام (عليه السلام) قاتل الله أولانا بدم عثمان أما سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: اللهم وال من ولاه وعاد من عادته وأنت أول من بايعت ثم نكثت، وقد قال الله عز وجل ❖

فَمَنْ نَكَّثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
... ﴿٤٨﴾، فقال استغفر الله ثم رجع
فلما رآه مروان بن الحكم ^(٤٩) قال:
رجع الزبير ويرجع طلحة فرماه في
أكملة فقتله ^(٥٠).

وفيما كتب الإمام (عليه السلام) إلى معاوية
بن أبي سفيان ما ينبأ عن تلك
السيرة في بذل النصح والموعظة
للموالي والمخالف على حد سواء،
إذ كتب إليه يقول: «وَكَيْفَ أَنْتَ
صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا
أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا
وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا دَعْتَكَ فَأَجَبْتَهَا وَ
قَادَتِكَ فَاتَّبَعْتَهَا وَأَمَرْتِكَ فَأَطَعْتَهَا
وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفِكَ وَاقِفٌ عَلَى
مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مُنْجٌ مَجْنٌ فَأَقْعَسْ
عَنْ هَذَا الْأَمْرِ...، لَا تُتَكَّنِ الْغُوَاةَ
مِنْ سَمْعِكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمُكَ مَا
أَعْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ...» ^(٥١).

والموعظة، وكانوا بعد منصرفه من
صفين ^(٥٢)، قد اجتمعوا بحروراء ^(٥٣)
فأرسل إليهم ابن عباس يناظرهم
فلم يرجعوا، ثم ذهب إليهم بنفسه
فناظرهم ووعظهم وكانوا ثمانية آلاف
وقيل اثنا عشر ألفاً ^(٥٤)، فرجع منهم
ألفان ^(٥٥)، كما أنه خطب فيهم يوم
النهروان وقبل أن يتدثمهم بقتال ^(٥٦)
قائلاً: «فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا
صَرَغَىٰ بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ وَبِأَهْضَامِ
هَذَا الْغَائِطِ عَلَىٰ غَيْرِ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
وَلَا سُلْطَانَ مُبِينٍ مَعَكُمْ قَدْ طَوَّحَتْ
بِكُمْ الدَّارَ وَاحْتَبَلَكُمْ الْمُقْدَارُ وَقَدْ
كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ
فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُنَابِذِينَ...» ^(٥٧).

واجه الإمام (عليه السلام) مجتمعاً عانى
من كثير من السلبيات والأمراض
الاجتماعية الخطيرة، والتي كانت
موجودة قبل بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)
^(٥٨)، وقد استطاع رسول الله أن يُغير
كثيراً من القيم والعادات والأعراف

في حربته (عليه السلام) لم يكن أقل رغبة
ولا حرصاً على هدايتهم بالتذكير



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحي في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة نموذجاً (عليه السلام)

التي ابتدعتها جفوة الصحراء
وطبائعها القاسية، وأن يُسير بهذا
المجتمع قُدماً في طريق الإصلاح
والانفتاح على القيم الإسلامية التي
تجعل من الإنسان قيمة عليا وكرامة
لأتمس، إلا أن ذلك المشروع الإلهي
العظيم قد انحرف عن مساره
بوفاته، فقد أبت الزعامات القرشية
وأنصارها من القبائل الأخرى التي
سكنت على مفضض حتى حين أن
يسير المجتمع سيرته التي بدأت
مع البعثة النبوية الشريفة، وما أن
أغمض النبي عيناه راحلاً حتى
تكشفت مكامن الصدور وكان ما
كان من أمر السقيفة^(٥٩)، وسلبت
الإمام علي (عليه السلام) حقه بالخلافة
واستقبال عهد جديد، تُعد فيه
العصبية القبلية والطبقية الاجتماعية
أساساً ومرتكزاً يتبناه المجتمع
شكلاً ومضموناً في نظمه السياسية
والإدارية والاجتماعية^(٦٠).



مغموراً برواسب الماضي وجاهليته الجهلاء وإن توشح بثوب الإسلام. وتحدثنا كتب التاريخ عن حجم الثروات التي جمعها أرسطقراطيون قرشيون من أمثال الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ومروان بن الحكم وأبو سفيان وابناؤه^(٦٥)، وعمر بن العاص^(٦٦) فمن شغلوا مناصب في دولة الإسلام محاولين تكريس تلك السياسة التي خُطط لها بعد وفاة رسول الله (ﷺ)، من أجل الرجوع بالأمة إلى ما كانت عليه قبل الإسلام^(٦٧).

حفلت خطب الإمام علي (عليه السلام) بالكثير من الإشارات تصریحاً وتلميحاً عن الأوضاع السياسية والاجتماعية، وما تركته من آثار سيئة على المجتمع حتى بعد توليه الخلافة (عليه السلام)، إذ لم يستطع المجتمع أن يتخلص من تلك الآثار سيما وأن قادة الحزب القرشي المتفذنون ما

فتثوا يعارضون السياسة الإصلاحية التي تبناها الإمام (عليه السلام) وأعلنها حين اختاره الناس للبيعة بعد مقتل عثمان بن عفان قائلاً: «اعلموا أنني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أضغ إلى قول القائل وعتب العاتب»^(٦٨) فكان أول ما بدأ به برنامج الإصلاحية تغيير ضوابط توزيع العطاء وإعادة إلى ما كان عليه أيام رسول الله (ﷺ) ولقد أفرز هذا الإجراء معارضة شديدة من الزعامات القرشية الذين كبر عليهم أن يساوى بهم غيرهم بدعوى سبقهم في الجهاد ونصرة الإسلام وهذا ما صرح به طلحة والزبير عندما سألهم الإمام (عليه السلام) عن أسباب خلافهما له بقولهم: «أنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى علينا بأسيافنا ورماحنا وأوقفنا عليه بخيلنا أو رجلنا



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحي في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً (عليه السلام)

وظهرت عليه دعوتنا...»^(٦٩)، فكان رد الإمام (عليه السلام) حاسماً بقوله: «قد وجدت أنا وأنتما رسول الله يحكم بذلك... وأما قولكما جعلت فيتنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا، فقد إما سبق قوم إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضلهم رسول الله (عليه السلام)... والله موفٍ السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم»^(٧٠).

يمكننا أن نلمح في خطب الإمام (عليه السلام) أشارات واضحة لأسباب الفساد ومكامن الداء التي أنهكت المجتمع الإسلامي وأضعفت وازعه الديني وأفسدت منظومته القيمة فتسربت إليه الأسقام وعصفت به ريح الهمجية الجاهلية، وفي مواعظه (عليه السلام) تفصيلات وافية وإيضاحات كافية لرسم صورة واضحة تغني عن الشرح الطويل ومن أصدق منه (عليه السلام) في كشف الحقائق وتوضيح

ما طمس وما غُيب ففي خطبة له (عليه السلام) بعد مقتل محمد بن أبي بكر يُبين ما كان من أحداث وقعت له مع من سبق من الخلفاء وما جرى على الأمة بعد مصيبة فقد رسول الله (عليه السلام)، غذ يقول بعد أن يُبين منزلته (عليه السلام) وفضله على الأمة وما كان بعد وفاته من أحداث السقيفة: «فلبثت بذاك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى صحف دين الله وملة محمد (عليه السلام) فخشيتُ إن لم أنصر الإسلام وأهله أن رأى فيه ثلماً وهدماً يكون المصاب بهما عليّ أعظم من فوات ولاية أموركم... فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق...»^(٧١)، ثم يتحدث بعد ذلك عن مسيرته مع عمر وكيف صرف الأمر عنه إلى عثمان تمهيداً لأن تكون الخلافة في بني

أمية بقوله (ﷺ): «وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها إذ يئسوا أن ينالوا بها من قبلي...»^(٧٢)، ثم يعرض إلى ما جرى من قتل عثمان وبيعة الناس له ونكث الناكثين والقاسطين والمارقين^(٧٣)، وتعد هذه الخطبة وثيقة تاريخية لأحداث تلك الفترة العصبية من تاريخ الإسلام، كما عرض في خطبته المعروفة بالقاصعة لطرف من التاريخ السياسي والاجتماعي عن المسلمين في تلك الفترة في أطار وعظي بليغ أختص بدم الكبر والعصبية والحمية وتمكنها من الكثير من المسلمين حتى ذهبت بدينهم فربط بين الغنى والعصبية. يقول (ﷺ): «وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةٍ الْأُمَمِ فَتَعْصَبُوا لِأَنَارِ مَوَاقِعِ النَّعَمِ فَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ...»^(٧٤)، في إشارة إلى الزعامات التي أتحمتها الأموال التي جمعت بغير حق فباع أصحابها دينهم

بديهاهم دون النظر إلى مصلحة الأمة، ومثل هذه المضامين أيضاً جاءت في الخطبة المعروفة بالشقشقية^(٧٥).

المبحث الثالث: خطبة الوسيلة

(١) خطبة الوسيلة. سندها وأهم

مصادرها

أقدم المصادر التي وردت فيها الخطبة هو كتاب الكافي للكليني^(٧٦)، المتوفى سنة ٣٢٩هـ، كما وردت بعض مقاطع الخطبة في كتاب التوحيد والامالي للشيخ الصدوق^(٧٧) المتوفى سنة ٣٨١هـ، كذلك فقد وردت في كتاب تحف العقول عن آل الرسول لأبي محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني^(٧٨) وهو من أعلام القرن الرابع الهجري، أما الشريف الرضي^(٧٩) المتوفى سنة ٤٠٤هـ فلم يذكر الخطبة في كتابه نهج البلاغة بعنوان مستقل، لكن معظم عباراتها وردت في باب المختار من حكم أمير المؤمنين (ﷺ) ومواعظه، ويوجد



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاح في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً (عليه السلام)

هناك بعض الاختلافات في عبارات الخطبة بين الزيادة والنقصان في هذه المصادر ولكن هذه الاختلافات لا تغير في جوهر معانيها، وقد نقلت معظم المصادر المتأخرة الخطبة عن كتاب الكافي^(٨٠)، وأشار العلامة المجلسي الثاني^(٨١) المتوفي سنة ١١١١هـ في كتابه مرآة العقول عن شرحه لها بأن سندها ضعيف لكن قوة مبانيها ورفعة معانيها تشهد بصحتها ولا تحتاج إلى سند، أما سند الخطبة كما ورد عند الشيخ الكليني^(٨٢)، عن محمد بن علي بن معمر^(٨٣) عن محمد بن علي بن عكابة التميمي^(٨٤) عن الحسين بن النضير الفهري^(٨٥) عن أبي عمر الاوزاعي^(٨٦) عن عمر بن شمر^(٨٧) عن جابر بن يزيد^(٨٨) عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، بالرغم من ضعف سند هذه الخطبة إلا أن المتمعن في مضامين متنها يدرك أنها لأمر المؤمنين (عليه السلام) لما عُرف عن

(٢) خطبة الوسيلة عنوانها

وتاريخها

يبدو أن عنوان الخطبة قد استوحى مما جاء في إحدى فقراتها التي اشتملت ذكر الوسيلة ومقامها وكيفيةها ومن عليها^(٩٢)، وهي الدرجة التي وعد الله نبيه في الجنة وقد وصفها الإمام (عليه السلام) بقوله:

«**الا وإن الوسيلة على درج الجنة وذروة ذوائب الزلقة ونهاية غاية الأمنية لها ألف مرقاة ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد مائة**

عام...» (٩٣).

(٣) محورية قضية الإمامية في خطبة الوسيلة

تُعد خطبة الوسيلة من خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) التي تزخر بكنوز من المعارف والحكم العلوية الفريدة التي شملت كل أركان المنظومة الدينية التي تضم العقائد، العبادات، الأخلاق. وتشير المصادر إلى أن الإمام (عليه السلام) خطبها في الناس بعد سبعة أيام^(٩٤) من وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٩٥)، ولهذا التاريخ أهميته فهو قريب عهد بمصاب فقد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك الحادث الجلل الذي كان فاتحة لأحداث جسيمة وقعت كان لها آثارها في حياة الإمام^(٩٥) والأمة الإسلامية جمعاء، ولهذا نراه (عليه السلام) يسهب في الحديث عن ظلامته وما أفضت إليه كارثة السقيفة من حوادث ورزايا، لكن الإمام (عليه السلام) قبل أن يتحدث عن نفسه يتحدث

عن مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه كان أمل الأمم ومخلصها الذي إليه يتطلعون «فما من رسول سلف ولا نبي مضى إلا وقد كان مخبراً أمته بالمرسل الوارد من بعده مبشراً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وموصياً قومه باتباعه فكانت الأمم في رجاء من الرسل وورود من الأنبياء...»^(٩٦)، ثم يصف (عليه السلام) مصاب فقده فيقول: **«ولا مصيبة عظمت ولا رزية جلت كالمصيبة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن الله ختم بد الإنذار والأعدار وقطع به الاحتجاج...»**^(٩٧)، وبعد أن تحدث الإمام عن طاعة النبي وإنها قرنت بطاعة الله فكان ذلك دليلاً على ما فوض إليه وشاهداً له على من اتبعه وعصاه عرج بعد ذلك للحديث عن نفسه وأفاض في بيان حاله ومكانه من الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما خصه به من مقامات الخلافة الإلهية التي فضل بها على غيره إذ يقول:



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاح في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً (عليه السلام)

التي لا يصح الإسلام إلا باجتماعها، ولهذا فقد أكد الإمام (عليه السلام) على هذا الأمر في أكثر من مناسبة^(١٠٠)، حاول أن يربط دائماً في خطابه الوعظي بين قضية الإمامة ومواعظه الدينية معتبراً أن معرفة الإمام ومنزلة الإمامة هي التي توصل إلى معرفة الله الحقّة، وأنها السبيل الوحيد للوصول إلى حقيقة التوحيد فإذا أجهل المسلمون معرفة إمامهم جهلوا سبل الوصول إلى تلك الحقيقة التي لا يمكن الولوج إلى بيان معارفها إلا من خلال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولهذا فقد كان من أهم نتائج تنحية الإمام وأهل بيته عن مراتبهم ومناصبهم أن تعددت النظريات والفرق والتيارات الفكرية في تحديد أطر المعارف العقائدية التي تُعد أهم مرتكزات المنظومة الدينية حتى انتهى المسلمون إلى تجسيد الذات الإلهية وتشبيهاها والتخبط في الوصول إلى معرفتها^(١٠١)، فإذا كان

«فأن الله تبارك اسمه امتحن بي عباده، وقتل بيدي أصداده وأفنى بسيفي جحاده، وجعلني زلفة للمؤمنين وحياض موت على الجبارين وسيفه على المجرمين... واصطفاني بخلافته في أمته...»^(٩٨)، ثم يتحدث (عليه السلام) عن بيعة القيروان وأن الله أكمل الدين بولايته فكانت ولايته ولاية الله وعداوته عداوة الله وكمال الدين ورضا الرب وكان هذا من فضل الله عليه دون غيره من سائر الناس «فِي مَنَاقِبٍ لَوْ ذَكَرْتُهَا لَعَظُمَ بِهَا الْإِرْتِفَاعُ ، وَ طَالَ لَهَا الْإِسْتِمَاعُ...»^(٩٩).

يتبين من خلال ما تقدم الصلة الوثيقة بين موضوع الخطبة والظرف الذي قيلت فيه، وكيف أن الإمام (عليه السلام) قد أوضح محورية قضية الإمامة وإنها منصب الهي لا دنيوي، وأن ما وقع من اغتصاب لحقه (عليه السلام) هو اعتداء على حق من حقوق الله وتضييع لأصل من أصول الدين



الأساس الذي قامت عليه العقيدة باطلاً فإن البناء الديني بأكمله سيكون باطلاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام أول الدين معرفته^(١٠٢).
(٤) جوانب من الخطاب الوعظي

في خطبة الوسيلة

يبدأ الإمام خطبته بالحمد والثناء على الله وذلك بالقول: «الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال إلا وجوده، وحجب العقول أن تتخيل ذاته لامتناعها من الشبه والتشاكل، بل هو الذي لم يتفاوت في ذاته ولا يتبعض بتجزئة العدد في كماله...»^(١٠٣).

استفتح الإمام علي (عليه السلام) كلامه كما هو في أغلب خطبه الوعظية بالحديث عن أصول الدين وأول هذه الأصول وأهمها التوحيد، فالتوحيد في علم أمير المؤمنين يمثل منهجاً مستقلاً لم يسبق إليه في معارف التوحيد ففي نهج البلاغة وحده

خمسون خطبة عن التوحيد عدا ما هو مثبت في الكتب من النصوص الأخرى^(١٠٤)، إذ أجتهد أمير المؤمنين (عليه السلام) في إيضاح التوحيد الحقيقي حتى في أخرج الظروف وأشدّها صعوبة والرواية التي ينقلها الشيخ الصدوق، أصدق دليل على ذلك إذ يروي: أن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال يا أمير المؤمنين أتقول أن الله واحد؟ فحمل الناس عليه وقالوا يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): دعوة فان الذي يريد الأعرابي هو الذي تريده من القوم ثم أنبرى أمير المؤمنين في بيان معاني التوحيد وأدلته، وهو في ذلك الظرف الحرج من احتدام صراع الحرب^(١٠٥).

ولقد تعددت مذاهب المعرفة الدينية والإنسانية، واختلفت في معنى الوحدة الإلهية، وفي العصر





الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحية في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً (عليه السلام)

الإسلامي تبلورت عدة اتجاهات وتوزعت على المناهج المشهورة في المعرفة وهي: الكلامي، الفلسفي والعرفاني بيد أن الرؤية ظلت مشوبة بالنقص والسذاجة حتى مع جهود عقول فلسفية جبارة برزت على هذا الصعيد^(١٠٦).

يُشير الإمام (عليه السلام) إلى أن أقوى الأدلة على وجود الله سبحانه وتعالى هو عجز الإنسان أن يتوهم كنه هذا الوجود الإلهي أو يتخيل جوهره، لأن الأوهام لاتدرك إلا المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات والمواد الجسمانية كالوضع والتحيز والمقدار ونحوها والله سبحانه ليس شيئاً من هذه الأمور، فلا يمكن للأوهام أن تدركه وتطلع على حقيقته نعم لها أن تنال وجوده لظهوره في صورة وجودها ووجود سائر مدركاتها وعوارض وجوداتها والتغيرات اللاحقة بها من جهة ما هو صانعها

وموجودها إذ الوهم عن مشاهدة هذه المدركات الشخصية يحكم بذاته أو بمعونة العقل بوجوده تعالى لحاجتها إلى موجد ومقيم ومغير^(١٠٧)، فلا سبيل للمحدود المتناهي أن يعلم كنه الالامحدود واللامتناهي ثم يعرج الإمام بعد ذلك ليُبين خصائص تلك الوحدة فهو الذي ليس بذئ أجزاء متفاوتة مختلفة^(١٠٨)، كما انه سبحانه لا يمكن أن تكون وحدته كوحدة العدد فالوحدة العددية^(١٠٩) يمكن تجزئتها وتبعيضها، ولكن وحدته سبحانه وتعالى وحدة لاتتجزأ ولا تتبعض وهذا من خصائص الوحدة الالاعددية الحقيقية الحققة، وهو من كمالته سبحانه فالعدد هو الذي يتجزأ ويتبعض^(١١٠).

ويسترسل الإمام (عليه السلام) في بيانه لبعض خصائص الذات الإلهية فالله سبحانه وتعالى لا يكون في مكان والخلق في مكان مباين لاستحالة أن

يكون له مكان فيكون البعد بينه وبينها مكانياً كما هو بين الأشياء المتباعدة بل المراد بمفارقتهِ للأشياء مباينة ذاته وصفاته عن مشابهة شيء منها، وهو تمكن منها ومحيط بها بالعلم والقدرة لا بالمداخلة والممازجة الظرفية (المكانية) (١١١)، وقد أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى هذه الحقيقة أيضاً في خطبة التوحيد بقوله: «موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمفارقتهِ وغير كل شيء لا بمزايلة...» (١١٢).

يتناول الإمام (عليه السلام) في الفقرة الأولى من كلامه أيضاً صفة من صفات الله وهي العلم فالله عالم إلا أن صفة العلم غير زائدة عنه - أي أن العلم شيء والذات الإلهية شيء آخر - بل أن صفة العلم وباقي صفاته الأخرى هي عين ذاته فالله هو العالم (١١٣)، وأن علمه لا يكون بأداة أو بواسطة كما أن علمه بالمحسوسات ليس

منه جهة الحواس والآلات الجسمية والقوى البدنية كعلم الإنسان بها فهو منزّه عن الصفات الجسمانية والأدوات البدنية (١١٤)، ثم يتحدث (عليه السلام) عن أزلية الله سبحانه وتعالى وأبديته وهو في هذا البيان الرائع والبلغ لخصائص الذات الإلهية إنما يبني على القاعدة التي أسس لها في بداية خطبته في إيضاحاته للوحدة غير العددية اللامتناهية واللامحدودة لله سبحانه وتعالى، فكانت الخصائص التي أشار إليها بمجمّلها إنما هي النتيجة الحتمية لتلك الوحدة الحقيقية والحقة (١١٥).

ثم يجعل الإمام (عليه السلام) الإقرار اللساني بالوحدانية والشهادة بنبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تالية للمعرفة، ونتيجة لها وان ذلك الإقرار هو المحصلة التي ترفع القول وتضاعف العمل عند الله، فلا تصح الثانية دون الأولى أي لا يصح الإقرار ما لم ترسخ



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحي في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً (عليه السلام)

المعرفة وتبنى على أساس سليم، أخرى، أنه يوجه خطابه للناس من فالإقرار بالشهادتين هو الإذعان والتسليم «خف ميزان ترفعان منه، وثقل ميزان توضعان فيه وبهما الفوز بالجنة والنجاة من النار والجواز على الصراط، وبالشهادة تدخلون الجنة وبالصلاة تنالون الرحمة، فأكثرُوا من الصلاة على نبيكم أن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً...» (١١٦).

ينتقل الإمام (عليه السلام) بعد ذلك إلى الفقرة الثانية للحديث عن الجانب الأخلاقي في حياة الإنسان، وتشكل ثنائية الفضيلة والرذيلة الركيزة الأساسية في خطابه الوعظي، وهو يبدأ كلامه في هذه الجزئية المهمة بالنداء (أيها الناس)، وحرف ياء يفيد النداء والتثنية (١١٧)، وكأن الإمام (عليه السلام) يُريد أن ينبه إلى عظيم ما سيقوله كما أنه لم يحدد كلامه للمسلمين أو المؤمنين أو أي فئة دون

أخرى، أنه يوجه خطابه للناس من أي دين أو ملة أو طائفة أو جنس، وفي كل مكان وزمان وهو يتمثل في هذا الأسلوب المنهج القرآني في جانب من جوانبه فهذا النداء ورد في القرآن الكريم إحدى وعشرون مرة (١١٨)، مما يوحي أن هناك خطاباً عاماً في القرآن الكريم يشمل المسلمين وغير المسلمين، والإمام (عليه السلام) في هذه الفقرة من خطبته يضع دستوراً للحياة يمكن أن يتمثل خطاه المسلمون وغير المسلمين، وإذا كانت الأديان السماوية تنبع من منهل واحد فلا بد أن تتوافق فيها الروى وتتلاقى فيها الأفكار، ولم يأت الإسلام إلا ليكمل ذلك المسار ويصحح ما حرفه البشر من مبانيها الفكرية وتشريعاتها السمحاء.

«أيها الناس أنه لا شرف له أعلى من الإسلام» (١١٩)، وقد جعل أمير المؤمنين (عليه السلام) الإسلام منبعاً لكل

فضيلة وخلق رفيع وهو أساس لبناء فردي واجتماعي سليم ومتكامل يكون الإسلام الحقيقي محركه الفاعل في المعاملة بين الناس فلا يتعاملون فيما بينهم إلا على أساسه، وقد اتجه كثير من المسلمين بالإسلام اتجاه عبادة وحسبوه صلاة وصوماً وتسيحاً وتناسوا جانب المعاملة فيه في حين أن الإسلام يهتم اهتماماً كبيراً بالمعاملة، ومن القواعد التي وضعها الأصوليون أن صفوف الله مبنية على المسامحة، وحقوق الناس مبنية على المشاححة، فإذا قصر المسلم في حق من حقوق الله فأن التوبة تغفر وعفو الله قد يشملهُ، ولكن إيذاء الناس لا يغفر إلا إذا عفا الناس. الإسلام ينظم علاقات الناس بالناس على أساس من الحب والعدالة مع إتباع النظم الإسلامية في البيع والشراء والميراث والزواج والطلاق وغيرها. ومع أتباع آداب الإسلام

في معاملة الناس والإخلاص للعمل والتضامن في أداء الواجب والبعد عن إيذاء الناس، كل هذا وما يمثله أجزاء مهمة من الدين الإسلامي ولا يكمل الدين بسواها^(١٢٠)، ولهذا فإن البعد الأخلاقي أهم مصداق من مصاديق الإسلام وعظمتِه.

يجمع الإمام (عليه السلام) في هذه الفقرة من خطبته بين جملة من الصفات والمزايا الروحية المحمودة التي هي في حقيقتها جزء من رصيد المؤمن في رحلته نحو الكمال الإنساني وهي: التقوى، الورع، التوبة السلامة- عن إيذاء الناس^(١٢١). لعل ترتيب هذه الألفاظ في خطبة الإمام (عليه السلام) له دلالتُه فهو يبدأ بالتقوى ويصدر كلامه بالقول «**لا كرم أعز من التقوى...**»^(١٢٢)، فيجعل التقوى كرم فيها غاية وعزة ليس في غيرها، والعزة أما العظمة أو القدرة أو الغلبة والتقوى مستلزم لجميع ذلك





الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحي في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً (عليه السلام)

لأنها تحمي أولياء الله، وألزمت قلوبهم مخافته حتى أسهرت ليالهم وأظمأت هواجرهم وتربط الأبدان بالعبادات فصاروا بذلك من أهل العظمة والقدرة والغلبة لأنهم حزب الله الغالبون (١٢٣).

وقد وردت لفظة التقوى في القرآن الكريم في أكثر من معنى فقد جاءت بمعنى الخشية في أكثر من موضع لكن حقيقة التقوى، وأن كانت هي التي ذكرت بمعنى الخشية إلا أنها جاءت والغرض الأصلي منها الإيمان تارة والتوبة تارة أخرى والطاعة ثالثاً، وترك المعصية رابعاً والإخلاص خامساً، والتقوى مقام شريف بقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ...﴾ (١٢٤)، وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ (١٢٥)(١٢٦)، ولهذا فإن الإمام (عليه السلام) يبدأ بها فهي كلمة تتسع لمعانٍ كثيرة أختصرها

كل صفة من الصفات التي ذكرها الإمام (عليه السلام) مرتبطة بما قبلها وبعدها، وهي تؤدي إليها ولا تنفك عنها، وقد استخدم الإمام (عليه السلام) صيغ المبالغة في الألفاظ (أعلى، أحرز، أنجح، أجمل، أمتع، أذهب، أغنى ...) تدل على أن لكل صفة من صفات الكمال مراتب في هذا الوجود متقدمة على ما قبلها، (فعالٍ وأعلى، وحرز وأحرز، وناجح وأنجح، وجميل وأجمل ...)، وهذا يترتب عليه أن يتفاوت المؤمنون في مراتبهم كلما ساروا في طريق تحصيل الكامل فالأكمل، يحاول الإمام في خطابه الوعظي أن يربط بين هذه الصفات وآثارها في تهذيب النفس، فان ثمرة تحصيلها ينعكس بالدرجة

الأولى والأساس على الإنسان من الداخل فتظهر آثارها على أفعاله من الخارج، الجوانح، الجوارح وبهذا ينوه (عليه السلام) بأهميتها في بناء الإنسان لبناء مجتمع صالح وسوي.

ينتقل الإمام (عليه السلام) في المقطع اللاحق من الخطبة للحديث عن الصفات المذمومة في الإنسان والتي هي نقيض ما تحدث عنه في المقطع الذي سبقه فهي صفات سوء تهوي بصاحبها في دركات التسافل والانحطاط فتمثل به عن طريق السلامة وهو رضا الله إلى ما هو دونه من حسرات وندامة (الرغبة، الحسد، البغي، الطمع، ...)، فالإنسان الذي تتسرب إليه هذه الآفات الروحية، إنسان مهذوم من الداخل، وكل آفة من هذه الآفات لها آثارها وانعكاساتها على الذات الإنسانية.

الرغبة مفتاح للمتاعب في حياة

الإنسان، لأن في تحصيل ما يرغب فيه وحفظه تعب شديد مع عدم الحاجة إليها (الاحتكار مطية النصب)، شبه الإمام الاحتكار- وهو جمع المال وحبسه- بالمطية وهي ما يركبه الإنسان للوصول إلى غاية هي في حقيقتها جالبة للمتاعب، أما الحسد فهو المرض المفسد للدين لأن الحاسد يصاد الله في إرادته في التقسيم والتدبير والأفضال والأنعام ويحتقر نصيبه ويكفر به ويتمنى زوال نعمة الغير، لما يعمهم من خير، وهذا يصرفه عما يعود نفعه عليه من تحصيل الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة، وكل هذا موجب لفساد دين الحاسد^(١٣٠)، وقد نبه الإمام علي (عليه السلام) إلى أثر الحسد في هدم الدين في خطبته المعروفة بالقاصعة في حديثه عن قصة النبي آدم (عليه السلام) وإبليس فأن حسد إبليس لآدم أحبط دينه وجهده الجهد في العبادة التي طالت



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاح في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً ﴿البقرة﴾

(سنة آلاف سنة لا يُدري أمن سني الدنيا أم سني الآخرة) (١٣١)، ولهذا قال (عليه السلام) في خطبة أخرى له «لا تحاسدوا فان الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب...» (١٣٢).

ثم يتحدث الإمام (عليه السلام) عن الحرص فإنه يقول: «**دع للتحم** في الذنوب» لان الحريص لا يبالي الدخول في المحرم من المكاسب أو المباح المذموم منها (١٣٣)، والتحم في الذنب الدخول فيه من غير روية (١٣٤)، وأن كل ذلك داعي للحرمان، ولعل الإمام (عليه السلام) يقصد بالحرمان هذا الحرمان في الدنيا والآخرة فالحريص على الدنيا يُحرم سكينته النفس لأنه في تعب دائم لحرصه على ما يجمع وخوفه من ذهاب ما بيده فهو محروم، وأن ملك ماملك وأما حرمانه في الآخرة فهو الحرمان من رضوان الله ورحمته للذنوب التي جناها حرصاً على الدنيا غير مبالٍ بسخط الله. والبغي سائق إلى الحين فبالغي إلى الظلم والاستطالة ومجاوزة الحدود كلها أمور تقود الإنسان إلى حينه أي هلاكه (١٣٥)، ولهذا روى الإمام زين العابدين عليه السلام بالقول: «الذنوب التي تُغير النعم البغي على الناس، الزوال عن العادة في الخير واصطناع المعروف وكفران النعم...» (١٣٦)، فجعل (عليه السلام) البغي أول الذنوب التي تُغير النعم، وقد يسلب الإنسان نعمة الحياة حين يهلكه الله بذنوبه، أما الشدة والطمع فصفتان ترتبط أحدهما بالآخرى ولذلك والى بينهما الإمام في حديثه، فالطمع ابن الشره ولا يطمع الإنسان إلا حين يكون حريصاً على أن ينال فوق ما عنده فلا ينتهي به الطمع عند حد من الحدود، كما لا ينتهي به الأمل وان كان أملاً خائباً ورجاه يؤدي إلى الحرمان وتجارة



تؤول إلى الخسران، وهي تجارة الدنيا التي هي غير تجارة الآخرة الرباحة دائماً، فكل حال من هذه الأحوال هي نتيجة لما قبلها وسبب لما بعدها وهي بالتالي الثمرة التي يجنيها الإنسان حين يتسافل به عمله القبيح وتسقطه أخلاقه وصفاته الذميمة التي ذكرها الإمام (عليه السلام) وجعل الرغبة مفتاح كل ذنب يرتكبه، وهي سبب تعبته وشقاؤه^(١٣٧)، حتى إذا ما انغمس بكثرة الذنوب أحاطت به كما تحيط القلادة بالعنق، ولذلك قال الإمام «بئست القلادة الذنب للمؤمن...»^(١٣٨)، وهو تشبيه لا مزيد على بلاغته وعمقه.

الخاتمة

يمكننا أن نلمس من خلال دراسة خطبة الوسيلة أكثر من بُعد معرفي وأنساني فهي غيظ من فيض في معارف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، التي تنهل من معين

النبوة الثرى، ولهذا فإن استنتاج نصوص الخطبة يكون بقدر متلقيها لا بقدر ملقيها أو صاحبها، من هنا تختلف مستويات القراءة بحسب الإمكانيات والأدوات التي يمتلكها القارئ ولهذا لا ندعي أبداً أننا أحطنا بما تبعناه من فقرات الخطبة واستقصينا أسرارها، فهذا إهداء لا يمكن الإتيان به، كيف ونحن نتعامل مع نص هو فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق، إنما هي محاولة للقراءة قد تصف فكرة أو تنبه لجانب من الجوانب المعرفية من ذلك الكنز الذي ينتمي إلى كنوز أمير المؤمنين (عليه السلام) المعرفية والفكرية. ومن خلال ذلك اتضح لنا:

(١) استخدم الإمام (عليه السلام) منهجاً واضحاً في تناول موضوعات خطبه الوعظية ومنها خطبة الوسيلة فهو يبدأ كلامه بالحديث عن أصول الدين الذي هي أصول المعرفة



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاح في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً (الخطبة)

الدينية (أول الدين معرفته)، ولكم
حرص أمير المؤمنين (عليه السلام) على
الإنسانية والعقلية فهي تؤدي
غرضاً دينياً وعلمياً في آنٍ واحد.

(٢) التأكيد على قضية الإمامة
والتذكير بما لحق بالإمام من ظلم
وإقصاء فالإمامة التي ضيعها
المسلمون في خضم الأطماع
والمصالح الشخصية لا يكتمل
الإسلام إلا بها ومعها، من هذا
وزخرف ما طمع به غيره، لم يترك
التنويه بظلامته وحقه المغتصب
وتراثه الضائع.

(٣) حاول الإمام في خطابه
الوعظي أن يكون الجانب الروحي
هدفه فالإصلاح يبدأ من الداخل،
ولكنه وفي هذا الإطار أيضاً وازن

(٤) حرص الإمام أن يكون
خطابه مفهوماً لكل سامعيه على
اختلاف مستوياتهم الاستيعابية
على الرغم من عمق معانيه وكثرة
أسراره وذلك من خلال تقريب
المعاني بأبسط صورة وأبلغ لغة
فخطابه يفهمه العامة والخاصة كل
على قدره ومعرفته وأدواته المعرفية
وتمثله الحقائق والمضامين والمعطيات
كما أن خطابه كان عاماً لكل الناس -
في بعض جوانبه- وليس للمسلمين
فحسب ولقد صدر نداءه في عدد
من الخطب بلفظة (أيها الناس).



الهوامش

- (١٨) السفياي، الخطاب الوعظي؛ البياتي، الأخلاق الحسينية، ص ١٦٥.
- (١٩) حمدان، أشكال التواصل، ص ٩٠ وما بعدها.
- (٢٠) برهومة، تمثلات اللغة، ص ١٢٣-١٢٤.
- (٢١) السفياي، الخطاب الوعظي، ص ٧٦-٧٨.
- (٢٢) السفياي، الخطاب الوعظي، ص ٧٦-٧٨.
- (٢٣) السفياي، الخطاب الوعظي، ص ٧٨-٧٩؛ حمدان، أشكال التواصل، ص ٥٦ وما بعدها.
- (٢٤) العسكري، الصناعتين، ص ٢٠٥ وما بعدها.
- (٢٥) الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ٣٧٠.
- (٢٦) العجمي، اللغة والسحر، ص ٧٠.
- (٢٧) العجمي، اللغة والسحر، ص ٧٠.
- (٢٨) السفياي، الخطاب الوعظي، ص ٨٤-٨٥.
- (٢٩) القبانجي، شرح وصية أمير المؤمنين، ص ٣٠-٣١.
- (٣٠) الشيرازي، السياسة، ص ٧٦ وما بعدها.
- (٣١) سورة الصحف، الآية، ٣٠.
- (٣٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ٦٧/٤.
- (٣٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ٣٨/٣.
- (٣٤) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ١٩/٣٠٠.
- (٣٥) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ١/١١٣.
- (٣٦) البخاري، صحيح، البخاري، ٤١/١.
- (٣٧) ومقصوده عليه السلام أنه أنطوى على علم ممتنع لموجبه من المنازعة، وأن ذلك العلم لا يباح به، ولو باح به لاضرب سامعوه

- (١) الفراهيدي، العين، ٤/٢٢٢.
- (٢) ابن فارس، معجم، ٢/١٩٨.
- (٣) ابن السكيت، ترتيب أصحاح المنطق، ص ١٩؛ الزمخشري، أساس البلاغة، ص ٢٣٩؛ ابن سيده، المخصص، ١/٢، ١٤٤.
- (٤) الكفوي، الكليات، ص ٤١٩.
- (٥) المناوي، التوقيف، ص ١٥٦.
- (٦) السفياي، الخطاب الوعظي، ص ٢١؛ حمدان، أشكال التواصل، ص ٤٩ وما بعدها.
- (٧) المناوي، التوقيف، ص ١٥٦؛ الكفوي، الكليات، ص ٤١٩؛ المظفر، المنطق، ص ٤٣٤.
- (٨) برهومة، تمثلات اللغة، ص ١٢٢.
- (٩) بو معزة، تحليل الخطاب، ص ٥.
- (١٠) برهومة، تمثلات اللغة، ص ١٢٣.
- (١١) ابن فارس، معجم، ٦/١٢٦.
- (١٢) الجوهري، الصحاح، ٣/١١٨١؛ ابن منصور، لسان العرب، ٧/٤٦٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ١٠/٤٩٨.
- (١٣) المناوي، التوفيق، ص ٣٣٩.
- (١٤) حمداوي، التداوليات، ص ٧.
- (١٥) بو حشة، محاضرات في اللسانيات، ص ١١.
- (١٦) العيني، عمدة القاري، ٢٠/١٣٥؛ العجمي، اللغة والسحر، ص ٢٣.
- (١٧) ابن عساكر، تاريخ، ١٢/١١٣٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ١/٢٦١؛ القرشي، حياة الامام الحسين، ٢/١٦٠.





الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحية في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً..... (الخطبة)

عقدة الكوفي، فضائل أمير المؤمنين، ص ١٦٧؛

المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ٣٦٣.

(٤٧) طلحة بن الزبير بن عبيد الله بن عمرو بن

كعب بن سعد بن تيم بن مرة، ويكنى أبا محمد،

قُتل يوم الجمل وهو أبن ٦٤ سنة، سنة ٣٦هـ،

ينظر: أبن سعد، الطبقات، ٣/ ٢٤.

(٤٨) سورة الفتح، الآية (١٠).

(٤٩) مروان بن الحكم بن ابي العاص بن أمية

بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي

يُكنى أبا عبد الملك ولد على عهد رسول الله

سنة ٥٢هـ وقيل عام الخندق، وقيل يوم أحد، توفي

سنة ٦٥هـ وهو أبن ٦٣ سنة. ينظر: أبن عبد البر،

الأستيعاب، ٢/ ٣٦٥.

(٥٠) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ١٨٢؛ المسعودي،

مروج الذهب، ٢/ ٣٦٥؛ وتختلف رواية الطبري

عما جاء عند اليعقوبي والمسعودي بعض

الاختلافات ينظر: الطبري، تاريخ، ٣/ ٥٢٠ وما

بعدها.

(٥١) أبن ابي الحديد، شرح النهج، ١٥/ ٧٩.

(٥٢) صفين: موضع بقرب الرقة على شاطئ

الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس،

وكانت وقعة صفين عندها سنة ٣٧هـ ينظر:

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٤١٤.

(٥٣) حروراء: هي قرية بظاهر الكوفة وقيل

موضع على ميلين منها، وهي كورة نزل بها

الخوارج الذين خالفوا أمير المؤمنين فنسبوا إليها.

ينظر: الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٢٤٥.

كاضطراب الأرشية، وهي الحبال في البئر البعيدة

القعر، وهذه إشارة إلى الوصية التي خص بها

عليه السلام أنه قد كان من جملتها الأمر يترك

النزاع في مبدأ الاختلاف عليه. ينظر: الراوندي،

منهاج البراعة، ١/ ١٤٦؛ أبن أبي الحديد، شرح

النهج، ١/ ٢١٥.

(٣٨) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ١/ ٤١.

(٣٩) الشريف المرتضى، رسائل، ١/ ٣٩٤.

(٤٠) عاشور، من غير علي يجيب، ص ٤٤ وما

بعدها.

(٤١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن

عبد العزى يكنى أبا عبد الله أمه صفية بنت عبد

المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قتل بسفوان في

البصرة سنة ٣٦هـ ينظر: أبن سعد، طبقات أبن

سعد، ٣/ ١٠٠ وما بعدها؛ أبن خياط، طبقات،

ص ٤٣.

(٤٢) عبد الله بن عباس.

(٤٣) أبن أبي الحديد، شرح النهج، ٢/ ١٦٢.

(٤٤) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن

أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي

يكنى أبا بكر، وقال بعضهم فيه أبو بكر، قُتل

بمكة سنة ٥٧٣هـ. ينظر: أبن خياط، طبقات، ص

٩.

(٤٥) عمرو بن جرموز التميمي بم مجاشع قاتل

الزبير بالاشتراك مع الشعر وفضاله بن حابس

التميمي ينظر: أبن عساكر، تاريخ، ١٨/ ٤٣٤.

(٤٦) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ١٨٢-١٨٣؛ أبن

- (٥٤) اختلفت المصادر في عدد الخوارج وفي عدد من رجعوا منهم إلى معسكر أمير المؤمنين. ينظر: ابن خياط، تاريخ، ص ١٤٤؛ النعمان المغربي، شرح الأخبار، ٣٨/٢؛ ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٢/٢٧٥.
- (٥٥) اليعقوبي، تاريخ، ١٩١/٢.
- (٥٦) المسعودي، مروج الذهب، ٤٠٣/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣١٩/٧.
- (٥٧) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٢/٢٦٥.
- (٥٨) علي، الفصل، ٤/٥٤١؛ خطبة الزهراء، ٥/٥٢٦.
- (٥٩) اليعقوبي، تاريخ، ٢/١٢٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٤/٦٤.
- (٦٠) شمس الدين، دراسات، ص ٢١ وما بعدها.
- (٦١) القرشي، حياة الإمام الحسين، ١/٢٧٦ وما بعدها.
- (٦٢) اليعقوبي، تاريخ، ٢/١٧٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٩/٤٢٦.
- (٦٣) سعيد بن العاص بن سعيد بن أصبح بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي كان والي عثمان على الكوفة وقد أضر كثيراً بأهلها حتى ثاروا عليه وأخرجوه عنها. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٥/٣٠؛ ابن عساکر، تاريخ، ٢١/١٠٥.
- (٦٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/٤٣٣؛ الطبري، تاريخ، ٣/٣٦٥؛ الأصفهاني، الأغاني،
- ١٢ / ٣٦٦ (٦٥) أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي واسم أبو سفيان صخر أسلم يوم الفتح وتوفي في المدينة سنة ٣١ هـ وكان له من العمر ٨٨ سنة ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/٧١٤؛ ابن حجر، الإصابة، ٣/٣٣٢.
- (٦٦) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ويكنى أبا عبد الله أسلم بأرض الحبشة قم قدم المدينة على رسول الله ولاه عثمان بن عفان مصر ثم عزله ثم صار إلى معاوية بعد مقتل عثمان وشهد معه صفين ثم ولاه معاوية مصر وتوفي بها سنة ٥٤٣ هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٧/٤٩٣.
- (٦٧) ابن سعد، الطبقات، ٣/٢٢٢؛ الدنيوري، الأخبار الطوال، ص ١٥٨؛ محمد الثقفي، الغارات، ٢/٧٤٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢/٣٢٢؛ الطائي، نظريات الخليفين، ٢/٤٨.
- (٦٨) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/٣٣.
- (٦٩) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/٤١.
- (٧٠) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/٤١ - ٤٢.
- (٧١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦/٩٤ وما بعدها.
- (٧٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦/٩٦.
- (٧٣) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦/١٠١.
- (٧٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ٢/١٥٠.

- (٧٥) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ١ / ١٥١ . ينظر: الخوئي، معجم، ١٤ / ٧٦ .
- (٧٦) ٨ / ١٨ وما بعدها .
- (٧٧) ص ٧٢، ص ٣٩٨-٣٩٩ .
- (٧٨) ص ٩٢ وما بعدها .
- (٧٩) ٤ / ٣ وما بعدها .
- (٨٠) الكليني، ٨ / ١٨ .
- (٨١) ٢٥ / ٣٥ .
- (٨٢) ٨ / ١٨ .
- (٨٣) محمد بن علي بن معمر الكوفي يكنى أبا الحسن صاحب الصيحي سمع منه التلعكبري، روى عنه الكليني في الروضة، وروى عن محمد بن علي بن عكابة التميمي. ينظر: التفرشي، نقد الرجال، ٤ / ٢٨٠؛ الخوئي، معجم، ١٨ / ٣١؛ ١٧ / ٣٥٨ .
- (٨٤) محمد بن علي بن عكابة التميمي روى عن الحسين بن علي بن النضر الفهري وروى عنه محمد بن علي بن معمر، مجهول روى رواية في الروضة الحديث الرابع. ينظر: الخوئي، معجم، ١٧ / ٣٥٨؛ الجواهر، المفيد، ص ٥٥٥؛ الشاهرودي، مستدركات، ٧ / ٢٣٨ .
- (٨٥) الحسين بن النضر الفهري: لا يُعلم من أحواله شيء سوى أن ابن شراشوب أورد عنه في المناقب بيتين من الشعر يمدح بهما النبي والإمام علي. ينظر: الأمين، أعيان الشيعة، ٦ / ١٨٨؛ الشاهرودي، مستدركات، ٣ / ٢٠٩ .
- (٨٦) ابن عمرو الاوزاعي: روى عن عمرو بن شمر وروى عنه عبد الله بن أيوب الأشعري .
- (٨٧) عمرو بن شمر: أبو عبد الله الجعفي عربي زيد أحاديث في كتب جابر الجعفي ينسب بعضها إليه والأمر ملبس. ينظر النجاشي، فهرست، ص ٨٧؛ ابن الفضايري، رجال ابن الفضايري، ص ٧٤ .
- (٨٨) جابر بن يزيد الجعفي من أصحاب الإمام أبي جعفر الباقر لقي أبا جعفر وأبا عبد الله عليه السلام، ثقة في نفسه، ولكن جل من يروي عنهم ضعيف روى عنه جماعة عُمز وضعفوا منهم عمرو بن شمر. توفي سنة ١٢ هـ. البرقي، الرجال، ص ٩؛ النجاشي، فهرست، ص ١٢٨؛ الطوسي، الفهرست، ص ٩٥؛ ابن الغضائري، رجال الغضائري، ص ١١٠ .
- (٨٩) مرآة العقول، ٢٥ / ٣٥؛ على الرغم مما يشير إليه العلامة المجلسي من ضعف سند الخطبة إلا أنه من ناحية أخرى يعتقد بصحة كل ما جاء في كتاب الكافي وهو لا يذكر هذا الضعف في السند إلا من باب ترجيح بعضها على بعض عند التعارض. ينظر: المجلسي، مرآة العقول، ١ / ٢٢ .
- (٩٠) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ١ / ١٤، ١ / ٣١، ٢ / ١٣٧ .
- (٩١) العاملي الكركي، هداية الأبرار، ص ٣٤ وما بعدها؛ العقيلي، سبيل المؤمنين، ص ٤٠٨ وما بعدها .

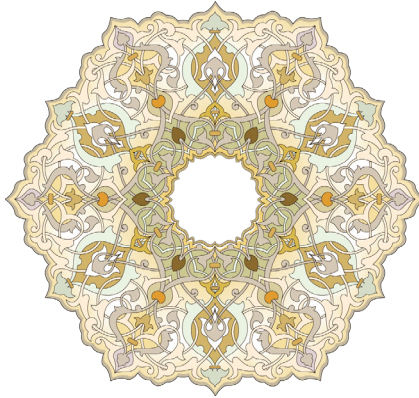


- (٩٢) المازندراني، شرح أصول الكافي، ١١ / (١٠٦) الحيدري، التوحيد، ١ / ٤٠ .
 ٢٢٩ . (١٠٧) المازندراني، شرح أصول الكافي، ١١ / ٢٣٢ .
 (٩٣) الكليني، الكافي، ٨ / ١٨ .
 (٩٤) يذكر الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي أن الخطبة كانت بعد تسعة أيام من وفاة رسول الله في حين أنه يذكر أنها بعد سبعة أيام في كتابه التوحيد ويبدو أن تصحيحاً وقع في ذكر تاريخها. ينظر: الصدوق، الأمالي، ص ٣٩٨؛ التوحيد، ص ٧٢ .
 (٩٥) الكليني، الكافي، ٨ / ١٨؛ المجلسي، مرآة العقول، ٢٥ / ٣٥ .
 (٩٦) الكليني، الكافي، ٨ / ٢٥؛ المجلسي، مرآة العقول، ٢٥ / ٥٨ .
 (٩٧) الكليني، الكافي، ٨ / ٢٥؛ المجلسي، مرآة العقول، ٢٥ / ٥٨ .
 (٩٨) الكليني، الكافي، ٨ / ٢٦؛ المجلسي، مرآة العقول، ٢٥ / ٥٩ .
 (٩٩) الكليني، الكافي، ٨ / ٢٧؛ المجلسي، مرآة العقول، ٢٥ / ٦١ .
 (١٠٠) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ١ / ٢٠٢، ٩٥ / ٦ .
 (١٠١) عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص ٣٥؛ المغربي، الفرق الكلامية، ص ١٣٥ وما بعدها. (١٠٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ١ / ١٥ .
 (١٠٣) الكليني، الكافي. (١٠٤) الحيدري، التوحيد، ١ / ٩١ .
 (١٠٥) الصدوق، التوحيد، ص ٨٣ .
 (١٠٦) المازندراني، شرح أصول الكافي، ١١ / ٢٣٢ .
 (١٠٧) المازندراني، شرح أصول الكافي، ١١ / ٢٣٢ .
 (١٠٨) المجلسي، مرآة العقول، ٢٥ / ٣٧ .
 (١٠٩) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ١ / ٧٢ .
 (١١٠) المازندراني، شرح أصول الكافي، ١١، ٢٣٧؛ الحيدري، التوحيد، ١ / ٦٣ .
 (١١١) المجلسي، مرآة العقول، ٢٥ / ٣٧؛ المازندراني، شرح أصول الكافي، ١١ / ٢٣٧ .
 (١١٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ١ / ٧٢ .
 (١١٣) الحيدري، التوحيد، ١ / ١٤٤ وما بعدها. (١١٤) المازندراني، شرح أصول الكافي، ١١ / ٢٣٨ .
 (١١٥) المجلسي الأول، روضة المتقين، ص ١٦٧؛ الحيدري، التوحيد، ١ / ٧٥ .
 (١١٦) الكليني، الكافي، ٨ / ١٨-١٩ .
 (١١٧) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ٢ / ٢١٠ .
 (١١٨) سورة البقرة، الآية، ٢١، ١٦٨؛ سورة النساء، الآية، ١، ١٣٣، ١٧٠، ١٧٤؛ سورة الأعراف، الآية، ١٥٨؛ يونس، ٢٣، ٥٧، ١٠٤، ١٠٨؛ الحج، الآية، ١، ٥، ٤٩، ٧٣؛ سورة النمل، الآية، ١٦، لقمان، الآية، ٣٣، فاطر، الآية، ٣، ٥، ١٥؛ الحجرات، الآية، ١٣ .
 (١١٩) الكليني، الكافي، ٨ / ١٩ .
 (١٢٠) شلبي، مقارنة الأديان، ص ١٧٥ .
 (١٢١) المازندراني، شرح أصول الكافي، ١١ / ٢٣٢ .



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحية في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً (عليه السلام)

٢٤١. (١٣٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ١ / ١٥١ .
- (١٢٢) الكليني، الكافي، ٨ / ١٩ .
- (١٢٣) المازندراني، شرح أصول الكافي، ١١ ، ٢٣٢ .
٢٣٥. (١٣٤) المجلسي، مرآة العقول، ٢٥ ، ٤٠ .
- (١٢٤) سورة النحل، الآية، ١٢٨ .
- (١٣٥) المجلسي، مرآة العقول، ٢٥ ، ٤٠ .
- (١٢٥) سورة الحجرات، الآية، ١٣ .
- (١٣٦) الصدوق، معاني الأخيار، ص ٢٧٠ .
- (١٢٦) الفخر الرازي، تفسير الرازي، ٢ / ٢٠ .
- (١٢٧) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٢٠ ، ٤٧ .
- (١٢٨) الزبيدي، تاج العروس، ٨ ، ٣٠٠ .
- (١٢٩) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٢٠ ، ٤٧ .
- (١٣٠) المازندراني، شرح أصول الكافي، ١١ ، ٢٣٢ .
- (١٣١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ٢ ، ١٣٩ .
- (١٣٧) فالإنسان الذي لا يعصم نفسه من الذنوب فأنها تجره إلى التورط في أفطع العواقب سوءاً فالورطة: هي الغامض والهلكة وكل ما يعسر النجاة منه وأصله الهوة العميقة والوهدة من الأرض ثم استعيرت للأمر المذكور. ينظر: المازندراني، شرح أصول الكافي، ١١ / ٢٤٣ .
- (١٣٨) الكليني، الكافي، ٨ / ١٩ .



قائمة المصادر والمراجع قائمة المصادر

عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى،
دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

- ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد،
(ت ٢٥٦هـ / ١٢٥٧م).

٧. شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم، الطبعة الأولى دار أحياء الكتب العربية،
١٩٥٩.

- ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م).

٨. تاريخ ابن خياط، تحقيق سهيل زكار، دار
الفكر، بيروت، د. ت.

- الرازي، فخر الدين، (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م).

٩. تفسير الرازي، الطبعة الثالثة، د. م. د. ت.

- الراوندي، قطب الدين أبي الحسن، (ت
٥٧٣هـ / ١١٧٧م).

١٠. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق
عبد اللطيف الكوكهمري، مكتبة آية الله المرعشي،
قم ١٤٠٦هـ.

- الزبيدي، محي الدين أبي فيض محمد مرتضى
الحسيني، (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م).

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق
علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (ت
٥٣٨هـ / ١١٤٣م).

١٢. تفسير الكشاف، دار ومطابع الشعب،
القاهرة، ١٩٦٠.

- ابن سعد، محمد، (ت ٣٣٠هـ / ٩٤١م).

١٣. الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د. ت.

القرآن الكريم

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن أسماعيل،
(ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م).

١. صحيح البخاري، دار الفكر، ١٩٨١.

- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر،
(٢٧٩هـ / ٨٩٢م).

٢. أنساب الأشراف، تحقيق إحسان عباس،
بيروت، ١٩٧٩.

- التفرشي، مصطفى بن الحسين الحسيني،
(ت القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر
الميلادي).

٣. نقد الرجال، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء
التراث، الطبعة الأولى، قم ١٤١٨هـ.

- ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي،
(ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).

٤. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق عبد
القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٢.

- الجوهري، اسماعيل بن حماد، (ت
٣٩٣هـ / ١٠٠٢م).

٥. الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،
الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، القاهرة،
١٩٨٧.

- ابن حجر، أحمد بن علي، (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨
م)

٦. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق، عادل احمد



- ١٤ - ابن سيده، أبي الحسن علي بن اسماعيل، (ت) الأعلمي، بيروت، ١٩٨٣.
- ١٥ - الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، (٤٦٠هـ/ ١٠٦٥م).
- ١٤ - المخصص، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- ٢١ - الفهرست، تحقيق جواد القيومي، الطبعة الأولى، مؤسسة نشر الفقهاء، ١٤١٧هـ.
- ١٤ - ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب، (ت ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م).
- ١٥ - ترتيب أصلح المنطق، رتبته وقدم له محمد حسن البكائي، الطبعة الأولى، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ١٤١٢هـ.
- ١٤ - الشريف الرضي، أبو الحسن محمد، (ت ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م).
- ١٦ - نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الطبعة الأولى، دار الذخائر، قم، ١٤١٢هـ.
- ١٦ - الصدوق، أبي جعفر محمد بن الحسين بن بابويه، (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م).
- ١٧ - التوحيد، تصحيح وتعليق السيد هاشم الحسين الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، د. ت.
- ١٨ - الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، مؤسسة البعثة، طهران، ١٤١٧.
- ١٩ - الأصفهاني، أبي الفرج، (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م).
- ١٩ - الأغاني، دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- ١٠ - الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
- ٢٠ - تاريخ الرسل والملوك، صححه وضبطه نخبة من العلماء، الطبعة الرابعة، مؤسسة بيروت، د. ت.
- ٢٢ - الاستيعاب، تحقيق علي محمد الجاوي، الطبعة الأولى، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٢.
- ٢٣ - تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
- ٢٤ - الصناعيتين في الكتابة والشعر، الطبعة الأولى، الأستانة، ١٣١٩هـ.
- ٢٥ - فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، د. م. د. ت.
- ٢٦ - شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، (ت ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م).
- ٢٦ - شرح ابن عقيل، الطبعة الرابعة عشر، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٦٤م.
- ٢٧ - العيني، أبا محمد محمود بن أحمد، (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).
- ٢٧ - عمدة القارئ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.



- أ. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٢٨. رجال الغضائري، تحقيق محمد رضا الحسيني الجلاي، الطبعة الأولى، قم، ١٤٢٢هـ.
٢٩. معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتب الأعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.
٣٠. معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.
٣١. العين، تحقيق مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، الطبعة الثانية، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ.
٣٢. صبح الأعشى في صناعة الأنشا، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
٣٣. البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨.
٣٤. الكليات، قابله ووضعه حواشيه عدنان درويش ومحمد المصري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٩٨.
٣٥. الروضة في الكافي، صححه وعلق عليه علي أكبر العقاري، الطبعة الثانية، طهران، ١٣٨٩.
٣٦. شرح أصول الكافي، تحقيق الميرزا أبو الحسن الشعراي، الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م.
٣٧. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، الطبعة الأولى، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤١٠م.
٣٨. مروج الذهب ومعادن الجوهر، الطبعة الثانية، تدقيق وضبط يوسف أسعد داغر، دار الهجرة، قم، ١٩٨٤.
٣٩. التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، عالم الكتب،
١. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٢. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٣. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٤. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٥. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٦. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٧. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٨. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٩. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
١٠. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
١١. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
١٢. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
١٣. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
١٤. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
١٥. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
١٦. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
١٧. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
١٨. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
١٩. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٢٠. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٢١. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٢٢. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٢٣. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٢٤. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٢٥. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٢٦. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٢٧. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٢٨. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٢٩. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٣٠. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٣١. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٣٢. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٣٣. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٣٤. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٣٥. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٣٦. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٣٧. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٣٨. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٣٩. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٤٠. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٤١. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٤٢. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٤٣. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٤٤. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٤٥. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٤٦. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٤٧. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٤٨. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٤٩. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
٥٠. م. د أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني



الخطاب الوعظي وهدفه الإصلاحية في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً..... (الخطبة)
القاهرة، ١٩٩٠.

- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين،
(ت ٧١١هـ / ١٣١١م).
- البيهقي، جعفر.

٤٠. أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.

- النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد،
(ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م).
- الجواهري، محمد.

٤١. أسماء مصنف الشيعة، تحقيق موسى البيري
الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٦هـ.
- النعمان المغربي، أبي حنيفة بن محمد التميمي،
(ت ٣٦٣هـ / ٩٧٣م).

٤٢. شرح الأخبار، تحقيق محمد الحسيني الجاللي،
مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د. ت.
٦. أشكال التواصل، رسالة ماجستير غير
منشورة، الجزائر، جامعة الحج لخضر، ٢٠٠٨-
٢٠٠٩.

- حمداوي، د. م، ٢٠١٥.
٧. التداوليات وتحليل الخطاب، الطبعة الأولى، د.

- الحيدري، كمال.
٨. التوحيد، تقرير جواد علي كسار، الطبعة
الخامسة، دار فرقد، إيران، ٢٠٠٦م.

- الخوئي، أبو القاسم.
٩. معجم رجال الحديث، الطبعة الخامسة، د. م،
١٩٩٢.

- السفياني، عبد الله بن رقاد.
١٠. الخطاب الوعظي (مراجعة نقدية وأساليب
الخطاب ومضامينه)، مركز نساء للبحوث
والدراسات، د. ت.

- الشاهرودي، علي النمازي.
١١. مستدركات علم رجال الحديث، الطبعة
الأولى، طهران، ١٤١٢هـ.

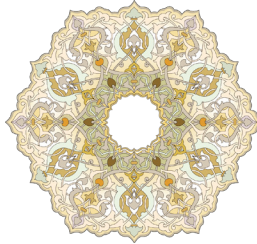
١٣٤
- برهومة، عيسى عودة.
١. تمثلات اللغة، مجلة عالم الفكر، العدد الأول،
المجلد ٥٦، لسنة ٢٠٠٧.

- بوحشة، خديجة
٢. محاضرات في اللسانيات التداولية، د. م، د. ت.
- بومعزة، نوال.

٣. تحليل الخطاب، محاضرات مقدمة لطلبة

قائمة المراجع

- أ. م. د. أنسام غضبان عبود الباهلي / م. قاسم عبد سعدون الحسيني
١٨. اللغة والسحر، الطبعة الأولى، الرياض، شلبي، أحمد.
١٢. مقارنة الأديان، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣.
١٩. سبيل المؤمنين إلى طريقة المعصومين، الطبعة الأولى، دار الحسين، ١٤٣٧هـ.
١٣. دراسات في نهج البلاغة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٢.
٢٠. تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، الشهرري، عبد الهادي بن ظافر.
١٤. استراتيجيات الخطاب، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ٢٠٠٤.
٢١. شرح وصية امير المؤمنين، دار الضياء، الشيرازي، صادق الحسيني.
١٥. السياسة من واقع الإسلام، الطبعة الخامسة، دار صادق، كربلاء، ٢٠٠٥.
٢٢. حياة الإمام الحسين، الطبعة الأولى، مطبعة عاشور، علي.
١٦. من غير علي يجيب، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٨.
٢٣. أعيان الشيعة، تحقيق وتخريج حسن الأمين، عبد الحميد، صائب.
١٧. تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، الطبعة الثانية، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم، ٢٠٠٥.
٢٤. المنطق، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، د. ت. - العجمي، فالح شبيب.





عاشوراء

عاشوراء

عاشوراء

صفاتُ القضاة والولاة
في نهج البلاغة، قراءة تأويلية

The qualities of judges and walis in Nahj-Al Balaghag/
interpretation reading.

الأستاذ المتمرس
الدكتور حاكم حبيب الكريطي
الكلية الإسلامية الجامعة/ النجف الأشرف

Tenured professor. Hakem Habib Al Kraitii.
Islamic college university/ Najaf

ملخص البحث

أقام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دولة العدل الإلهي مدة خلافته، على الرغم من كثرة الحروب التي فرضها مناوؤه عليه، لأنهم يفقدون ما يتمنونه حتماً إذا عاشوا كغيرهم في تلك الدولة. ولما كان العدل هو الأسس المكين الذي أقام عليه دولته، فقد اهتم (عليه السلام) باختيار القضاة والولاة، لأنهم هم الذين يطبقون العدل الذي يُريده (عليه السلام). ومن هنا تكرر ذكر هذين الصنفين في نهج البلاغة، وعلى الرغم من اختياره (عليه السلام) لهؤلاء بنفسه فإنه (عليه السلام) كان يوصي من يختاره بوصايا، يستنبط منها الصفات التي يُريدها فيمن يختار، وهو بهذا يضع بعضاً من الأسس التي ينهض عليها بناء الدولة من جهة، ومن جهة أخرى يقطع على المتربصين طريق الاعتراض على من يختاره للعمل قاضياً أو والياً.

لقد وضع الإمام (عليه السلام) أسس اختيار هؤلاء وحد صفاتهم في الكتب التي كان يبعثها لمن يختاره للقضاء، أو لمن يبعثه والياً ويكل إليه اختيار القضاة لعمله، وبذا يضع أمام المسلمين عامة ما يريده في القاضي من صفات. وقد اعتمدنا في قراءة الصفات منهجاً تأويلياً يقوم على التقاط الألفاظ المركزية في النصوص، والعودة إلى المعجم العربي للوقوف على دلالاتها، وأخذ المعاني التي يقبلها السياق، من دون الوقوف على المعنى الظاهر، وبهذا تفتح دلالات النصوص على نحو يظهر غزارة المعاني التي تحملها الصفة الواحدة، من دون أن تشكل هذه القراءة عبئاً على النصوص، أو تحميلها ما لا تحمل. وهذا القراءة تجسد ما نعتقد به من أن الإمام (عليه السلام) ينتقي من المفردات ما يرى فيه القدرة على تجسيد ما يريده من معاني الصفات التي يريد أن يتزين بها القاضي أو الوالي، وهذا شأنه (عليه السلام) في استعمال اللغة في خطبه وكتبه وحكمه الواردة في نهج البلاغة، وفي غيره من مصادر المسلمين.



Abstract

Imam Ali (peace be upon him) established the divine justice during the period of his rule in spite of many wars were imposed on him by his opponents because they definitely lose what they are hoping for if they live like. Anyone else in that state and because the justice was the strong foundation which he built his state on. so he interested in the selection of judges and walis because they are whom apply the justice that he want (peace be upon him) and from this the mention of both are frequented in Nahj Al-Balaghah and despite of his selection (peace be upon him) who was selected by him with recommendations devise from it the qualities that he want in whom he chose and he is by this he puts some of basis which form the foundation for nation building from one side and from the other side silences the objection for the stalkers on whom he chose to work as judges or wali. The Imam(peace be upon him) has based the chosen of them and determined their qualities in the covenants which he sent for who chosen as judges or wali and he entrusts him the selection of the judges for his work and he is by this puts to Muslims in general what he wants from qualities in judges and we depends on interpretation approach in reading the qualities stands on capture the central vocabularies in the texts and re turn to the Arabic Lexicon to identifying the indication and the suitable meaning to the context without standing on the apparent meaning and by this the indications of the texts open up in a way show em up the richness of the meaning that carried by one quality without burden the texts or uploaded it with this reading and its reflect what we believe that Imam(peace be upon him) select from the vocabularies what he sees the ability of reflect what he wants from the qualities meaning in it which he want displayed by using language in his speeches, covenants and wisdoms contained in Nahj Al-Balaghah and elsewhere from Muslims references.



المقدمة

للعمل قاضياً أو والياً.

أقام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دولة العدل الإلهي مدة خلافته، على الرغم من كثرة الحروب التي فرضها مناوئوه عليه، لأنهم يفقدون ما يتمنونونه حتماً إذا عاشوا كغيرهم في تلك الدولة. ولما كان العدل هو الأسس المكين الذي أقام عليه دولته، فقد اهتم (عليه السلام) باختيار القضاة والولاة، لأنهم هم الذين يطبقون العدل الذي يُريده (عليه السلام). ومن هنا تكرر ذكر هذين الصنفين في نهج البلاغة، وعلى الرغم من اختياره (عليه السلام) لهؤلاء بنفسه فإنه (عليه السلام) كان يوصي من يختاره بوصايا، يستنبط منها الصفات التي يُريدها فيمن يختار، وهو بهذا يضع بعضاً من الأسس التي ينهض عليها بناء الدولة من جهة، ومن جهة أخرى يقطع على المتربصين طريق الاعتراض على من يختاره

لقد وضع الإمام (عليه السلام) أسس اختيار هؤلاء وحد صفاتهم في الكتب التي كان يعثها لمن يختاره للقضاء، أو لمن يعثه والياً ويكل إليه اختيار القضاة لعمله، وبذا يضع أمام المسلمين عامة ما يريده في القاضي من صفات، وبهذا يهيء لهم الأمان بأن من يتولّى الفصل بينهم مأمون في عدالته على وفق طاقة الإنسان، ويدفع أهل الخصومات إلى الانتباه إلى ما ينتظرهم من العدل عند القاضي، وبذا يتحقق ابتداءً الهدف التربوي الذي يسعى الإمام (عليه السلام) إلى تحقيقه والذي يتمثل في تنبيه المسلمين إلى الصرامة التي تنتظر من يريد أن يُجافي الحق في نزاعه مع الآخرين.

وقد ذكر الإمام (عليه السلام) من الصفات ما يُجسّد الروح الإسلامية الحقة، وقيم العرف الاجتماعي التي



أقرها الإسلام، وتلك الصفات إذا اجتمعت في شخصٍ سيكون على قدر كبيرٍ من الهيبة التي تترك آثارها على المتنازعين، إذ يرون أنّ من يقفون أمامه للفصل بينهم، يمتلك القدرة التي تُعينه على الإمساك بالحقّ وتعرية الباطل.

تجسيد ما يريده من معاني الصفات التي يريد أن يتزيّن بها القاضي أو الوالي، وهذا شأنه (عليه السلام) في استعمال اللغة في خطبه وكتبه وحكمه الواردة في نهج البلاغة، وفي غيره من مصادر المسلمين.

أسس اختيار القضاة:

وقد اعتمدنا في قراءة الصفات منهجاً تأويلياً يقوم على التقاط الألفاظ المركزية في النصوص، والعودة إلى المعجم العربي للوقوف على دلالاتها، وأخذ المعاني التي يقبلها السياق، دون الوقوف على المعنى الظاهر، وبهذا تفتح دلالات النصوص على نحوٍ يظهر غزارة المعاني التي تحملها الصفة الواحدة، من دون أن تشكّل هذه القراءة عبئاً على النصوص، أو تحميلها ما لا تحمل. وهذه القراءة تجسّد ما نعتقد به من أنّ الإمام (عليه السلام) ينتقي من المفردات ما يرى فيه القدرة على

يضع الإمام (عليه السلام) الأسس التي يُستند إليها في اختيار القضاة الذين يراد لهم أن يتصدّوا للحكم بين العباد، ويفصلوا فيما يقع بينهم من خصوماتٍ من أجل حماية المجتمع من التشتت والفرقة والتناحر والتجافي، فيقول في عهده لمالك الأشتر حينما ولّاه مصر: «ثُمَّ اخْتَرِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ»^(١).

يُعطي الإمام (عليه السلام) للوالي (الحاكم) حقّ اختيار القاضي بنفسه، ولم يشأ أن يختاره هو (عليه السلام) وهو خليفة المسلمين، وإنّما أراد أن



تعاليمه (عليه السلام)، بما هو رئيس الحكومة لمالك الأشتر بما هو منصوب من قبله على مصر»^(٢).

ثم يذكر الإمام (عليه السلام) الصفات التي يريدُها فيمن يتولَّى القضاء من المسلمين وهي على النحو الآتي:
القدرة على تصريف الأمور:

يُوجِبُ الإمام (عليه السلام) أَنْ يَكُونَ الْقَاضِي: «مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ»^(٣).

فالصفة الأولى تتمثل في قدرة القاضي على تصريف الأمور التي تُعرض عليه، ولو كانت ملتبسةً ببعضها، إذ يمتلك من الحنكة وحسن التدبير ما يقوى به على تخليص الملتبس. واللافت للنظر هنا أن الإمام (عليه السلام) جعل الأمور نفسها تضيقُ بالقاضي نفسه بأسلوب مجازيٍّ أسبغ على التعبير بُعداً جمالياً، لنا أن نتصوره في أن الأمور تضيقُ إذا رأت القاضي غير قادرٍ على حلِّ ما

يبنى دولةً عدلٍ تقوم على مشاركة الآخرين من ذوي الشأن في بنائها، ومنهم الولاة، فأعطاهم هذا الأمر وجعله حقاً لهم.

ويضع (عليه السلام) الأسَّ الأوَّلَ للاختيار، وهو أن يكون المختارُ أفضلَ الرعية في نفس الوالي. وهذه الأفضلية لا علاقة لها بمودة الوالي لشخصٍ دون آخر، وإنما هي الأفضلية التي تقوم على العلم والخبرة والقدرة على استنباط الأحكام من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهذا ما يتوسَّمه الوالي في أفراد رعيته، واستناداً إلى هذا يكون القاضي حاكماً ومفتياً في آنٍ معاً، ومن هنا فإننا لا نرى فرقاً بين الأمرين على وفق هذه الإشارة العلوية، كما ذهب إلى ذلك أحد العلماء حينما قال: «على أنه لم يعلم كون هذا حكماً شرعياً، أو حكماً ولائياً نافذ المفعول إلى الآن، إذا الموقفُ يناسبُ أيضاً كونه من



يُشكّلُ منها، وهي تمتلك القدرة على الاتّساع، فمن معاني الضيق: «ما يكون في الذي يتّسع ويضيق»^(٤). وهذا الاستعمال البلاغيّ لإسناد الضيق إلى الأمور، يعني فيما يعنيه، أنّ على القاضي أن يمتلك من القدرة المعرفيّة ما يمكنه من إيجاد مخرج لكلّ ما يعرض له من دون أن يضيق صدره بما يواجهه.

لا تُمَحِكْهُ الخُصُومُ:

أمّا الصفةُ الثانيةُ فهي: (لا تُمَحِكْهُ الخُصُومُ)، ومن أجل الوقوف على ما يريدُه الإمام (عليه السلام) بهذه الصّفة، نعودُ إلى دلالة الجذر (مَحَك) في المعجم. جاء في لسانِ العربِ المعاني الآتية^(٥):

١. مَحَكُ: المَحَكُ المُشَارَّةُ والمُنازعة

في الكلام.

٢. المَحَكُ: التهادي في اللّجاجة

عند المُساومة والغضب ونحو ذلك.

٣. الجواد المَحَكُ: الذي يَلجُجُ في

عَدُوهِ وسيره.

٤. تَمَاحَكَ البَيَّعانُ والخُصَمانُ:

تَلَجَجًا قال الفرزذق:

يا ابنَ المِراغَةِ والهَجاءِ إذا التَقَّتْ

أعناقُهُ وتَمَاحَكَ الخُصَمانُ

٥. رجلٌ مَحَكٌ ومُماحِكٌ ومَحَكانٌ:

إذا كان لَجُوجاً عَسِرَ الخُلُقِ، وفي

حديثِ عليّ (عليه السلام) لا تَضيقُ به الأُمُورُ

ولا تُمَحِكُهُ الخُصُومُ.

٦. رجلٌ مُمَحِكٌ ورجلٌ مُسْتَلحِكٌ

ومُتَلَحِكٌ في الغُضبِ، وقد أَمَحَكَ

وألْكَدَ يكون ذلك في الغُضبِ وفي

البُخْلِ.

إنّ نظرةً أولى على هذه المعاني تُظهرُ

لنا أنّ اللّجاجةَ والمنازعةَ وعُسرَ الخُلُقِ

هي الإطار الذي يجمعُ المعاني الجزئيةَ

الواردة تحت الجذر (مَحَك)، ولَمّا كان

عملُ القاضي يقتضي الاستماعَ لحججِ

المتخاصمين وهم يقفون أمامه، وكلُّ

واحدٍ منهم يسعى إلى جرجرة الحقِّ

إلى جانبِهِ، فقد يقود هذا إلى التبرّم



والضيقِ وتفلّت الصبرِ من القاضي، وهنا يفقد القاضي صفةً رئيسةً من الصفات التي يوجبها الإمام (عليه السلام) فيه. أما المعاني الجزئية المشار إليها فتعطينا التصور الآتي لاستعمال الإمام (عليه السلام) لـ (تُحَكِّهُ الخُصُوم): يُعطينا المعنى الأول ما يقع فيه المتخاصمان أمام القاضي من اللجاجة التي تقود إلى الغضب (المعنى الثاني)، تحت تأثير الخصومة، التي تجرفهما إلى المساومة واللجاجة، كما يلج الجواد في عدوه وسيره (المعنى الثالث)، واختيار صفة الجواد هنا تنهاى مع حالة المتخاصمين أمام القاضي، فكأنهما في سباقٍ من أجل السبق في الحصول على ميل القاضي لأحدهما.

والمعنى الخامس (عسر الخلق)، وفيه نقول: إن هذه الصفة قد لا تكون ملازمة لمن يحضر أمام القاضي من المتخاصمين، ولكنها قد تتسرّب إلى من لا تكون ملازمة له، تحت تأثير النزاع المحتدم مع خصمه، فتكون صفة له في موطن النزاع هذا في مجلس القاضي.

ويبقى المعنى السادس (البخل)، وهنا نقول: إن أحد المتخاصمين يُدرك أنه على غير الحق، وهو يواجه خصمه أمام القاضي، فيكون بخيلاً في إعطاء الحق لصاحبه، فيلج وينازع ويرفع صوته، من أجل التعمية على القاضي. وكل واحدٍ منهما يسعى إلى

والضيقِ وتفلّت الصبرِ من القاضي، وهنا يفقد القاضي صفةً رئيسةً من الصفات التي يوجبها الإمام (عليه السلام) فيه.

أما المعاني الجزئية المشار إليها فتعطينا التصور الآتي لاستعمال الإمام (عليه السلام) لـ (تُحَكِّهُ الخُصُوم): يُعطينا المعنى الأول ما يقع فيه المتخاصمان أمام القاضي من اللجاجة التي تقود إلى الغضب (المعنى الثاني)، تحت تأثير الخصومة، التي تجرفهما إلى المساومة واللجاجة، كما يلج الجواد في عدوه وسيره (المعنى الثالث)، واختيار صفة الجواد هنا تنهاى مع حالة المتخاصمين أمام القاضي، فكأنهما في سباقٍ من أجل السبق في الحصول على ميل القاضي لأحدهما. أما المعنى الرابع (تماحك البيعان والخصمان)، فيومى هذا المعنى إلى أن المتخاصمين كأنهما بائعان يقفان أمام القاضي، وكل واحدٍ منهما يسعى إلى



لقد رسم الإمام (عليه السلام) بهاتين الكلمتين هذه الصورة لما يمكن أن يقع في مجلس القضاء، واستناداً إلى هذا، أراد (عليه السلام) أن يتجمل القضاة بهذه الصفة، وهي عدم الاستكانة لتأثير (المحاكاة) التي يستجلبها المتخاصمان، وهما يحاولان التأثير على القاضي وهو يتصدى للحكم بينهما.

لا يتماهى في الزلّة:

أما الصفة الثالثة التي يريدها الإمام (عليه السلام) للقاضي فتأتي في قوله: **«وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ»**^(٦). فما المراد بها؟

إنّ الخطأ مما يقع من الإنسان، فإذا وقع فيه وجب عليه أن يرجع بعد ظهور الحقّ أمامه، والإمام (عليه السلام) عدّ ما يقع فيه القاضي من اضطرابٍ في الحكمِ زلّةً، والزلّة تكون في القولِ والخطيئة والرأي والدين^(٧)، وزلّ القاضي يكونُ في

هذه الأوجه الأربعة التي تقولُ بها اللغة، فحينما يقعُ في واحدٍ منها، يكون قد زلّ عن الطريقِ القويمِ. فإذا زلّ في القول، وقال حكمه بلغة تُشكّل على المتخاصمين، عدّ هذا زللاً منه، يتحتّم عليه أن لا يتماهى فيه، أي لا يستمرّ، يُقال: «تماهى فلانٌ في غيّه إذا لجّ فيه، وأطال مدى غيّه، أي غايته»^(٨).

وقد تُعدُّ زلّةُ القاضي خطيئةً، لأنّ الحكمَ بغيرِ الحقِّ ضربٌ من الجورِ والتعسفِ والظلم، وإن لم يكن مقصوداً، وهنا يجبُ الرجوعُ إلى الحقِّ، وليس في هذا ما يشين، فثمّة حديثٌ نبويٌّ عدّ التوبة عن الخطأ ضرباً من ضروبِ الفضيلة، يقولُ (عليه السلام): «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(٩). والتوبةُ هي الرجوعُ من المعصية إلى الطاعة، وهنا تتحقّقُ الفضيلةُ المذكورةُ في الحديثِ. واستناداً إلى ما تقدّم - أيضاً -



صفات القضاة والولاية في نهج البلاغة، قراءة تأويلية.

﴿الْبَيْتُ﴾

يَحْصِرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ»^(١٠)، والوقوف على معاني المفردات المركزية في النص يُعيننا على تلمس بعضاً مما يبسطه الإمام (عليه السلام)، واللفظة المركزية الأولى هنا هي (يُحْصِرُ)، ومن معانيها في المعجم العربي ما يأتي^(١١):

١. حَصَرَ صدرُهُ: ضاق، والحَصْرُ: ضيقُ الصدرِ.
٢. حَصَرَهُ يَحْصِرُهُ: ضيقَ عليه وأحاطَ به.
٣. الحَصِيرُ والحَصُورُ: المسكُ البخيلُ الضيقُ.
٤. الحَصُورُ: الهيوبُ المحجُمُ عن الشيءِ.

فالقاضي على وفقِ هذه المعاني لا يضيِّقُ صدرَهُ، ولا يُحجِمُ عن الرجوعِ إلى الحقِّ إذا تبينَ له أَنَّهُ جافاهُ في حكمه، ولا يتهيِّبُ من ذلك، وإنَّما يتقبَّلُ أمرَ العودةِ إليه بصدْرِ رحبٍ، واستبشارٍ ورضا. وهنا يكون كريماً

صارت زلَّةُ القاضي في الحكمِ زلَّةً في الدين، وهنا صارت سرعةُ العودةِ إلى جادةِ الحقِّ واجبةً، حتى لا يكون متمادياً فيما وقع فيه من زللٍ في هذه القضيةِ أو تلك على ما أوصى به الإمام (عليه السلام).

بقي من معاني (الزلَّة) معنى آخرُ أرجأنا الحديث عنه ليكتمل ما أردناه من المعاني السابقة، والمعنى هو قولهم: زلَّ: إذا زلَّق، أي لا تثبت قدمه، فيكون القضاء (زحلوقةً) لا تثبت عليه الأقدام إلا بعد التثبيت والتأني، وهذا المعنى يتناغم مع ما أشار إليه الإمام (عليه السلام). واستناداً إلى هذا المعنى صار لزاماً على القاضي أن يثبتَ في أحكامه حتى لا تزَلْ قدمه فينحدر إلى مهاوي الخطيئة التي مرَّ ذكرها في المعاني السابقة.

لا يُحجم من الرجوعِ إلى الحقِّ: والصِّفَةُ الرابعةُ من صفات القاضي تردُّ في قوله (عليه السلام): «وَلَا

ما تقدّم يظهر لنا الاستعمال الفريد لمفردات اللغة، وكيف استثمرها الإمام (عليه السلام)، بما يجعلها وسيلة من وسائله (عليه السلام) في تربية المجتمع على نحو جماليٍّ أخاذٍ.

لا تُشرف نفسه على طمع:

أما الصّفة الخامسة التي ينبغي أن يتزيّن بها القاضي، فهي تتجلى في قول الإمام (عليه السلام): «وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ»^(١٣). والإمام (عليه السلام) انتقى لفظة (تشرف) وهي تعني الاطلاع من فوق، ليُظهر من خلالها منزلة القاضي العالية المُشرفة على المنازل الأخرى، فضلاً عما تتضمنه من دلالة الشرف والمجد التي يستلزمها علوُّ المنزلة وسموها، ويقابل هذه المنزلة منزلة (الطمع)، التي تُعدُّ منقصةً لا يصحُّ أن يقترب منها الإنسان المسلم، فما بالك بالقاضي المسلم المكلف بالتفريق بين الحقِّ والباطل؟.

لأن العودة إلى الحقِّ مما يُحمدُ به الإنسان، والكريم اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحمدُ^(١٢)، وهنا يحضّر معنى (المسك البخيل الضيق) الثالث، لمن يحضّر عن الرجوع إلى الحقِّ، إلى ما يأمرُ به الله تعالى.

أما اللفظة المركزية الثانية في النصِّ فهي (الفيء)، ومن معانيها التي تأتلف مع السياق ما يأتي:

١. فاء إلى الأمر: رجع إليه.

٢. الفيء: ما كان شمساً فنسخه الظلُّ.

٣. الفيء: الغنيمة.

نخلص من النظر في قول الإمام (عليه السلام) على وفق المعاني السابقة إلى القول: إنَّ القاضي إذا تبين له الحقُّ وعاد إليه بعد خروجه عن طريقه، يكون كمن ترك الوقوف في الشمس، ورجع ليستريح في الفيء أو الظلِّ، ويكون -أيضاً- كمن حصل على غنيمةٍ بعودته إلى الحقِّ. واستناداً إلى



وئمة أمرٌ آخرٌ يُجسِّدُهُ الفعلُ (تشرفٌ) أيضاً، وهو أن هذه الصفة قد تقوِّدُ إلى انحرافِ القاضي عن سبيلِ الحقِّ لوقوعه تحت تأثير هواجسِ نفسه التي تُمسكُ بها رؤيتهُ للطمعِ ولو من علوِّ شاهق. وهو لم يقعْ بعدُ فيما يطمعُ به. والإمامُ (عليه السلام) يُوصي ويُحذِّرُ من خلال التركيز على هذه الصِّفة. فصار ذكرُ الصِّفةِ وسيلةً من وسائل تقويم سلوكِ القضاة.

بقي أمرٌ نرغب في الإشارةِ إليه وهو أن ابن أبي الحديد أضاف معنى آخر للإشراف وهو: الإشفاقُ والخوفُ^(١٧)، وعلى الرغم من أننا لم نعر على هذين المعنيين فيما رجعنا إليه من المعاجم، فإنَّ السِّياق قد لا يتناغم معهما، لأنَّ مرتبةَ القاضي مرتبةٌ تتطلَّع إليها الرقاب، وليس فيها ما يدعو إلى الإشفاق أو الخوف، إلا إذا كان ذلك من خشيةٍ مجانبيةٍ

وعوداً إلى معنى (تشرف)، وهو تطلَّعٌ عليه من فوق، يُظهرُ لنا بمفارقةٍ جميلةٍ البونَ الشاسعَ بين ارتفاعِ مرتبةِ القاضي، وانحطاطِ مرتبةِ (الطمع)، وقد ورد عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أن قطعَ (الطمع) ضربٌ من ضروبِ الخيرِ في قوله: «رَأَيْتُ الْخَيْرَ كُلَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ فِي قَطْعِ الطَّمَعِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ»^(١٤)، وورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) أن (الطمع) ضربٌ من ضروبِ الذلِّ في قوله: «بئس العبدُ عبدٌ له طمعٌ يقوِّدُهُ، وبئس العبدُ عبدٌ له رغبةٌ تُذلِّلُهُ»^(١٥).

والإمامُ (عليه السلام) لم يكشف في قوله السابق عن نوعِ الطمعِ الذي يمكنُ أن تُشرفَ عليه نفسُ القاضي، ليجعل قولَه محيطاً بأنواعِ الطمعِ كُلِّها، الكرامةِ والجاهِ والمالِ والحظوةِ، وكلِّ ما يشغلُ نفسَهُ عن أيِّ عرضٍ من أعراضِ الدنيا^(١٦).



الحق، وهذا أمرٌ محمودٌ ومرغوبٌ فيه، ولكن ابن أبي الحديد لم يُرد هذا المعنى، وإنما أراد المعنى السلبي للإشفاق والخوف.

التأني في الحكم:

يقول الإمام (عليه السلام) عن هذه الصفة: «وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَىٰ فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ»^(١٨).

تعدّ هذه الصفة من الركائز الرئيسة التي يستند إليها القاضي قبل أن يحكم بين الخصمين، حتى لا يقع في دائرة الكفر التي تُحيطُ بمن لا يحكم بما أنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة ٤٤]، ومن هنا فإنّ الفهم الأوّلي الذي يتشكّل في ذهن القاضي من سماعه حجج الخصوم غير كافٍ، وإنما عليه أن يبذل جهده من أجل الوصول إلى أقصى فهم. وهذا هو شأن العلماء

الذين يتحرّون الدقّة والثبّت وتقليب المسألة على الوجوه المحتملة لها. يقول الشيخ محمد جواد مُغنية عن الأناة التي يُوصي بها الإمام (عليه السلام): «لا يعلن الحكم النهائي إلا بعد التحري والوقوف على جهات الدّعى بأكملها، والبحث عمّا يتصل بالحادثة حكماً وموضوعاً. وهذه هي طريقة العلماء، فإنهم لا يتنبؤون بشيء إلا بعد الاستقراء التام، والملاحظات الدقيقة والوثوق بما يقولون»^(١٩).

أمّا قوله (عليه السلام): «وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ»^(٢٠)، فيعني أنّ على القاضي أن يكون أكثر الرعية تأتياً ووقوفاً، وتثبتاً عند المشكلات من الأمور، حتى يصل إلى دليلٍ يبيّن حكمه عليه، وهذا هو المراد بالوقوف، فهو وقوفٌ أناةٌ وليس وقوفٌ ترك الحكم فيما يُشكّل من الشبهات. وقد أبدى الإمام (عليه السلام) عجبه من الفرق



أنّ الفقهاء «لديهم قواعدُ وأصولُ شرعية مقررّة، وهي كثيرة بكثرة الموارد، منها قاعدة درء الحدود بالشبهات»^(٢٢).

عدم التبرّم بمراجعة الخصم:

وهذه الصّفة وردت في قول الإمام (عليه السلام) الآتي: «وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّمًا بِمَرَاجَعَةِ الْخَصْمِ»^(٢٣).

إنّ وصيّة الإمام (عليه السلام) هذه تستدعي أن يكون القاضي صبوراً على الاستماع لحجج الخصوم ومراجعتهم فيما يقولون ليأخذ مما يسمعه وسائل الوقوف على حقيقة الأمر الذي بين يديه، ولا يبرم، والبرم: السأم والملل والضجر^(٢٤). وما من شك أن كثرة الاستماع إلى ما يقوله الخصوم تبعث في النفس شماًزيرةً وقرفاً وضيقاً، وقد يخضع القاضي لهذه المؤثرات فيبرم بما يسمع، وهنا قد يتسرّب الوهن إلى قدرته على انتقاء الحكم المناسب لهذه القضية أو تلك.

المتخاصمة بقوله: «فَيَا عَجَبًا! وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَا هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا! لَا يَتَّقُصُونَ أَنْرَ نَبِيِّ، وَلَا يَتَّقُدُونَ بِعَمَلِ وَصِيِّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَ يَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ»^(٢١). فالعمل في الشبهات على وفق قول الإمام (عليه السلام) هو من الأخطاء التي يرتكبها من يعمل ذلك، ومن هنا صار لزاماً على القاضي أن يطيل الوقوف عند الشبهات قبل أن يحكم فيما يعرض له منها.

ويبقى من هذه الصّفة قوله (عليه السلام) «وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ»، وهذا يعني أن القاضي يجب أن يكون أكثر الناس أخذاً بالحجج من المتخاصمين، لأنّه يحكم على وفق ما يتجمّع عنده من أدلّة وحجج وبراهين، من دون أن يتعجّل في ذلك - كما قيّدته الصّفة السابقة -. هذا فضلاً عن



فيخرج عن طريق الحق الذي يُريده الله تعالى، ويقع عقله أسيراً لهواه. فلا يُنصف المظلوم من الظالم، وهنا يكون واحداً من القاضيين اللذين يكونان في النار في قول الإمام (عليه السلام): «القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار: رجل جار متعمداً فذلك في النار، ورجل أخطأ في القضاء فذلك في النار، ورجل عمل بالحق فذلك في الجنة» (٢٥).

الصبر على تكشّف الأمور:

قال الإمام (عليه السلام) عن هذه الصفة: «وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشِفِ الْأُمُورِ». والصبر محمود لذاته كما هو معلوم عند المسلمين، ولكن الإمام (عليه السلام) خصّ من يُكلّف بالقضاء بهذه الصفة، فكان الصبر بوجهه العامّ ممّا يتحلّى به القاضي في الأصل، فتكون هذه الصفة صفةً إضافيةً لصبره، لأنّ الأمور التي تُعرض أمامه لا يتكشّف وجهها الحقيقي

جملةً واحدةً في الغالب، وإنّما قد يتكشّف رويداً رويداً، بعد أخذ وردّ ومماحكاتٍ، ثمّ تقلب ذلك كلّه على الوجوه كلّها، وهذا يستدعي صبراً وأناةً ورويةً وتمهلاً بغية تخلص الحق من الباطل، ومن هنا تظهر لنا أهمية الصبر المأمور به ليكون صفةً ملازمةً لمن يكون قاضياً.

وفي هذا المضمون نفسه حذر الإمام (عليه السلام) من تسربّ الملل إلى نفس القاضي، لأنّ في هذا مجافاةً للصبر، يقول (عليه السلام) في وصية له إلى قاضيه على الأهواز: «وإياك والملافة فإتّما من السخف والندالة» (٢٦). فقلّة الصبر تأتي من رقة العقل أو ضعفه، وهذا لا يُناسبُ مقام الفصل بين الناس.

الصرامة عند اتّضح الحكم:

أشار الإمام (عليه السلام) إلى هذه الصفة بقوله: «وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتّضَاحِ الْحُكْمِ» (٢٧).



تأتي هذه الصفة بعد أن يتبين

للقاضي كل ما يتعلق بالقضية المبسوطة أمامه، أي بعد أن يعزم على الحكم فيها، ولا بأس أن نقف على المعاني التي يقدمها لنا الجذر (صرم) لنقف على دلالة ما يريدُه الإمام (عليه السلام) بهذه الصفة. جاء في لسان العرب (٢٨):

١. رجل صارم: ماضٍ في كل أمر.
 ٢. رجل صارم: جلدٌ ماضٍ شجاعٌ.
 ٣. الصريمة: العزيمة على الشيء وقطع الأمر.
 ٤. الصريمة: إحكامك أمراً وعزمك عليه.
 ٥. الصرامة: المُستبَدُّ برأيه المُنْقَطِعُ عن المُشاورة.
 ٦. الصريم: الصبحُ لانتقاعه عن الليل.
- ومن مزاجه هذه المعاني ببعضها، تتضح لنا هذه الصفة على النحو
- الآتي:
- يجب أن يكون القاضي ماضياً في كل أمرٍ يُعرضُ أمامه، جليداً شجاعاً، مستبداً برأيه (بحكمه)، منقطعاً عن مشاورة غيره، لأنه تثبت من الأمر الذي أمامه، حتى بان له كالصبح الذي انقطع عن الليل، واستناداً إلى هذا يأتي حكمه قاطعاً لا تردّد فيه، لأن التردّد في هذا الموطن يُضعف قوة الحق التي يُريدها القاضي لحكمه.
- لقد أعطتنا مفردة (الصرامة) في هذه الصفة أفقاً معرفياً ثراً ظهر في المعاني الستة التي أمدنا بها الاستعمال الاجتماعي لها، وهذه المعاني أسبغت في الوقت نفسه على اللفظة حيويةً وحركيةً جعلتنا نتنقل خلف المعاني التي تؤدّيها من دون أن يشكّل ذلك عبئاً علينا، وإنّما منحنا متعةً فنيةً اقترنت بالمتعة المعرفية التي نحنُ بصددِها من هذه الصفة التي وضعها الإمام (عليه السلام) للقاضي بين



بقي أن نشير إلى أمر تسرّب من المعنى الخامس (المستبدّ برأيه المنقطع عن المشاورة)، وهو أنّ هذا المعنى قد يحمل في ظاهره صفةً غير مرغوبٍ فيها (الانقطاع عن مشاورة الغير)، وهنا نقول: إنّ الحديث عن هذه الصّفة لا يأتي منقطعاً عن غيرها من الصفات، وإنّما تكتمل كلّها بإمساك بعضها ببعض، فيكون استبداد القاضي برأيه مُغنياً عن آراء الآخرين بعد أن جمع الصفات التي قدّمها الجذر (صرم)، ومن هنا يكون الاستبداد عدلاً في هذه الجزئية، ولو أراد القاضي أن يُشاور غيره لما انتهى إلى حكم بالقضية لأن غيره في الغالب لا يمتلك من الصفات ما يمتلكه هو.

وهذا الذي قدّمناه بشأن دلالة هذه المعاني، يكون حاضراً عند القاضي، بعد أن يتضح له الحكم في

القضية، وهنا تكون الصرامة بالمعاني كلّها هي المستند الذي يشدُّ أزر القاضي وهو يحكم بما اتّضح له. عدم التآثر بالإطراء أو الإغراء:

وردت هذه الصّفة في قول الإمام (عليه السلام): «لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ»^(٢٩).

نعود هنا إلى المعجم للوقوف على معاني الصّفة (لا يزدديه إطراء)، ونأخذ أولاً معاني (يزدديه)، فيعطينا جذرها (زها) المعاني الآتية^(٣٠):

١. الزّهو: الكبر والتّيه والفخر والعظمة.

٢. الزّهو: الظلم.

٣. الزّهو: الاستخفاف. وزها

فلاناً كلامك زهواً وازدهاه فازدهى استخفه فحفّ. ومنه قولهم فلان لا يُزدهى بخديعة، وازدهيت فلاناً أي تهاونت به، وازدهى فلان فلاناً إذا استخفه، ورجل مُزده: أخذته خفةً من الزّهو أو غيره. وازدهاه على



الأمير أجبره. إن حُسنَ الشَّاءِ أو مجاوزةَ الحدِّ

٤. زَهَا السَّرَابُ الشَّيْءَ يَزْهَاهُ رَفَعَهُ، والسَّرَابُ يَزْهَى القُورَ والحُمُولُ كأنه يَرْفَعُهَا. في المديح أو الكذب فيه، لا يصح أن تؤثر هذه الأقوال الثلاثة في من يتوخى الحق، ولا يمكن أن يقع تحت تأثيرها، فالمعنى الأول وإن كان صحيحاً، فلا يُخرج القاضي عن توازنه واعتداله. أما المعنيان الثاني والثالث، فهما مما لا يُرتضى لما فيهما من الكذب، حتى وإن كانا في سبيل المبالغة والغلو التي يقبلها اللسان العربي في غير هذا الموضع. فإذا قُدِّرَ للقاضي أن يُحسنَ الشَّاءَ عليه أحدٌ، أو يمدحه بما ليس فيه كَذِبٌ، فعليه أن يتماسك ولا يزدنيه ذلك، ومن زحزحة معاني (زها) إلى هذا الموضع وموافقتها مع ما قلناه، نقول: إنَّ على القاضي أن لا يأخذهُ الكِبَرُ والتَّيُّهُ والفَخْرُ والعَظَمَةُ بما يسمعُ من الإطراء، ولا يستخفَّهُ ذلك، فيرفعه فيبدو كالأشياء التي يرفعها السراب وما هو برفعها بحق، والسراب في

٥. وزَهتَ الرِّيحُ النباتَ تَزْهَاهُ: هَزَّتْهُ غِبَّ النَّدى، وزَهتَهُ: ساقَتْهُ، والرِّيحُ تَزْهَى النباتَ إذا هَزَّتْهُ بعد غِبِّ المَطَرِ.

أما معنى (الإطراء)، فنقفُ على المعاني الآتية تحت الجذر (طرا):

١. وأَطْرَى الرجلَ: أَحَسَنَ الشَّاءَ عليه.

٢. أَطْرَى فلانَ فلاناً: إذا مَدَحَهُ بما ليس فيه.

٣. وأَطْرَى: إذا زاد في الشَّاءِ، والإطراءُ مُجَاوِزَةٌ الحدِّ في المَدْحِ، والكَذِبِ فيه.

ومن موالفة معاني الجذرين المذكورين تظهرُ لنا صورةُ الصِّفَةِ التي أراد الإمام (عليه السلام) بيانها وهي على النحو الآتي:



اللغة: الذي يجري على وجه الأرض، يرفع الأشياء ويزهاها^(٣١).

بيد أن ثمة معنى من المعاني السابقة أرجأنا الإشارة إليه، وهو معنى (الظلم)، وهذا من أكثر المعاني التصاقاً بعمل القضاة، فإذا استخف الإطراء القاضي انحرف إلى مواطن الزلل عن سبيل الحق ووقع في دائرة الظلم التي ترتبط بغضب الله تعالى.

لقد انتقى الإمام (عليه السلام) اللفظتين السابقتين ليعطينا هذا الحشد من المعاني الفرعية التي تجتمع مع بعضها لتبرز الصفة التي أرادها بنمط من التعبير الآخاذ.

أما قوله (عليه السلام) «وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ» فهو مرتبط بما أظهرناه فيما مر من كلامنا قبل قليل، إذ إن المعاني السابقة من (ازدهاء الإطراء للقاضي) قد تستميله إلى جهتها، وتلتصق به بفعل الكلام المؤثر الذي نُظمت فيه، والإغراء هنا مأخوذ

من قولهم: «غري هذا الحديث في صدري... يغري... كأنه ألصق بالغراء وغري بالشيء يغري غراً وغراء أولع به»^(٣٢)، ومن هنا فإن تلك المعاني المشار إليها، لا يخضع لها القاضي، ولا تستميله، بل تزيده تمسكاً وثباتاً.

وصايا الإمام (عليه السلام) للقضاة:

كان من شأن الإمام (عليه السلام) أن يكتب لمن يرسله قاضياً كتاباً، يحمله جملة من الوصايا التي يحتاجها الإنسان المسلم عامةً والقاضي خاصةً لارتباطها بعمله الذي يتصدى فيه للفصل بين المتخاصمين. وهذه الوصايا تتحوّل إلى صفات يتزبن بها القاضي أثناء عمله، فالصفات الأولى التي مرّ ذكرها تكون ركيزة لاختيار القاضي أول مرة، وهذه الوصايا ستصبح صفات بعد أن يروّض القاضي نفسه عليها. وأغلب هذه الوصايا جاءت في كتاب أرسله



«خَيْرٌ» (٣٤).

ولعل أول ما ينبغي الإشارة إليه هو أن الإمام (عليه السلام) يريد بالمطامع هذه المعاني الأربعة التي يجب أن يتجنبها الإنسان المسلم عامةً والقاضي خاصةً، وقد بين سبب ترك الطمع فيها، فالفرح مكروه عند الله تعالى، لأنه غالباً ما يكون مرتبطاً بشؤون الدنيا. جاء في لسان العرب عن معنى الفرح ما يأتي: الفرح هو انشراح الصدر بلذّة عاجلة، وذلك في اللذات الدنيوية (٣٥)، ومن هنا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص ٧٦]، ومن هنا أيضاً تأتي الكراهة التي أشار إليها الإمام (عليه السلام). أما بقيّة المعاني التي خصّ الإمام (عليه السلام) ارتباطها بالطمع، فهي كالفرح المشار إليه مما يشغل المسلم بشؤون الدنيا ويُبعده عن التفكير بالآخرة، وهي الخيلاء واللجاجه واستبدال الدنيا بالآخرة (٣٦)، فهي

الإمام (عليه السلام) إلى رفاة لما استقضاه على (الأهواز) ومنها: ترك الطمع:

نهى الإمام (عليه السلام) عن هذه الصفة في وصيته لقاضيه المذكور، بقوله: «ذَرِ الْمَطَامِعَ» (٣٣). والطمع من الصفات التي كان الإمام (عليه السلام) يحذّر منها أصحابه لما لها من تأثير على خضوع الإنسان المسلم لهوى النفس، فما بالك بالقاضي الذي يتبوأ مقعداً يفصل فيه بين الحقّ والباطل؟ إذ لا يمكن أن يتحقّق العدل على يديه إذا كان للطمع مكانٌ في نفسه.

وقد بين الإمام (عليه السلام) صورة الطمع في قولٍ آخر له، حينما وصفه بقوله: «وَشَعَبُ الطَّمَعِ أَرْبَعٌ: الْفَرَحُ، وَالْمَرْحُ، وَاللَّجَاجَةُ، وَالتَّكَاثُرُ، فَالْفَرَحُ مَكْرُوهٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمَرْحُ خِيَلَاءٌ، وَاللَّجَاجَةُ بَلَاءٌ لِمَنْ اضْطَرَّتْهُ إِلَى حَبَائِلِ الْأَنْامِ، وَالتَّكَاثُرُ هُوَ وَشُغْلٌ وَاسْتِبْدَالُ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ



أ. د. حاكم حبيب الكريطي
ولا يصحّ من القضاة خاصةً أولاً ولا
من غيرهم عامّةً^(٣٨).
مخالفة الهوى:

وهذه الوصية هي قوله (عليه السلام)
«**وَمُخَالَفَةُ الْهَوَى**»^(٣٩). ومخالفة الهوى
ركيزة رئيسة من ركائز قوام الدين
للمسلمين عامةً، يقول الإمام (عليه السلام)
في موطنٍ آخر عن هذه الصفة:
«**نِظَامُ الدِّينِ مُخَالَفَةُ الْهَوَى**»^(٤٠).

والمسلم الثابت على دينه يتمسك
بمخالفة هواه لأن ذلك كفيلاً بسيره
على منهج الحق، فإن أطاع هواه
قاده إلى موطن الزلل. أما القاضي
فيتحتم عليه مخالفة هواه مرتين، مرةً
بوصفه واحداً من المسلمين ليكون
من الثابتين على دينهم، ومرةً لأنه
يقضي بين الناس، وقد يكون هواه
إلى أحد المتخاصمين، وهنا قد يجور
في حكمه بسبب اتباع هواه. ونرجح
هنا أن مراد الإمام (عليه السلام) من وصيته
للقضاة بمخالفة الهوى يتجسد في

أيضاً مما يقدح بسيرة القاضي،
ويُخرجه عما مطلوب منه التحلي
به على وفق هذا الجزء من وصية
الإمام للقضاة (عليه السلام).

بقي أن نشير إلى أن التكاثر الذي
أشار إليه الإمام (عليه السلام) والذي يشكل
ركناً رئيساً من أركان الطمع، غالباً
ما يتجسد في جمع الأموال، ولكي
يُميت الإمام (عليه السلام) هذه الصفة في
نفوس القضاة، أمر الولاة بالإفصاح
لهم في العطاء، كما أمر الأشر
النخعي واليه على مصر بذلك
بقوله: «**وَأَفْسَحْ لَهُ فِي الْبَدَلِ مَا يُزِيلُ
عِلَّتَهُ**»^(٣٧)، ليموت أو ينقطع داعي
الطمع من نفسه، فيجلس للقضاء
بين الناس، وهو حاضرُ الذهن،
ليس في ذهنه شيء يفكر به من شأن
الثروة والمال، وإنما يكون تفكيره
منقطعاً إلى ما بين يديه من حجج
المتخاصمين. واستناداً إلى ما تقدّم،
فهذا الضرب من الطمع منهى عنه،



هذا الوجه تماماً، ولعلّ في حادثة تأنيبه لشريح القاضي عندما لم يساو بينه وبين خصمه اليهودي في قضية الدرع خير شاهدٍ على ما نرجّحه هنا، لأنّ شريحاً كان هواه مع الإمام (عليه السلام)، فلم يرض منه الإمام (عليه السلام) ميله إليه، وعدّ ذلك مثلبةً في قضائه. لأنّ أتباع الهوى يصدّ عن الحقّ كما يقول (عليه السلام) في موطنٍ آخر^(٤١).

تزيين العلم بالسّمّت الصالح: جاءت هذه الوصية في قوله (عليه السلام): «وزيّن العلمَ بسّمّتِ صالح»^(٤٢).

إنّ نظرةً أولى على هذا القول تُظهر لنا أنّ القاضي يمتلك علماً كافياً ليفصل بوساطته بين المتخاصمين، لذا كانت الوصية منصبةً على تزيين العلم الموجود عند القاضي بالسّمّت الصالح، فما المراد بالسّمّت هنا؟ نعود إلى المعجم العربي للاستعانة بما يُقدّمه لنا من معانٍ تتوافق مع السياق تحت الجذر (سَمِت) ^(٤٣) ومن

تلك المعاني ما يأتي:

١. السّمّت: السّمّتُ حُسْنُ النَّحْوِ فِي مَذْهَبِ الدِّينِ.

٢. السّمّت: يقال: إنه لِحَسَنُ السّمّتِ أَي حَسَنُ الْقَصْدِ وَالْمَذْهَبِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهِ.

٣. السّمّت: اتّباعُ الْحَقِّ وَالْهُدْيِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ وَقِلَّةُ الْأَذْيَةِ.

٤. التّسميت: ذِكْرُ اللَّهِ عَلَى الشَّيْءِ وَقِيلَ التّسميتُ ذَكَرَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

٥. السّمّت: السّيرُ عَلَى الطَّرِيقِ بِالظَّنِّ وَقِيلَ هُوَ السّيرُ بِالْحَدْسِ وَالظَّنِّ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ.

يُظهِرُ لَنَا النَّظْرُ فِي هَذِهِ الْمَعَانِي أَنَّ الْقَاضِيَّ حَسَنُ الْقَصْدِ فِي دِينِهِ وَمَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي شَأُونِهِ وَفِي شَأُونِ دُنْيَاهِ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُهُ مَتَّبِعاً لِلْحَقِّ وَالْهُدْيِ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ تَجْعَلُ الْعَدْلَ غَرَضاً يَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ قَاضِياً، فَإِذَا كَانَ قَاضِياً تَمَسَّكَ بِهَذِهِ



الصفات بقوة المحب لها.

ولا بأس من الإشارة إلى أنّ معنى (حسن الجوار وقلة الأذية) الوارد في (المعنى الثالث)، يُعطينا صفةً اجتماعيةً يريدّها الإنسان المسلم لنفسه، لأنّها تُظهر امتزاجه بمجتمعه وائتلافه معه فيحصل على رضا الله تعالى الذي أوصى بحسن الجوار وكفّ الأذى^(٤٤)، وهذه الصفة تتجلّى فيها الروح السمحة التي يُريدّها الإسلام للمسلم، ويتجلّى فيها وجهٌ اجتماعيٌّ مرغوبٌ فيه يحمّهُ العقل. وهاتان الصفتان سيكون عمل القاضي ميداناً آخر لتجسيدهما، فقد يحكم القاضي بمعاينة أحد المتخاصمين، وبوجود هاتين الصفتين ستكون رافة القاضي حاضرةً في هذا الوطن، لأنّ العقوبة فُرِضت للإصلاح.

ويبقى من معاني (السمت) المعنى الرابع وهو (السير على الطريق

بالظنّ)، وهذه الخصلة تُعين القاضي على كشف وجه الحقّ فيما يُعرض أمامه، فكأنّه مبصرٌ لما غاب عنه، فيعلم بتقديره وظنّه وحدثه حتّى كأنّه يرى بعينه ما بعد عنه، أو خفي عليه، وهذه الصفة تتسوّق تماماً مع المقومات التي يستند إليها القاضي في عمله. وتبيّن له فرصة وضع يده على الحكم الذي يُناسب القضية التي ينظر فيها باحثاً عن الحقّ.

لقد تبين لنا بحقّ دقّة مفردة (السمت) التي انتقاهّا الإمام (عليه السلام)، إذ امتزجت دالاتها الاجتماعية مع صفة العلم التي يترتّب بها القاضي قبل أن يصبح قاضياً، لتتكوّن بذلك شخصيته التي ستنهض بمهمّة القضاء بين الناس. واستناداً على هذا ندرك الآن لماذا عُدّ (السمت الصالح) جزءاً من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة^(٤٥).

عدم المشاورة في الحكم:



صفات القضاة والولاة في نهج البلاغة، قراءة تأويلية.

الشيعة

اتَّبَعَ لما جاء في القرآن الكريم من أحكام، وكذلك ما جاء من سيرة النبي (ﷺ) التي حفظها أهل البيت (عليهم السلام). وما من شيء إلا وله وجود في الكتاب والسنة. يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) حينما سُئِلَ عما يقضي به القاضي: «قال: بالكتاب، قيل: فما لم يكن في الكتاب؟ قال: بالسنة؟، قيل: فما لم يكن في الكتاب ولا في السنة؟، قال: ليس شيءٌ من دين الله إلا وهو في الكتاب والسنة، قد أكمل الله الدين، قال الله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ الآية. ثم قال (عليه السلام): يوفِّقُ اللهُ ويسدّدُ لذلك من يشاء من خلقه وليس كما تظنون» (٤٨).

واستناداً إلى هذا فلا مسوّغ للمشاورة في أحكام الله تعالى، وإنّما قد تصحّ المشاورة مع أهل العقل والتجربة، من دون أن يكون المشاورُ خاضعاً في حكمه إلى آرائهم، يقول

وهذه الوصيّة جاءت في قوله (عليه السلام): «... ولا تُشاورِ في الفُتيا؛ فإنّما المشورة في الحربِ ومصالحِ العاجلِ، والدينُ ليس هو بالرأي، إنّما هو الاتِّباع» (٤٦).

أوصى الإمام (عليه السلام) هنا قاضيه بعدم التشاور مع غيره فيما يتّصل بالأحكام التي يفصلُ بها بين المتخاصمين، حتى لا يستند إلى ما جاء في الشريعة من تأكيد على التشاور والمشورة، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران ١٥٩]، وكما استشار رسول الله (ﷺ) أصحابه في وقعة بدر الكبرى، وفي شأن الأسرى يومئذٍ (٤٧)، وما جاء من ذكرٍ للمشورة هنا يخصّ ضرورياً من شؤون الحياة، ذكر منها الإمام (عليه السلام) المشورة في الحرب، ومصالح المسلمين العاجلة التي لا تمسّ ثوابت الشريعة، فالدين ليس رأياً يقوله المشاورُ، إنّما هو



الشيخ الطوسي: «فإن اشتبه عليه بعض الأحكام ذاكراً أهل العلم لينبّهوه على دليله، فإذا علم صحته حكم به وإلا فلا»^(٤٩). وهذا وإن حصل فيحصل في بعض الأحوال، لأن القاضي يجب أن يكون عالماً بما وليه كما ظهر لنا ذلك في الصفات السابقة.

لقد جعل الإمام (عليه السلام) هذه الوصايا سبيلاً خطّه للقضاة ليسيروا عليه، وستكون المحطّات المشار إليها صفاتٍ إضافية للقاضي، إذ إن التمسك بها سيجعلها من مكونات شخصية القاضي، وعندها سيتمثلها الناس ليتحلّوا بها، لأنّ مرتبة القاضي محلّ نظرٍ ومراقبةٍ منهم، بوصفها المرتبة التي يحمي صاحبها حدود الشريعة ومعالم الدين.

الاهتمام بأحوال القضاة والنظر في عملهم:

إنّ المهمة الكبيرة التي ينهض بها

القاضي في إقامة العدل تحتم أن يتهيأ له من مطالب الدنيا الاقتصادية والاجتماعية ما يُبعده عن النظر إلى ما في أيدي الناس، ومن هنا جاء اهتمام الإمام (عليه السلام) بأحوال القضاة وأوصى عامله على مصر بمراقبة هذا الأمر، ليكون ما يوصي به عوناً لهم على حبس أنفسهم عن شؤون الدنيا من أجل العدل الذي كلّفوا بإقامته وحمايته. ومن مظاهر اهتمام الإمام (عليه السلام) ووصاياه بهذه القضية ما نُجمل القول فيه فيما يأتي:

الأمر الأول: الذي أشار إليه الإمام (عليه السلام) هو منعه أن يكون رزق القاضي على الناس الذين يقضي بينهم، وإنما جعل عطاءه من بيت المال حتى لا يخضع لتأثير أصحاب المال، يقول (عليه السلام): «لابدّ من قاضٍ ومن رزقٍ للقاضي»^(٥٠).

وهذه الوصيّة تُلجّم من يريد أن يقول أن عمل القاضي منحصر بين



صفات القضاة والولاية في نهج البلاغة، قراءة تأويلية.

العلة

١. العلة: الحَدَثُ يَشْغَلُ صاحبه عن حاجته، كَأَنَّ تلك العلة صارت شُغلاً ثانياً مَنْعَهُ عن شُغله الأول.

٢. العلة: المرض.

وعلى وفقِ هذه المعاني، تكونُ زيادةُ العطاءِ للقاضي عوناً له على عدمِ الانشغالِ بأيِّ أمرٍ سوى ما هو فيه من القضاءِ بين الناسِ، لأنَّ انشغاله بتدبيرِ شؤونِ حياته يكونُ شُغلاً شاغلاً له يمنعُهُ من شغله الأول وهو القضاء، وقد يصلُ إلى حدِّ المرضِ، فيكونُ علةً له. وبهذا يخلقُ لنا المعنى اللغويُّ لـ(العلة) فضاءً دلاليّاً أراد الإمامُ (عليه السلام) من خلاله أن يبعدَ القاضي عن كلِّ ما من شأنه التأثير على قدرته على الفصلِ بين الحقِّ والباطلِ.

وإذا تحقَّقَ هذا الذي أوصى به الإمامُ (عليه السلام)، يتحقَّقُ الجزء الثاني من قوله (عليه السلام)، وهو قلةُ حاجةِ القاضي إلى الناسِ، مما يُبعدهُ عن الخضوعِ

متاخصمين، ولا يَخْصُ المسلمین كلَّهم في الظاهرِ حتى يكون عطاءهُ من بيتِ المالِ، لأنَّ عملَ القاضي إقامةً للعدلِ الذي يريدُهُ اللهُ تعالى لعباده، ومن هنا صار هذا العملُ يَخْصُ المسلمین كلَّهم.

ويلتفتُ الإمامُ (عليه السلام) إلى قضيةٍ أخرى تخصُّ عطاءَ القضاةِ وأرزاقهم، فيقول يوصي عامله بذلك: «وَأَفْسَحْ لَهُ فِي الْبَدَلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ»^(٥١).

يوجِّهُ الإمامُ (عليه السلام) عامله إلى أهميةِ البذلِ للقاضي والتوسعةِ عليه في العطاءِ، حتى يكون عطاؤه كافيّاً لمعيشته من دون أن يحتاجَ إلى شيءٍ قد يخلُّ بحفظِ منزلته التي هو فيها، فيشغل نفسه بالبحثِ عما يسدُّ حاجاته. والملاحظُ أنَّ الإمامَ (عليه السلام)، قال (ما يُزيلُ عِلَّتَهُ) ليظهرَ هَوْلَ الانشغالِ بأُمورٍ أخرى غير القضاء، فالعلةُ في اللغة تعني ما يأتي:

لتأثير الحاجة المشار إليها، فلا يعبأ بعد هذا بما يمكن أن يميل به عن سبيل الحق الذي ينشده.

ويُضيفُ الإمام (عليه السلام) أمراً آخرَ يُمتنُّ به منزلة القاضي بقوله: «وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ» (٥٢).

يُذَكِّرُ الإمام (عليه السلام) من خلال هذا القول بقضية اجتماعية لها قدرٌ من الاعتبار في ذلك العصر، وهي القربُ من ذوي السلطان، ويوصي بوجوب إعطاء القاضي منزلة يتفردُ بها، لا تُدانيها منزلة لأيٍّ من خاصة الوالي، ليأمن على نفسه من وشاية الخاصة به، ويكون مهاباً منهم، وعندها تهابه العامة فلا يجروا أحداً عليه، خشيةً من سلطة الوالي الذي خصه بهذه المنزلة.

ولا بأس من الإشارة إلى أن الإمام (عليه السلام)، أراد أن يُبشع صورة الوشاة الذين قد تحملهم الخشية على قربهم

من السلطان، على تقبيح صورة القاضي عنده، فعبر عن فعلهم هذا بالاغتيال (ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك)، فما الذي تؤدّيه لفظه (الاغتيال)؟. إن العودة إلى جذر اللفظة في المعجم يضع أماننا المعاني الآتية (٥٣):

١. غاله الشيء غولاً واغتاله: أهلكه وأخذه من حيث لم يدر.
٢. غاله يغوله: إذا اغتاله، وكل ما أهلك الإنسان فهو غول.
٣. الغول: كل شيء ذهب بالعقل.
٤. أتى غولاً غائلةً: أي أمراً منكراً داهياً.
٥. التغول: التلوث.

إن هذه الحمولة من المعاني التي أعطانا إياها الجذر (غول)، تُظهر بشاعة ما يمكن أن يقوم به خاصة السلطان إذا ما أرادوا تبشيع صورة القاضي، فهم يمكن أن يهلكوه من دون أن يدري بما يفعلون على وفق



واستناداً إلى ما تقدّم وعندما تجتمع للقاضي دكّة القضاء مع القرب المشار إليه من صاحب المنزلة ما لا تكون لأحد غيره، وبذا تستقرّ نفسه، ولا يبحث عن أيّ أمرٍ آخر فيشغله عن التدبّر في خصومات الناس، ولعلّ ما تتحقّق له من منزلة يُغريه ببذل كلّ مجهوده من أجل أن لا يشوب عمله ما يكدره، فيفقد ما هو فيه من مرتبة اجتماعيّة، كان عمله بالقضاء سبباً للحصول عليها. ولأهميّة الأمور التي ذكرها الإمام (عليه السلام) في قوله السابق، شدّد على النظر فيها ومراقبتها، فقال لعامله: «فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا»^(٥٤).

يطلب الإمام (عليه السلام) هنا أن تُراقب الأمور التي ذكرها مراقبةً بليغةً،

المعنيين الأول والثاني، والإهلاك هنا يعني فقدان القاضي للمرتبة التي يتبوأ بها، وهذا فقدان يكون بمنزلة الداهية التي تهلكه على وفق المعنى الرابع.

ويبقى من المعاني السابقة المعنى الثالث، الذي يشير إلى ذهاب العقل، وذهاب العقل هنا قد يوصف إلى أن تغوّل الخاصّة على القاضي قد يدفعه إلى فقدان عقله مجازاً، لأنّه سيلجأ إلى مدافعة هؤلاء، وهذا ما سيُجبره على الخروج عن السمت الصالح الذي مرّ ذكره وهو يحاول ردّ كيد الخصوم، وبهذا يتحقّق اغتياله.

ومن هنا تظهر لنا الحمولة الضخمة من المعاني التي أراد الإمام (عليه السلام) إبرازها، وهي معانٍ تتناغم مع السياق تماماً، وتؤدي ما لا تؤديه عبارات طويلة عند غير الإمام (عليه السلام)، على وفق الرؤية التأويلية التي نظرنا من خلالها إلى النصّ.



ويبذل الوالي جهده في ذلك، لأنَّ الناسَ اعتادتْ على نمطٍ من القضاءِ قبل تولّيه أمور المسلمين، يقومُ على الهوى وتحقيقِ المصالحِ، لأنَّ الدينَ من قبلُ كان أسيراً بيد الأشرار، ولا يخفى ما في الجزء من قوله (عليه السلام) من ألمٍ على ما كان عليه القضاء في السنين السابقة لحكمه (عليه السلام)، فالقضاء هو وجهُ تطبيقِ الدينِ على الأرضِ، ولما كان القضاءُ أشراراً والدينُ أسيراً بأيديهم، عزفوا عن جهةِ العدلِ وجعلوا الدنيا أكبرَ همهم. يقولُ ابنُ أبي الحديد المعتزلي معلقاً على قولِ الإمامِ (عليه السلام) هذا: «هذه إشارةٌ إلى قضاةِ عثمان وحكامه، وأنهم لم يكونوا يقضون بالحقِّ عنده بل بالهوى لطلبِ الدنيا»^(٥٥). وقد ذكر الإمامُ (عليه السلام) هذه الحالة التي يواجهها هو (عليه السلام) وقضاؤه بقولٍ آخرٍ أكثرَ بياناً لما يُواجهه (عليه السلام) بسببِ فعلٍ من سبقه حيث يقول: «عَمِلَتْ

الْوَلَاةُ قَبْلِي أَعْمَالاً خَالَفُوا فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مُتَعَمِّدِينَ لِخِلَافِهِ، نَاقِضِينَ لِعَهْدِهِ، مُغَيِّرِينَ لِسُنَّتِهِ، وَلَوْ حَمَلْتُ النَّاسَ عَلَى تَرْكِهَا وَحَوَّلْتُهَا إِلَى مَوَاضِعِهَا، وَإِلَى مَا كَانَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، لَتَفَرَّقَ عَنِّي جُنْدِي حَتَّى أَبْقَى وَحْدِي، أَوْ قَلِيلٌ مِنْ شِيعَتِي الَّذِينَ عَرَفُوا فَضْلِي وَفَرَضَ إِمَامَتِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)»^(٥٦)، ومن هنا تتضح لنا الحال التي كان الإمامُ (عليه السلام) يعملُ على إصلاحها من خلال الاهتمام بالقضاةِ وشؤونهم. وعلى الرغم من تشديد الإمامِ (عليه السلام) على اختيارِ القضاةِ على وفق ما رأينا، فإنَّه لم يترك الأمرَ عند هذا الحدِّ، وإنَّما شدَّد على عامله بمراقبةِ قضاء القضاةِ بقوله: «ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ»^(٥٧)، والمراد ب (تعاهد) هنا: إحداثِ العهد بما يقضي به القاضي بين الناس، وهذا التعاهدُ وهذه



الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ
فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ
الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ
فِيهَا بِخِلَافِهِ»^(٥٨).

يشير الإمام (عليه السلام) هنا إلى أن الاختلاف في الأحكام في القضية الواحدة نابع من الحكم بالرأي، والاختلاف هنا هو التضاد بعينه، لأن القاضي الثاني يحكم في القضية نفسها بخلاف ما حكم القاضي الأول، فلم يكن الاختلاف في الحكم جزئياً حتى يُسَوِّغَ. وهذا الاختلاف المطلق آتٍ من الحكم بالرأي، وهو أمرٌ منهيٌّ عنه، فقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنه قال: «نهى النبي (صلى الله عليه وآله) عن الحكم بالرأي والقياس»^(٥٩)، لأن الحكم

ينبغي أن يوضع على ما في كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) حتى يتحقق العدل الذي أمر الله تعالى به في قوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا

المراقبة لعمل القاضي، تدفعه إلى توخي الدقة فيما يُصدر من أحكام، والتدبر فيما الخصومات، والتأني في قبول الأقوال، ليصل إلى حكم لا يلام عليه، وربما قد تلين شدته لو شعر بقلّة التعاهد لعمله من واليه.

اختلاف القضاة في الأحكام:

تعدّ هذه القضية من القضايا الكبرى التي أولاها الإمام (عليه السلام) اهتماماً كبيراً، لأنها تتصل بإقامة العدل والتفريق بين الحقّ والباطل، وفي هذا حياة للمسلمين والإسلام على السواء، والاختلاف في الفتيا بين القضاة ينم عن اختلاط الحقّ بالباطل عندهم، ومن هنا يكونون غير قادرين على الفصل بين الناس في خصوماتهم، ولذا شدّد (عليه السلام) على ذلك وهو يصف ما آل إليه أمر القضاة في الحقب السابقة - كما مرّ بنا بعض منه في موضع سابق - . يقول (عليه السلام): «تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمْ



بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ [النساء ٥٨].
ومن هنا قال الإمام (عليه السلام) في موطنٍ آخرَ عن وقوع الاختلاف: «فإن ذلك ضياعٌ للعدلِ وعورةٌ في الدينِ وسببٌ للفرقة، وإنَّا تختلفُ القضاةُ لاكتفاءِ كلِّ امرئٍ منهم برأيه دون الإمام» (٦٠).

..... أ. د. حاكم حبيب الكريطي
صَوَّبَ آراءَهُمْ جَمِيعًا، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُمْ قَضَوْا بِخِلَافِ مَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ مَصَادِرَ التَّشْرِيعِ الَّتِي يَسْتَقُونَ مِنْهَا أَحْكَامَهُمْ وَاحِدَةٌ، فَالِلَّهِ وَاحِدٌ وَالنَّبِيُّ وَاحِدٌ وَالكِتَابُ وَاحِدٌ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ مَا يَقُودُ إِلَى الْاِخْتِلَافِ الْمَذْكُورِ إِلَّا الْحُكْمُ بِالرَّأْيِ.

واستناداً إلى ما تقدّم صار أمراً لازماً عودةُ القاضيين المختلفين في الحكمِ في القضيةِ الواحدةِ إلى الإمامِ الذي استقضاهم، يقول (عليه السلام): «ثمَّ يجتمعُ القضاةُ بذلك عند الإمامِ الذي استقضاهم فيصوّب آراءهم جميعاً، وإلّهم واحدٌ ونبّيهم واحدٌ وكتابهم واحدٌ» (٦١).

ثمَّ يُظْهِرُ الْإِمَامُ (عليه السلام) بِشَاعَةَ مَا يَحْكُمُ بِهِ الْقَضَاةَ بِسَبِيلٍ مِنَ الْاِسْتِفْهَامَاتِ الْاِنْكَارِيَةِ الَّتِي لَا تَدْعُ حُجَّةً بِيَدٍ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَحْتَجَّ بِاِخْتِلَافِ الْفُتَيَا، يَقُولُ (عليه السلام) مَتَمًّا قَوْلَهُ السَّابِقَ: «أَفَأَمْرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِاِخْتِلَافٍ فَأَطَاعُوهُ. أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ. أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى اِتِّمَامِهِ. أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ. فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ دِينًا تَامًا فَقَصَرَ الرَّسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ» (٦٢).

إنَّ اِخْتِلَافَ فِي الْأَحْكَامِ بَيْنَ الْقَضَاةِ فِي الْقَضِيَّةِ الْوَاحِدَةِ يُنْذِرُ بَعْدَهُمْ عَمَّا يَأْمُرُ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى، فِإِذَا وَقَعَ اِخْتِلَافٌ وَاجْتَمَعَ الْقَضَاةُ الْمَخْتَلِفُونَ عِنْدَ مَنْ اسْتَقْضَاهُمْ،

إِنَّ اسْتِعْمَالَ الْإِمَامِ (عليه السلام) لِلْاِسْتِفْهَامِ



العباد، يقول فيه: «فإن هذا إنما يكون إما بإله آخر بعثهم أنبياء وأمرهم بعدم الرجوع إلى هذا النبي (ﷺ) المبعوث وأوصيائه، أو بأن يكون الله شرك بينهم وبين النبي (ﷺ) في النبوة، أو بأن لا يكون الله عز وجل بين لرسوله (ﷺ) جميع ما تحتاج إليه الأمة، أو بأن بينه له لكن النبي (ﷺ) قصر في تبليغ ذلك ولم يترك بين الأمة أحداً يعلم جميع ذلك، وقد أشار (ﷺ) إلى بطلان جميع تلك الصور» (٦٤).

ثم يتم الإمام (ﷺ) قوله السابق، فيقول: «والله سبحانه يقول: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام ٣٨]، فيه تبيان كل شيء، وذكر أن الكتاب يُصدّق بعضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٨٢]. وإن القرآن ظاهره أنيق. وباطنه عميق.

الإنكاري (٦٣) على هذا النحو المتتابع، يضع أماناً مقتته الشديداً عما يقوم به القضاة من الفصل بين الناس بأرائهم من دون أن يلتفتوا إلى ما يأمر به الله تعالى من الاحتكام إلى القرآن والسنة كما أشرنا، يضع ذلك أماناً من قدرة الاستفهام الإنكاري على الجمع بين الإنكار للفعل والتعجب منه والنهي عنه والتوبيخ للقائمين به، وهذا الضرب من الاستفهام لا يحتاج إلى جواب، لأنه لم يقع ولا يقع في المستقبل، لأنه جاء مخالفاً لما ينبغي على القضاة القيام به. ولذا استعمله الإمام (ﷺ) بهذا التكرار ليلفت نظر المتلقي إلى هول خطأ الفعل الذي وقع القضاة فيه.

وثمة رأي للعلامة المجلسي في هذا الاختلاف الذي نحن بصددده، يظهر فيه بشاعة هذا الأمر وخطورته على العقيدة والدين، وخطأه للعدل الذي يريد الله تعالى سيادته بين



لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبُه ولا
تُكشَفُ الظلماتُ إلا به» (٦٥).

يُحِبُّ الإمام (عليه السلام) هنا مؤنباً
القضاة الذين اختلفوا في الأحكام،
بثوابت عقديّة يعلمها المسلمون
جميعاً، فيذكر (عليه السلام) أنّ القرآن فيه
تبيان لكلّ شيء، بمعنى أنّ كلّ ما
يحتاج إليه الإنسان المسلم في حياته
موجودٌ في القرآن، فالله تعالى يريدُ
للإنسان أن يصل إلى حدّ التكاملِ
والرقيّ، والمقصودُ بـ (كلّ شيء) كلّ
ما يصلُ بالإنسان إلى التكاملِ، فهو
دعوةٌ لبناء الإنسان (٦٦)، والقاضي في
مقدمة من يستحقُّ البناء على وفقِ
الرؤية القرآنيّة لأنّ تطبيق العدلِ
الذي يريده الله تعالى لعباده منوطٌ
به. وكلّ ما يحتاج إليه للتفريق بين
الحقّ والباطل في خصوماتِ الناسِ
موجودٌ في القرآن.

ثم يذكرُ الإمام أنّ القرآن يُفسَّرُ
بعضه بعضاً، فالقضيّة التي لا يوجد

أ. د. حاكم حبيب الكريطي
لها بيانٌ في الآية القريبة منها، تجدُ
لها بياناً في آيةٍ أخرى، وهذه القاعدةُ
المعرفيّةُ تيسّرُ للقاضي الفصلَ في
الخصومات بين الناس من دون
اختلاف، وما يقعُ بين الفقهاء من
اختلافٍ في الأحكامِ هو من عند
أنفسهم، وليس من القرآن.

وقد يُقال أنّ بعضَ القضايا التي
ينظرُ فيها القضاةُ قد لا يعرفون
لها حلاً من القرآن، وهنا نقولُ:
إنّ الله تعالى جعل السنّة النبويّة
الركن الثاني الذي يستندُ إليه العبادُ
في شؤون دينهم ودنياهم، وهي
محفوفةٌ عند أهل البيت (عليهم السلام)، والله
تعالى أمر بالعودة إليهم فيما لا يعرفه
المسلمُ فقال - جلّ شأنه -: ﴿فَاسْأَلُوا
أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
[النحل ٤٣]، وأهل الذكرِ في الآية
هم أهل البيت (عليهم السلام)، فقد
ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام): «الكتاب
الذكر وأهله آل محمد (عليهم السلام)، أمر الله



عز وجل بسؤالهم ولم يأمر بسؤال

الجهال» (٦٧).

ويبقى من قول الإمام (عليه السلام) السابق (وإن القرآن ظاهره أنيقٌ وباطنه عميقٌ. لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبُه ولا تُكشَفُ الظلمات إلا به)، وهذا القول متصل باختلاف القضاة في الأحكام، فكيف نتأول ما يريدُه الإمام (عليه السلام)؟.

إنَّ الإجابة هنا تقتضي الوقوف على معاني (الأنيق) الواردة في النص، ومن لسان العرب نستجلب المعاني الآتية التي تتلائم مع السياق (٦٨).

١. الأنق: الإعجابُ بالشيء، وإنَّه لأنيقٌ مؤنقٌ: لكلِّ شيء أعجبك حسنه.

٢. أنقتُ الشيء: أحببته.

٣. المنظر الأنيق: إذا كان حسناً معجباً.

إنَّ المعنى العام الذي يجمعُ هذه المعاني هو: الإعجابُ بالشيء

ومحبته لحسنه وجماله، وبمقاربة هذه الصفات لقول الإمام (عليه السلام)، يكون ظاهرُ القرآن حسناً جميلاً معجباً، يُستلذُّ بقراءته، ويُتمتَّعُ بمحاسنه، وهذا كله يكون سبباً للتدبر في باطنه العميق، لكي يُستنبطَ منه ما يُتَّجَّحُ إليه. ويجبُ أن لا يقع اختلافٌ فيما يُستنبطُ من القرآن، ويكون الحكمُ في الواقعة الواحدة واحداً، فإن وقع الاختلافُ فهذا من القضاة وليس من القرآن.

واستناداً إلى ما تقدّم فلا يمكن أن يصح وقوع الاختلاف بين القضاة في الأحكام، لأنَّ الله تعالى شاء أن ينظّم حياة الناس، بما يكفل لهم العيشَ بسلام وأمان، فإذا اختلفت الأحكامُ، وقع الناسُ في دائرة الفوضى. وهذا ما لا يصحُّ أن يقع في المجتمع الإسلامي كما بينه الإمام (عليه السلام) في قوله السابق (٦٩).

ويصفُ الإمام (عليه السلام) هذا الضربَ



من القضاة الذين يجهلون ما يأمر به الله تعالى، فيصف من يكون من هؤلاء بقوله: «جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ، إِنْ خَالَفَ مَنْ سَبَقَهُ، لَمْ يَأْمَنْ مِنْ نَقْضِ حُكْمِهِ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ، كَفَعْلِهِ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْوًا رِثًا مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، إِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ، جَاهِلٌ خَبَاطُ جَهَلَاتٍ، غَاشٍ رَكَابُ عَشَوَاتٍ، لَمْ يَعْضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ»^(٧٠).

وعلى الرغم من طول هذا النص الذي اقتبسناه من الإمام (عليه السلام)، فإنه يتضمن تشبيهاً لصورة من يقضي برأيه أو يرد رأياً قاضٍ قبله بالرأي نفسه، ويلاحظ انتقاء الإمام (عليه السلام) لـ

(حشواً رثاً من رأيه) للدلالة على أن لا فائدة مرجوة ممن يقضي برأيه، بل سيكون جاهلاً من الذين لم يعصوا على العلم بضرسٍ قاطعٍ، وهو يجلس بين الناس للقضاء بينهم.

كلمة في ختام البحث

يمكننا الآن أن نُجمل النتائج الكبرى التي خلص إليها البحث، أما النتائج الأخرى فقد تكفلت صفحات البحث بالكشف عنها، وفيما يأتي أهم تلك النتائج:

1. وضع الإمام (عليه السلام) أولاً الأسس التي يجب أن يُستند إليها في اختيار القضاة، وقد ترسخت تلك الصفات في النفوس حتى صارت صفاتٍ للقضاة، وهي - كما أرادها - (عليه السلام) صالحة للأزمان كلها، بل تزداد الحاجة إليها كلما مرّ الزمان، لأنها تشكّل الركائز التي يُستند إليها في تطبيق العدل الذي يُريده الله تعالى لعباده.



٢. تجلّت في بسط صفات القضاة الدقة المعهودة في انتقاء الإمام (عليه السلام) للمفردات التي يُعبرُ بها عن الصفة، فلم تُذكر صفةً وإلا وقّدها الإمام بقيد لغويّ يدفع الإنسان المسلم قبل القاضي إلى التفكير بالاقتراب منها، إن كانت حسنةً، والابتعاد عنها، إن كانت سيئةً.
٣. إن ما ذكره الإمام (عليه السلام) من صفاتٍ، منها ما قد يصحُّ أن يكون مشتركاً بين القضاة وغيرهم، وما هو خاصٌّ بالقضاة دون سواهم من الناس، لأنّها من وسائل القاضي في التفريق بين الحقِّ والباطل عند المتخاصمين.
٤. أوصى الإمام (عليه السلام) القضاة بوصايا، ألزمهم التمسك بها، وهي ستحوّل إلى صفاتٍ بعد أن يروّض
- القاضي عليها نفسه وهو يتصدّى لفضّ المنازعات بين المسلمين.
٥. سعى الإمام (عليه السلام) إلى تحصين القضاة من كلّ ما يمكن أن يؤثر على سيرهم في طريق العدل الذي يُريده الله تعالى لعباده وطبقه في دولته، فأمر الولاية بالاهتمام بمكانتهم الاجتماعية، ومراقبة شؤون عيشتهم، حتى لا يشغلهم شيءٌ من أمر الدنيا عن التمعّن والتدقيق فيما يُعرض عليهم من شؤون المتخاصمين.
٦. اهتمّ الإمام (عليه السلام) بمراقبة قضاء القضاة بنفسه، وأمر الولاية والعمال بذلك، حتى يضمن سلامة إحقاق الحقِّ، وإبطال الباطل، ولئلا يشعر القاضي بالأمن المطلق، وهنا قد يقع تحت تأثير ذلك فيصاب بضربٍ من الفتور الذي قد يؤثر على قضائه.



الهوامش

أ. د. حاكم حبيب الكريطي

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ
ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا
اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ
عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٤٦﴾ آل عمران
٧. ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة
١٤٤ / ١٤٤.

(٢٢) في ظلال نهج البلاغة.

(٢٣) نهج البلاغة ٣ / ٩٤. وأقلهم يعني: أقل
الرعيّة.

(٢٤) ينظر: لسان العرب (برم).

(٢٥) دعائم الاسلام ٢ / ٥٣١.

(٢٦) م. ن: ٢ / ٥٣٤.

(٢٧) نهج البلاغة ٣ / ٩٤.

(٢٨) يُنظر: لسان العرب (صرم).

(٢٩) نهج البلاغة ٣ / ٩٤.

(٣٠) ينظر: لسان العرب (زها).

(٣١) ينظر: نهج البلاغة (سرب).

(٣٢) لسان العرب (غرا).

(٣٣) دعائم الإسلام ٢ / ٥٣٤.

(٣٤) كتاب سليم بن قيس ٤٧٣.

(٣٥) ينظر: تاج العروس (فرح).

(٣٦) في هذا إشارة إلى قوله تعالى مخاطباً بني
إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ
وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ
مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ
أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا
مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ

(١) نهج البلاغة ٣ / ٩٤.

(٢) القضاء في الفقه الإسلامي ٦٧.

(٣) نهج البلاغة ٣ / ٩٤.

(٤) ينظر: لسان العرب (ضيق).

(٥) ينظر: م. ن (محك).

(٦) نهج البلاغة ٣ / ٩٤.

(٧) ينظر: لسان العرب (زلل).

(٨) يُنظر: لسان العرب (زلل).

(٩) سنن الترمذي ٤ / ٧٠، كنز العمال ٤ / ٢١٥.

(١٠) نهج البلاغة ٣ / ٩٤.

(١١) ينظر: لسان العرب (حصر).

(١٢) ينظر: لسان العرب (حصر).

(١٣) نهج البلاغة ٣ / ٩٤.

(١٤) الكافي ٢ / ٣٢٠.

(١٥) م. ن.

(١٦) ينظر: دراسات في نهج البلاغة ٦٣.

(١٧) شرح نهج البلاغة ١٧ / ٥٩.

(١٨) نهج البلاغة ٣ / ٩٤.

(١٩) في ظلال نهج البلاغة ١ / ١٦١.

(٢٠) كلمة (أوقفهم) هنا تعود على الرعيّة التي
مرّ ذكرها في بداية البحث.

(٢١) نهج البلاغة ١ / ١٥٦. ونشير هنا إلى أنّ
الشيخ التستري ربط بين قول الإمام (عليه
السلام) وبين (المتشابهات) الواردة في قوله
تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ
آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ



- (٥٢) نهج البلاغة ٣/ ٩٥.
- (٥٣) ينظر: لسان العرب (غول).
- (٥٤) نهج البلاغة ٣/ ٩٥.
- (٥٥) شرح نهج البلاغة ١٧/ ٥٩.
- (٥٦) الكافي ٨/ ٨٣.
- (٥٧) نهج البلاغة ٣/ ٩٥.
- (٥٨) م. ن: ١/ ٥٣.
- (٥٩) مستدرک الوسائل ١٧/ ٢٥٤.
- (٦٠) دعائم الإسلام ١/ ٣٦٠.
- (٦١) نهج البلاغة ١/ ٥٤.
- (٦٢) نهج البلاغة ٣/ ٥٥.
- (٦٣) ينظر: أوضح المسالك ٢/ ٦٠، شرح الأشموني ٢/ ١٤٩، شرح التصريح ١/ ٣٤٨، همع الهوامع ٣/ ٢٥٠.
- (٦٤) بحار الأنوار ٢/ ٢٨٤.
- (٦٥) نهج البلاغة ٣/ ٥٥.
- (٦٦) ينظر: الأمثل ٨/ ٢٩٢. رسائل المرتضى ٢/ ٢٢٠.
- (٦٧) الكافي: ١/ ٢٩٥، ويُنظر: الميزان: ١٤٧ / ١٢.
- (٦٨) ينظر: لسان العرب (أثق).
- (٦٩) ينظر تفصيل أكثر عن هذه القضية في: شرح نهج البلاغة ١/ ٢٨٨.
- (٧٠) بحار الأنوار ٢/ ٢٨٥.
- (٣٧) نهج البلاغة ٣/ ٩٥.
- (٣٨) ثمة ضربٌ ممدوح من الطمع، وهو الطمع في رضا الله تعالى، والطمع في دخول الجنة وغيره. ينظر تفصيل ذلك في: ميزان الحكمة ٢/ ٢٤٢٢.
- (٣٩) دعائم الإسلام ٢/ ٥٣٤.
- (٤٠) مستدرک الوسائل ١٢/ ١١٦.
- (٤١) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٩٦.
- (٤٢) دعائم الإسلام ٢/ ٥٣٤.
- (٤٣) ينظر: لسان العرب (سمت).
- (٤٤) جاء في الحديث الشريف عن المؤمن: «... وعزّه كف الأذى عن الناس»، ينظر: الخصال ٧/ ١. وجاء في حديثٍ آخر عن حسن الجوار: «ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه».
- ينظر: الكافي ١/ ٩، والأحاديث كثيرة في هاتين الصفتين.
- (٤٥) ينظر: مجمع البحرين ٢/ ٤١٣.
- (٤٦) دعائم الإسلام ٥/ ٣٧.
- (٤٧) ينظر: إمتاع الأسعاع ١/ ٩٧.
- (٤٨) دعائم الإسلام ٢/ ٥٣٥.
- (٤٩) المبسوط ٨/ ٩٦.
- (٥٠) دعائم الإسلام ٢/ ٥٣٨.
- (٥١) نهج البلاغة ٣/ ٩٥.



المصادر

القرآن الكريم

١. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المقرئزي (أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني ت ٨٤٥هـ)، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٢. الأمثل (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل)، ناصر مكارم الشيرازي، نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ط ١، التصحيح الثالث ١٤٢٦هـ.
٣. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري)، دار الجليل- بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م.
٤. بحار الأنوار، الشيخ المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٥. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، التستري (محمد تقي كاظم محمد علي جعفر التستري ت ١٤٢٠هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ٢٠١١م.
٦. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط ١، د. ت.

٧. الخصال، الشيخ الصدوق (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، د. ط، د. ت.
٨. دراسات في نهج البلاغة، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، لبنان ط ٣، ١٩٨١.
٩. دعائم الإسلام، النعمان المغربي (القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي ت ٣٦٣هـ)، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، منشورات: دار المعارف. مصر.
١٠. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق السيد مهدي رجائي، دار القرآن، ١٤٠٥هـ.
١١. سنن الترمذي، الترمذي (محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت.
١٢. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني (علي بن محمد بن عيسى ت ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١٣. شرح التصريح على التوضيح، زين الدين المصري (خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ-



- ٢٠٠٠ م.
١٤. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، دار احياء الكتب العربية.
١٥. في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد- الشيخ محمد جواد مغنية. دار العلم للملايين. بيروت- لبنان.
١٦. القضاء في الفقه الإسلامي، السيد كاظم الحائري، مجمع الفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٥هـ.
١٧. الكافي، الشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق علي أكبر غفاري، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلامي- آخوندي، ط٣، ١٣٨٨هـ.
١٨. كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، منشورات: الهادي، ط١، قم المقدسة.
١٩. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق بكري حيازي وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
٢٠. لسان العرب، لابن منظور (محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٢١. المبسوط، السرخسي (شمس الدين أبو بكر بن محمد بن أبي سهل)، دراسة وتحقيق: خليل محيي الدين الميسر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠ م.
٢٢. مجمع البحرين ومطلع النيرين، الطريحي (فخر الدين الطريحي ت ١٠٨٧هـ) تحقيق: سيد أحمد الحسيني الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.
٢٣. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، المحقق النوري(الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مطبعة سعيد، قم، إيران.
٢٤. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق وطباعة ونشر: دار الحديث ، ط١ ، د.ت .
٢٥. الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران.
٢٦. نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جمع الشريف الرضي، تحقيق الشيخ محمد عبدة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
٢٧. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية، مصر.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي جَعَلَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَاةَ وَالَّذِي
يُحْيِي الْمَوْتَى
وَالَّذِي يُخْرِجُ
الْحَبَّ وَالذُّرْءَ
وَالَّذِي يُصَوِّرُ
الْبَشَرَةَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
اللَّهُ أَكْبَرُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



البعء التءاءولف

فف عهء الإمام علف (علفله) لمالك الأشءر (ءلله)

The deliberative demension in Imam Ali (peace
be upon him) covenant to Malik AL-Ashar

م. ء. ءمفء فوسف إءراهم
م. ءكفم موءان عواء
كلفة العلوم الإسلامفة / ءامعة ءف قار

Dr. Hamid Yousif Ibrahim.

Lecturer. Hakeem Mohan Awad.

Islamic science college, Thi-Qar university.

ملخص البحث

يشكل عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (عليه السلام) علامة فارقة في النصوص والخطابات سواء على مستوى حاكمية القيادة أم على مستوى قيادة الفرد. وترجع أهمية العهد إلى رسمه السياسة العامة للحاكم ورعيته، فهو يجتزل الدين والدنيا بهذا الاختصار، واستناداً على ذلك تشكل في أفقه اللساني جملة من المعطيات الخطابية كان من بينها البعد التداولي الذي كان محوره آلية عمل الولاية لتتحول تلك الخطابات إلى مدونات نصية وقواعد تنظم عمل الوالي ورعيته.

وتأتي التداولية وما أعطته للسياق والمواقف الاجتماعية في أثناء استعمال اللغة لتساعد بشكل كبير على تقبل ذلك النص ونفوذ سلطانه، ولما كانت التداولية تداوليات متعددة استطاعت بعض مكوناتها أن تشكل رؤية كونية خارجة عن ذلك العهد، فمفاهيم الاستلزام الحوارية ومضمورات القول والأفعال الكلامية تسهم بشكل لافت في مطابقة قواعد الخطاب لشروط تحققها في الخارج.

وجاء هذا البحث ليعرض عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (عليه السلام) على الجهاز المفاهيمي للتداولية، فحمل عنوان (البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (عليه السلام))، وقد تجنب الخوض في تعريفاتها ونشأتها وأعلامها اكتفاءً بما عرضته الدراسات السابقة في هذا المجال، وسيقتصر على ما يحتاج ذكره من إيضاح لمفاهيم: (الإشاريات، والمتضمنات القول (الافتراض المسبق، والقول المضمرة)، والاستلزام الحوارية، والأفعال الكلامية) لينتقل بعد ذلك إلى دراسة العهد المبارك في ضوء تلك المفاهيم؛ فهو بحث يركز على التطبيق مستفيداً منه في الوصول إلى تنظير ملائم.



Abstract

Imam Ali (peace be upon him) covenant to Malik Al-Ashtar forms a landmark in texts and speeches both at the level of leadership governance or on the level of individual leadership and this covenant important because its formulation of public policy for the Governor and his citizenry its reduced the religion and life with this brevity and based on that formation of oratorical givens in its linguistic horizon one of them was deliberative dimension which had the theme «working mechanism for the wali» to turn into-that speeches-codes of texts and rules organize the wali working and his citizenry and the deliberation comes with what it gave to the context and social situations through language using to help widely to accept that text and its lordship in fluence. Since the deliberation was various deliberations some of its component could form a word view emerging from that covenant so the concepts of requiring interactive the inherent argued and verbal acts contribute effectively in reconciling the speech rules for verification requirements in the out and this research came to submit Imam Ali (peace be upon him) covenant to Malik Al-Ashtar to the conceptual system of the deliberation so it entitled «the deliberative demension in Imam Ali (peace be upon him) covenant to Malik Al-Ashtar» and avoided in its definition, formation and scholars. Simply with what presented by the previous studies in this area and it will be limited on what is needed from clarification of concepts: (Deixis, les-supposition, pre-supposition, les sous-entendns) (conversational Implicature, speech act) next the research goes on to study the blessed covenant in the light of that concepts its focused on application making use of it to access to consistent matching.



العهد بؤرة تداولية نصية

ولما كان مجال عمل التداولية

الكلام في مقام الاستعمال كان لازماً إثبات نصية العنوانات، (النصوص الموازية)؛ كي يتسنى محاكمتها على وفق قواعد اللغة في مقام استعمالها عند المخاطبين مع مراعاة الإجابة على أسئلة منها: ما علة اختيار مفردة العهد من دون غيرها لتسمية هذا الميثاق؟ ثم ما أثر ذلك العنوان في النص؟ وهل لعنوان العهد بما هو نص موازي آثار منجزة في الخارج؟ أم جيء به لخصر نص ثري فحسب؟.

هذه التأملات تجيب عنها التداولية بوصفها منهجاً عملياً يفتش عن اللغة ضمن سياقاتها المستعملة فيها، حتى تستطيع نقل تلك الأفعال الكلامية من مجرد التلفظ بها إلى مقام الإنجاز والتأثير في المخاطبين على اختلاف مستوياتهم، فاللغة تكفلت بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن

تمثل العنوانات بوصفها نصوصاً موازية ميداناً ثراً في البحث اللساني؛ فلم تعد التسميات إشارات مجردة أو رموزاً تشير إلى مدلولات محددة، فوجدت لها مكانة كبيرة في البحث السيميائي، فانتقلت معها السيميائية من مجرد أن يكون العنوان دالاً يتبعه مدلولاً ما إلى النظر إليه على أنه المفتاح أو الشفرة التي يلج من خلالها المتلقي إلى أعماق النص حاملة معها مجموعة التصورات والثقافات الفردية والمجتمعية. فكل فرد يتمتع بنظام معرفي، أي بصيغة تفكير وتنظيم ومعالجة للمعلومات، مما يجعل هذا النظام المعرفي ذاتياً واجتماعياً في الوقت نفسه، وهذا ما يجعل الإنجاز الكلامي إنجازاً فردياً واجتماعياً، فهو يعبر عن مشاغل الفرد ومشاغل المجموعة اللسانية معا^(١).

معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية^(٢). والعنوانات جزء من اللغة، وأخذت على عاتقها حمل المعاني، وهيئة المتلقي للدخول في النص، فالعنوانات نصوص بالمفهوم العام للنص، وإن اختزل بكلمة أو جملة قصيرة، فالنصوص الموازية (العنوانات) علامات مضيئة تعمل على إخراج النص إلى الوجود بالفعل في لحظة التلقي الأولى، وبحملة طاقة لغوية وفكرية مركزة استطاعت أن تحمل عبء المبدع والنص والقارئ معا^(٣).

نظرت الدراسات - ولاسيما القديمة- إلى العلاقة بين النص وعنوانه على أنها متن (أصل) وهامش (فرع)، فالأصل هو النص يتبعه العنوان لكونه فائضاً عن الأصل اللساني فيغدو هامشاً وربما دون ذلك، لكن السيميائية أعادت لذلك النص الموازي مكانته وأصبح

يشكل أصلاً في كثير من الأعمال التي بحثها اللسانيات باختلاف مناهجها، فلم يعد ينظر إلى العنوان نظرة هامشية، وإنما بوصفه نصاً أصيلاً؛ لأنه لا يمكن لأي متلق أن يلج عالم النص ويستكشف بنياته التركيبية والدلالية والوقوف على مقاصدها التداولية من دون الانطلاق من مفتاحه وهو العنوان. واستقر أن التسمية تشكل نصاً موازياً للنص تتحقق فيه معايير التحليل اللساني، (وهذه النصوص تحيط بالنص وتمططه، فهي كائنة لتقديمه... لتؤكد وجوده في

العالم لحظة تلقيه واستهلاكه)^(٤). والنصوص التي تمتلك عناوانات خاصة بها يمكن لها أن تتحصل على كينونتها الخاصة بها، فتتحول تلك الموازيات النصية من مجرد علامات ورموز خاصة بنقل شفرة ما إلى نصوص تحقق أثراً في الخارج،





البيان

البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) ممالك الأشرار (عليه السلام)

فلا تكتمل النصوص إلا بعنواناتها، فالعنوان هو الوسيلة التي تمكن النص أن يكون كتاباً قائماً بذاته، ويقدم نفسه للقارئ^(٥).

ويعتبات (العنوانات) مداخل مؤطرة لاشتغال النص وتداوله؛ لأنها تحدد نوعية القراءة بها من تأثير مباشر على القراء، فهي تمنح القراء تصوراً مسبقاً عن النص يكون له تأثير على نوعية إدراكهم له^(٦). وعملية تلقي تلك الموازيات النصية تمكن القراء من الوقوف على المنجز الفعلي المتحقق من البنية الموضوعية للعنوان، ولاسيما مع النصوص التي تتمتع بفاعلية تداولية واضحة، فالعناوين ليست زينة وزخرفاً فحسب يضاف إلى الخطاب، وإنما لتقود القارئ إلى تضاريس الخطاب الملمغة بعتمة الغياب^(٧).

ويعتبات (العنوانات) مداخل مؤطرة لاشتغال النص وتداوله؛ لأنها تحدد نوعية القراءة بها من تأثير مباشر على القراء، فهي تمنح القراء تصوراً مسبقاً عن النص يكون له تأثير على نوعية إدراكهم له^(٦). وعملية تلقي تلك الموازيات النصية تمكن القراء من الوقوف على المنجز الفعلي المتحقق من البنية الموضوعية للعنوان، ولاسيما مع النصوص التي تتمتع بفاعلية تداولية واضحة، فالعناوين ليست زينة وزخرفاً فحسب يضاف إلى الخطاب، وإنما لتقود القارئ إلى تضاريس الخطاب الملمغة بعتمة الغياب^(٧).

نصوصاً دلالية يمكن أن تنقل - النصوص - من العدم إلى الوجود، ومن القول إلى الفعل، ولاسيما فيما يطرح في ضوء التداولية.

ويبدو أن أهم وظيفة يارسها العنوان هي الإحالة، وهذه الوظيفة ضرورية، إذ بدونها يبقى النص رهين جدلية الدال والمدلول، لكنه حين يمارس الإحالة تتحول هذه الأقوال والنصوص إلى نصوص فعلية تشكل أثراً في الخارج.

إن الإحالة التي يمارسها العنوان التي هي إحدى وظائفه وخصائصه التي تمنح المتلقي جانباً كبيراً من المشاركة في توليد انطباعات لسانية تعكس مدى تأثر المتلقي بذلك السياق الذي جاء على ضوئه العنوان، فالعنوان في واقعه خطاب، لكنه يتفجر دلالات بإمكانها احتواء النص أو الإحالة إلى ما لا يقوله النص، والإجابة عن الأسئلة

لقد أولى المتلقي النصوص الموازية أهمية كبرى عبر الزمن، فرأى فيها

.....م. د. حميد يوسف إبراهيم / م. حكيم موحان عواد
 التي تتعاور النص من كل جانب، واستكناه المعنى الذي يظل في ستره خبئاً ينتظر قارئاً مرادفاً وقارئاً ودوداً^(٨).

وما يمكن ملاحظته أن مصطلح العهد- موضوع الدراسة- مارس عملية الإحالة بنحو تداولي واضح، ولمعرفة عملية تحقق الفعل المنجز من النص الموازي لا بد من تحليل مضمون العنوان لعهد الإمام علي (عليه السلام): «هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْثَرِي فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وُلَّاهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا»^(٩). وهنا يتبين أن للعهد عنوانين، الأول: العهد بوصفه مفهوماً لغوياً له دلالاته التي يشير إليها. والثاني: النص الموازي الذي تمثل بجملته الاستهلال التي قدمت فقرات العهد في قوله (عليه السلام): (هذا ما

أمر به...) ويمثل هذا العنوان مع النص المعنون معادلة هي (العنوان، والنص)، فتعكس الوظيفة الإحالية عملية الربط التي تتم ضمن إطار ركز على لب العهد، فالعنوان جَسَدَ النص الذي تتبارى على مسرحه مشاهد العهد وتنقلاته بعدما أشار العنوان إلى جملة منها بصورة مكثفة. والعنوان هذا، وإن كان يشير إلى كلمة دلالية واحدة (العهد)، إلا أن هذه الكلمة تعمل على وفق نظام الاحالة لتعكس ما أراده الإمام (عليه السلام)، فالعنوان كائن لغوي مكتمل، له كينونته ذات الطابع التفاعلي في علاقته بالنص، فالعنوان يمكن المتلقي من أن يتعامل معه بوصفه كوناً نصياً له شروطه على صعيد التلقي^(١٠). فعنوان (العهد) هنا لم يكن بنحو العلامة اللسانية الموحدة، وإنما هو مجموعة من الدوال اتخذت موقعها في واجهة النص، وأدت



البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) مالک الأشر (عليه السلام).....

جملة من الوظائف منها، الإغراء والتحذير والإحالة، وقد سهل هذا العنوان على المتلقي ورفده برؤية نصية للنص المعنون بنحو الاختزال والاقتصاد.

وتتم عملية تلقي ذلك النص بسلاسة لأن عنوانه يكشف عن طبيعة النص الذي سيغوص في أعماقه، فقد وضع عنوان العهد المتلقي على جادة المعنى وأعطاه مفتاح شفرته، فالعنوان من أهم البؤر النصية التي تحيط بالنص ويتركز فيها، فهو يمثل العتبة التي تشهد عادة مفاوضات القبول والرفض بين القارئ والنص، و«هو الذي يتيح الولوج إلى عالم النص والتموقع في ردهاته ودهاليزه، لاستكناه أسرار العملية الإبداعية وألغازها»^(١١).

والعنوان في عهد الإمام (عليه السلام) مالک (عليه السلام) كان مؤسساً لنمط من العنوانات القديمة، التي تميزت

بطول العبارة في أغلب النصوص المعنونة، فلا يقتصر فيها على دال واحد، وبعضها يتميز بفاعلية عالية؛ إذ تشير وحداته اللسانية إلى الأساس في المتن النصي المعنون له، وهذا ما يميز العنوانات القديمة عن الحديثة، فقد استطاعت العنوانات القديمة تحقيق وجودها؛ إذ يعد العنوان النص الوسيط في العملية الإبداعية (العمل الفني) بإعطائه المركبات القديمة دلائل جديدة من خلال علامته^(١٢).

ويتيح عنوان العهد فضول القارئ وتدخله، فيدفعه إلى التفتيش عن محتويات عهد الإمام (عليه السلام) باحثاً عن قصده الذي ضمنه في ذلك النص، فإذا كانت التداولية تحيل إلى فهم النصوص وتحققها (تحقق القصد والغرض منها) في أثناء عملية التلطف، فإن العنوانات مارست هذا الدور من خلال إبراز دور المتلقي خاصة في عملية التفاعل

مع العنوان بوصفه بوابة النص. فالعهد في اللغة: الوصية والتقدم إلى صاحبك بشيء، ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاية وهو الموثق^(١٣)، أو هو حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال وسمي الموثق الذي تلزم مراعاته عهداً^(١٤). وبذلك فإن كلمة العهد تعني التزام خاص في مقابل شخص على أمر، فالعهد إنما يتحصل بعقد أو وصية أو قسم أو بما يدل على تلك المعاهدة والالتزام، ثم يتعلق بالذمة ويجب الاحتفاظ عليه^(١٥).

وفي ضوء ما تقدم: نخلص إلى أن العهد يقتضي جملة من الأمور واجب تحققها في مقام تحويل تلك الدوال إلى منجزات كلامية في الخارج، ودلالة كلمة العهد تقتضي المشاركة بين طرفين (المعاهد والمعاهد)، وهذان العنصران يشكلان ركني العملية التواصلية، فذلك الميثاق يتحقق

في ضوءه إنجاز جملة من المراسيم والأفعال الكلامية في الخارج، بل إن العهد لا يسمى عهداً ما لم يستتبع توقيعه جملة من الإجراءات الأدائية التي تقوم بها الأفعال الكلامية، ويتم تحويلها إلى أفعال منجزة في الخارج. فتسميته بالعهد والنطق به فعل إنجازي تحقق بمجرد الإعلان عنه.

وقد أوجز الإمام (عليه السلام) المرتكزات الأساسية للعهد في عنوانه، ثم فصلها في نص العهد، وقد ارتكزت على أربع دعائم أساسية صاغها الإمام (عليه السلام) بصورة مختصرة ومكثفة، فعملية الإحالة المتحققة من الدال (العهد) ليس بما يمنحه ذلك الدال من معنى، بل بما يحققه من أثر تداولي في الخارج، فيؤسس ذلك المفهوم آلية تفاعل متلقي النص مع مراسم العهد وأحكامه ومضامينه. وأهم ميزة يمكن للعنوان أن



﴿البقرة﴾

البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) بمالك الأشتر (عليه السلام)

يمتاز بها هي غناه واكتنازه المعرفي والدلالي، فإذا ما امتلك هاتين الصفتين استطاع أن يحيل إلى الخارج والداخل، ومن ثم ثراء عنصر التأويل بصورة واضحة جداً، إذ تعتمد البنية الداخلية لأي استهلال على ثراء الكلمة والصورة وعلى قابلية إثارة التأويل والتداعي، فالنص ليس جملاً مترادفاً يقولها راوٍ أو متكلم، وإنما هو نسيج يرتبط بالبداية الاستهلالية بخيوط ممتدة منه وإليه^(١٦).

أولاً: الإشارات:

تمثل الإشارات واحدة من أركان الجهاز المفاهيمي للتداولية، ف«الإشارة في كل اللغات: كلمات وتعبيرات تعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه، ولا يستطيع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه»^(١٧)، وهذه الإشارة «تمثل العلاقة القائمة بين المتحدثين (وعلى نحو أعم) بين القائمين بعملية التحدث وبين ما يتحدثون عنه في مناسبات معينة»^(١٨)، وبذلك لا يتضح معنى الجملة إلا إذا تمت معرفة ما تشير إليه تلك العناصر الإشارية^(١٩)، وهي مرتبطة بسياقها

وليس قصر العنوانات وطولها معياراً في أهميتها بالقدر الذي تستطيع أن تحمله وتحيله هذه العنوانات، فمكانتها وبراعتها تكمن في تحقق البعد التداولي فيها، وخطاب العهد يعكس في عنوانه جملة من السلطات التي منحها الامام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) وآلية عمل هذه السلطات في مجتمع مصر. وهو

الذي استعملت فيه، وهي عامل مهم في تكوين الخطاب ولها دور مهم في الإحالة إلى المعلومات^(٢٠). فالتلفظ يحدث «في مكان وزمن معينين هما مكان التلفظ ولحظته»^(٢١)، والإشارات خمسة أنواع: (شخصية، وزمانية، ومكانية، واجتماعية، وخطابية / نصية)^(٢٢).

اشتمل عهد الإمام (عليه السلام) لملك (رحمته) على عدد من الإشارات الشخصية والزمانية والمكانية والاجتماعية، ففي عتبه ومفتحه، قال (عليه السلام): «هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْترَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وُلَّاهُ مِصرَ: جَبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا»^(٢٣). جاءت الإشارات الشخصية (ضمير الهاء) في كلمات عهده، إليه، ولاه، خراجها، عدوها، أهلها، بلادها)، وجاءت الإشارة

المكانية (حين)، والإشارات المكانية (هذا، مصر، بلادها)، والاجتماعية (في) عبد الله، أمير المؤمنين، عدوها، أهلها).

تلاحظ أنَّ العنصر الإشاري (هذا) يحيل إلى شيء مادي، وهو هذا الملفوظ أو المدون الكلامي الذي بين فيه الإمام (عليه السلام) مسؤوليات الوالي تجاه رعيته، فالمتلقي لا يصل إلى المراد ما لم يعرف السياق التداولي للخطاب.

وتلاحظ الضمير (هاء) في كلمة (عهده) يشير إلى الطرف الأول في الخطاب وهو منشئ العهد (الإمام علي (عليه السلام)) في حين يشير ضمير (هاء) إلى طرف الخطاب الثاني، وهو المتلقي في كلمة (إليه، ولاه). وهو ما أدى إلى خلق مساحة تواصلية بين الطرفين. ويشير الضمير (ها) إلى المكان الذي تم ذكره سابقاً وهو (مصر) وبهذا، فقد أحال بإشارية شخصية





البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) مالک الأشر (عليه السلام).....

إلى إشارة مكانية تقدم ذكرها. في الكلمات: (منك، وشخصك، ولا يعرف ما تحيل إليه الإشارية الزمانية (حين) إلا بمعرفة الزمان الذي تمت فيه عملية التخاطب وبمعرفة ما يحيل إليه الفعل الماضي (ولاه). وبهذا تكون الإشارة الزمانية مركبة من كلمة (حين) والفعل الماضي (ولاه)، فالكلمة (حين) تشير إلى الزمان الذي تمت فيه التولية وتم فيه العهد. ومما يلحظ هنا أن الضمير يمكن أن يشكل جزءاً من الإحالة المكانية والزمانية.

ومما ورد فيه إشارات من العهد قوله (عليه السلام): «وَأَجْعَلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ.. وَتُقْعِدْ عَنْهُمْ جُنْدَكَ، وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ، وَشُرَطِكَ»^(٢٤). تضمن هذا المقطع من العهد صنفين من الإشارات، إشارات شخصية، وهي: (ضمير الخطاب المستتر في الفعل (اجعل)، و(الكاف)

في الكلمات: (منك، وشخصك، وجندك، وأعوانك، وأحراسك، وشرطك)، وإشارات اجتماعية، هي: (ذوي الحاجات) التي تشير إلى طبقة من المجتمع، وثمة إشارات ازدادت صبغتها الاجتماعية بعد إضافتها إلى المخاطب، وهي: (جندك، وأعوانك، وأحراسك، وشرطك). وتسبب ذكر هذه الإشارات بتماسك النص وانسجامه، فضلاً عن تأديته غرضه التداولي ودلالته الاستعمالية.

ويمكن القول: إنَّ العهد في مجمل عناصره الخطابية يمثل خطاباً لكل من يتولى أمراً من أمور الناس، ولا يمكن حصره بالمخاطب المباشر وهو مالک الأشر (عليه السلام)، وإنما هو خطاب لجنس الوالي لا لشخص والي محدد فهو خطاب لكل الولاة، وإن كان مالک الأشر (عليه السلام) مصداقه المباشر لحظة صدور الخطاب. وبهذا فهو غير منحصر بالعناصر الإحالية

(الإشارية) في نص العهد.

١. الإشارات الشخصية: وهي

الدالة على شخص و«هي ضمائر

الحاضر والمقصود بها الضمائر

الشخصية الدالة على المتكلم وحده

مثل (أنا) المتكلم غيره مثل (نحن)

والضمائر الدالة على المخاطب مفرداً

أو مثني أو جمعاً مذكراً أم مؤنثاً»^(٢٥)،

ويدخل معها ضمير الغائب إذا كان

حراً ولا يعرف مرجعه، فإذا ما عرف

مرجعه خرج من الإشارات^(٢٦)،

واشترط فلاسفة اللغة العادية

الصدق فيما يشير إليه^(٢٧). «وهي

بشكل عام الإشارات الدالة على

المتكلم أو المخاطب أو الغائب»^(٢٨).

اشتمل العهد على عدد من

ضمائر المتكلم التي لا يمكن معرفة

ما تشير إليه فيما لو كانت منفصلة

عن المقام التداولي للعهد، فلو لم

يعلم المتلقي من المتكلم في سياق

المقام لبقى ما تشير إليه مبهماً، ومنها

ضمير المتكلم المفرد في قوله (لبيك):

«ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ

...»^(٢٩). ففي هذه الملفوظة إشاريتان

شخصيتان، هما ضمير المتكلم ضمير

النصب (الياء)، وضمير الرفع

(التاء). والمقام يكشف ذلك في كون

منتج العهد هو الامام علي (عليه السلام)،

واشتملت هذه الملفوظة على ضمير

المخاطب (الكاف) الذي أفصح

المقام عما يشير إليه.

ومنه قوله (عليه السلام): «وَقَدْ

اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ...

وَإِذَا أَحَدَتْ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ

سُلْطَانِكَ...»^(٣٠). ففي هذا المقطع

تلحظ ضمير (الكاف) الذي ورد

بالحالتين (النصب والجر) مثلما

تلحظ ضمير الرفع المنفصل (أنت)،

وهي تشير إلى المخاطب الذي

يفصح عنه السياق التداولي للعهد.

وتلحظ ضمير الغائب (الهاء) الذي

أحال القوم (الرعية) بصيغته مع





البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) نمالك الأشر (عليه السلام).....

﴿البقرة﴾

قوله (عليه السلام): «إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيْرًا...»^(٣٤). وقوله (عليه السلام): «وَأَكْثَرُ مَدَارِسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيْتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِبِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ»^(٣٥). فكلمة (قبلك) هنا مكونة من إحالتين الإحالة الزمانية (قبل)، والإحالة الشخصية ضمير (الكاف) التي ساعدت على تحديد مركز الإشارة، بل مثلت مركز الإشارة، وبها يمكن للمتلقين - بعد المتلقي المباشر - أن يعرفوا الزمان الذي تشير إليه كلمة (قبلك) هنا، بعد معرفتهم الزمان الذي أعلن فيه العهد.

٣. الإشارات المكانية: وهي الكلمات التي تشير إلى مكان يحدده السياق بالنظر إلى مكان المتكلم الذي هو مركز الإشارة المكانية التي هي «عناصر اشارية الى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة

(ميم الجماعة)، وأحال إلى ما يدل عليه الاسم الموصول (ما) بصيغته الإفرادية، وقد ساعد السياق التداولي على وضوح الاستعمال وبيان المراد منها.

ويمكن القول: إِنَّ الإشارات الشخصية تكاد تكون بعدد الكلمات في العهد. وهو نتيجة قد تكون طبيعية؛ لكون العهد بين متخاطبين أو طرفين على الأقل.

٢. الإشارات الزمانية: وهي «كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمن التكلم فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ»^(٣١)، وتكون فيها «لحظة التكلم هي المرجع»^(٣٢).

ومن الإشارات الزمانية التي وردت في العهد كلمة (قبل) التي وردت في أكثر من موضع^(٣٣)، منها

قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوْلٌ قَبْلَكَ...» (٤٠).

فكلمة (بلاد) هي الإشارة المكانية، وقد تكررت في أكثر من موضع، ولا يمكن معرفة ما تشير إليه إلا بمعرفة ملابسات الخطاب، فملتقي منا للنص لا يعرف ما يدل عليه استعمالها هنا ما لم يعرف المتكلم وزمان التكلم والمخاطب المباشر. وقد تكون الإشارات المكانية

مستعملة فيما يدل على المرتبة فلا تدل على المكان، فالظرف (فوق) في قوله (ﷺ): «فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَوَلَاكَ» (٤١). فقد جعل التداوليون

كلمة (فوق) والظروف الأخرى من الإشارات المكانية، وهي كذلك، لكنها هنا لا تشير إلى المكان، ولم يقصد منها المتكلم مكاناً مادياً، وإنما قصد الأمر والشأن والرتبة وشيئاً أعم من المكان، واقتضى الكلام استعمالها؛ لأنها الأقرب إلى تصوير

مكان المتكلم وقت التكلم أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع» (٣٦). والإشارات المكانية الأكثر وضوحاً هي: «هذا وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلم وكذلك هنا وهناك. وسائر ظروف المكان مثل فوق وتحت وأمام وخلف...» (٣٧).

وردت في العهد إشارات مكانية عديدة (٣٨)، منها افتتح الإمام (ﷺ) عهده لمالك (رحمته) بإشارة مكانية بقوله (ﷺ): «هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ...» (٣٩). ولا يمكن تحديد المكان الذي تشير إليه إلا بمعرفة مكان المتكلم الذي لا يكشفه السياق اللغوي هنا، ويساعد السياق المقامي والتعاهد اللغوي من استعمال كلمة (هذا) للقريب على فهم تلك الإشارة.

ومنها قوله (ﷺ): «ثُمَّ اَعْلَمَ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ





البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) مالک الأشر (عليه السلام).....

المعنى المراد، وهو كون المتكلم مراقباً لعمل الوالي، والله تبارك وتعالى مراقب عملهم جميعاً، وفيه من التحذير ما فيه.

٤. الإشارات الاجتماعية: وهي الكلمات التي تشير إلى العلاقة الاجتماعية «وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة إلفة ومودة»^(٤٢).

اشتمل عهد الإمام (عليه السلام) على عدد من الإشارات الاجتماعية، فجاءت أولها في مفتح العهد بقوله (عليه السلام):

«هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ...»^(٤٣)، لما أراد الإمام (عليه السلام) أن يبين أن هذا الأمر الذي عهد به لمالك (رحمته) إنما هو أمر ذو صبغة اجتماعية لا يتعلق بشخص مالك (رحمته)، وإنما هو تكليف بإدارة شؤون بلد من بلاد المسلمين،

وثة عدد من الإشارات الاجتماعية لا تكاد تخلو منها صفحة في العهد المبارك^(٤٤)، منها قوله (عليه السلام): «وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تُفَرِّغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسْ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ، مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ...»^(٤٥). تحيل عبارة (ذوي الحاجات) إلى طبقة في المجتمع يوصي بهم ويبين كيفية التعامل معهم ومنحهم فرصة الحديث إلى الوالي

اشتمل عهد الإمام (عليه السلام) على عدد من الإشارات الاجتماعية، فجاءت أولها في مفتح العهد بقوله (عليه السلام): «هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ...»^(٤٣)، لما أراد الإمام (عليه السلام) أن يبين أن هذا الأمر الذي عهد به لمالك (رحمته) إنما هو أمر ذو صبغة اجتماعية لا يتعلق بشخص مالك (رحمته)، وإنما هو تكليف بإدارة شؤون بلد من بلاد المسلمين،

مباشرة من دون تكلف أو انتقاص من أقدارهم. وتحيل الكلمات (جندك، وأعوانك، وأحراسك، وشرطك) إلى طبقة اجتماعية لها وظيفة رسمية في الدولة قد تكون سبباً في منع عامة الناس من الوصول إلى الوالي. وهذه الإشارية الاجتماعية التي وردت في النص تتم فاعليتها التواصلية عندما يعرف السياق التداولي الذي استعملت فيه، ولا سيما بعد إضافتها إلى ضمير المخاطب (الكاف).

ومما يلحظ في العهد أن الإشارات الزمانية والمكانية والاجتماعية قد اقترنت في غالبها مع الضمائر وهي إشارات شخصية، لما تمثله الضمائر من وسائل ربط يتناسك بها النص فتسهم في تكثيف الفاعلية التواصلية. ويتبين مما سبق أن الإشارات الشخصية كان لها الاستعمال الأكثر في العهد وهذا أمر يستلزمه الحوار في العهد لكونه بين مخاطب (مُرسل) ومخاطب (مُرسل إليه)، تليها الإشارات الاجتماعية؛ لكون العهد إنَّما هو لتنظيم أمور الدولة والمجتمع لذلك كثرت فيه الإشارات الاجتماعية، تليها الإشارات المكانية والزمانية، وقد أسهم كل ذلك في تداول النص وشغله المساحة التواصلية المرادة له.

ثانياً: متضمنات القول:

وهو «مفهوم تداولي إجرائي



﴿البقرة﴾

البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) مالك الأشر (عليه السلام)

يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره»^(٤٦). أو «هو مفهوم تداولي يهتم بدراسة الخطاب في جوانبه الغامضة في إطار السياق الذي يندرج فيه»^(٤٧). ويتفرع هذا المفهوم إلى مفهومين آخرين، هما الافتراض المسبق والأقوال المضمرة^(٤٨).

فالافتراض المسبق هو «الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة»^(٤٩). ويتمثل هذا المفهوم بوجود افتراض بين المتخاطبين؛ فيفترض أن يكون بين طرفي الخطاب (المتكلم والمخاطب) اتفاقات مسبقة لفهم الكلام، فثمة اتفاقات مبدئية على مسائل يتم في ضوءها فهم الحوار بين الطرفين، وبذلك فهو

«شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، أي إن الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين وليس في الجملة»^(٥٠). ويطلق عليه مصطلح «الإضماريات التداولية ومفادها انطلاق المتخاطبين من معطيات معرفية قاعدية لتحقيق الفهم»^(٥١)، فمثلاً جملة (اغلق النافذة) تتضمن افتراض وجود النافذة وهي مفتوحة. وبهذا فإن في كل خطاب رصيماً من الافتراضات المسبقة تضم معلومات مستمدة من المعلومات العامة وسياق الحال، والجزء المكتمل من الخطاب ذاته، ولدى كل طرف من أطراف الخطاب رصيماً من الافتراضات المسبقة التي تتزايد مع تقدم عملية الخطاب^(٥٢).

أما الأقوال المضمرة فهي تلك «المعلومات الخطابية غير الظاهرة على السطح إلا بفعل التأويل السياقي للحديث»^(٥٣)، أو هي «كتلة

المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث»^(٥٤).

أدّى خلل الترجمة وسوء الفهم في بعض التطبيقات إلى افتراض مفاده أنّ الافتراض والقول المضمّر مصطلحان لمفهوم واحد، فعرف بعضهم الافتراض المسبق بتعريف الأقوال المضمرة بأنّه «تلك المعلومات التي لم يفصح عنها، فإنها وبطريقة آلية مدرجة في القول الذي يتضمنها أصلاً بغض النظر عن الخصوصية»^(٥٥). وقد علل ذلك بالقول: «إنّ القدرة التواصلية للإنسان في جزئها الأكبر ضمنية»^(٥٦).

والفرق بينهما أنّ الأقوال المضمرة «ترتبط أكثر بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية»^(٥٧). فالأقوال المضمرة وليدة

السياق الكلامي أما الافتراض المسبق فوليد ملاسبات الخطاب^(٥٨). ويمكن القول: إنّ الافتراض يسبق عملية التلفظ بالكلام، فهو فيما يدل عليه ظاهر الكلام. أمّا القول المضمّر فهو الدلالات التضمنية والالتزامية التي في الملفوظ، فهو فيما يتضمنه الكلام من رسائل غير مصرح بها. والافتراض مشترك بين المتخاطبين وعلى أساسه بدأ التخاطب. أمّا الأقوال المضمرة فهي موجودة في قصد المتكلم أو قد تكون غائبة عن قصده فيكتشفها المتلقي غير العادي، وفيها مساحة من التأويل وبإمكان المنشئ إنكارها وبيان عدم قصديتها إذا تطلب الأمر. وهذا يعني أنّ الافتراض المسبق يكون في البنية الظاهرية للملفوظ أمّا القول المضمّر فيكون في البنية الباطنية.

ويتجلى مفهوم متضمنات القول في عهد الإمام (عليه السلام) مالك (رحمته)





البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) مالک الأشر (عليه السلام) في مواضع كثيرة من العهد، ومنها ما ورد في المقطع الثاني منه في قوله (عليه السلام): «أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِثَارِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ...»^(٥٩). تضمن هذا المقطع عددا من متضمنات القول، فالافتراض المسبق يتمثل في أن الإمام علياً (عليه السلام) ممن له حق الأمر، وأنه ممن يأمر بطاعة الله تعالى، وأن مالكا (رحمته) ممن يوحد الله تعالى ويتقيه ويؤثر طاعته ويتبع أوامره، وأنه ممن يطيع أمر الإمام (عليه السلام)، وأن الله كتاباً فيه فرائض وسنن وأوامر إلهية يجب أن تتبع.

أما الأقوال المضمرة التي اشتمل عليها فهي: الترغيب في طاعة الله وكونها شرطاً في تولى أمور المسلمين، والتحذير من المعصية وعدم اتباع الفرائض والسنن، وأن الوالي قد لا يكون تقياً، وقد لا يكون مؤثراً طاعة ربه أو اتباع أمره.



والإمام (عليه السلام) بَيَّنَّ ذلك مع تَلَطُّفٍ في الأسلوب فاستعمل جملة خبرية دلت فيها مادة (أمر) على الإنشاء (الطلب)، ولم يستعمل صيغة الأمر، وكان غرضه تقرير أمر يريد إيقاعه. ومنها قوله (عليه السلام): «وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ»^(٦٠). يتمثل الافتراض المسبق في هذا الملفوظ بأن مالكا الأشر (رحمته) صاحب أمور، وأنه عاصر ولاة سابقين، وأن الناس تنظر في أمور رعاتها وأن مالكا (رحمته) كان ينظر في أمورهم ويقول فيهم شيئاً. واشتمل هذا القول أيضاً على قول مضمرة مفاده التحذير من أن يكون مالك (رحمته) مثل سابقه حتى لا يُنظَرَ إليه مثلهم.

ومنه قوله (عليه السلام): «وَأَكْثَرُ مَدَارِسَةِ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةِ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ

مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ وَإِقَامَةُ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ»^(٦١)، فَإِنَّهُمَا جَمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ...»^(٦٢)، تضمن هذا المقطع

اشتمل هذا المقطع من العهد على عدد من المتضمنات، فالافتراض المسبق يتمثل بافتراض أن الرعية فيها علماء وحكماء وبالإمكان التواصل معهم. وأنك أيها الوالي مسؤول عن إصلاح أمر بلادك وإقامة أمر الناس، وأن الناس قبلك مستقيمة أمورهم على حال ما.

أما الأقوال المضمرة فهي أنك ربما لا تستمع إلى أقوال العلماء والحكماء، وأنك يحتمل فيك ألا تجالس العلماء والحكماء بحجج ما، وأن صلاح أمر البلاد والعباد لا يتم إلا بأخذ رأي العلماء والحكماء. وهذه المتضمنات خلق المنشئ بيئة تواصلية مع الخطاب وغايته.

ثالثاً: الاستلزام الحوارية:

يعرف الاستلزام الحوارية بأنه «عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم ويوحى به ويفترضه،

ومنه قوله (عليه السلام): «ثُمَّ انظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّا لِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَاراً وَلَا تُؤَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً؛





البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) نمالك الأشر (عليه السلام).....

ولا يكون مما تعنيه الجملة بصورة حرفية»^(٦٣)، أو هو «عملية تطلق على كل قضية مضمرة نستطيع استخراجها من ملفوظ ما واستنباطها من محتواه الحرفي»^(٦٤)، والاستلزام «شيء ينبع منطقياً مما قيل في الكلام، أي إن الجمل هي التي تحوي الاستلزام وليس المتكلمون»^(٦٥).

ويتكئ الاستلزام الحواري أو يتوقف على مبدأ عام هو مبدأ التعاون، وهو «ذلك المبدأ الذي يركز عليه المرسل للتعبير عن قصده مع ضمانه قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه»^(٦٦)، وقد صاغه كرايس بعبارات «ليكن اسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار»^(٦٧)، ويشتمل على أربعة مبادئ فرعية^(٦٨):

١. مبدأ الكم: ويستلزم «أن
٢. مبدأ الكيف: ويستلزم أن «لا تقل ما تعتقد أنه كذب، لا تقل ما لم تستطع البرهنة على صدقه»^(٧٠).
٣. مبدأ المناسبة: ويستلزم أن تكون المساهمة في الحوار مرتبطة بموضوعه «اجعل مساهمتك ذات صلة بالموضوع»^(٧١).
٤. مبدأ الطريقة (الأسلوب): ويستلزم أن تكون المساهمة واضحة بعيدة عن الغموض «كن واضحاً، تجنب الإبهام، أوجز (تجنب كل إطناب) كن منظماً»^(٧٢).
- وكان مبدأ التعاون متحققاً في العهد إجمالاً بمبادئه الفرعية، فقد اشتمل العهد على ذكر الأمور

١. مبدأ الكم: ويستلزم «أن

الضرورة، وهي القواعد العامة التي يحتاجها الحاكم في إدارة شؤون العباد والبلاد، فضلاً إيمانه وقناعته بصحة ما يقوله لكونه مطابقاً للحقيقة، ومتناسباً مع موضوعه، مع وضوحه ودقته وعدم إبهامه.

ومما يتجلى فيه ذلك قوله (عليه السلام): «وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعِدُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ» (٧٣).

اشتمل هذا المقطع مقداراً كافياً من الكلمات التي أراد لها مُرسلها (الإمام عليه السلام) أن تكون سبيلاً لاختيار المستشارين، ومن يُعوّل على رأيهم في إدارة الأمور، وأنّ (البخيل والجبان والحريص) يجب أن يُبعدوا عن هذه الوظيفة، وأنّ مثل هذه الصفات تكون وبالاً على القائد إذا

اتصفت بها الحاشية، وقد بيّن (عليه السلام) مساوئ كلّ منهم وذكر أنها يجمعها سوء الظن بالله تعالى الناتج عن ضعف الإيمان أو انعدامه، فهذه العبارات كانت المساهمة بالقدر المطلوب فتحقق التعاون في مبدأ الكم. وقد كان كلام الإمام نابع عن معرفة بحقائق الأمور وعن فناعة راسخة بأنّ هذه الأصناف من الناس ليس من مصلحة البلاد ولا العباد استشارتهم، وبهذا تحقق مبدأ الكيف.

ولما كانت المناسبة واضحة بين هذا المقطع، وموضوع العهد وغايته، تحقق مبدأ المناسبة؛ إذ بينت هذه العبارات صفات المستشارين والمعول على رأيهم في إدارة البلاد، أما الأسلوب الذي بيّن فيه الإمام تلك المضامين فكان واضحاً سلساً فقد أصدر أحكاماً ونصائح بالنهاي عن مشاورة أصناف من الناس،





البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) نمالك الأشر (عليه السلام).....

ولم يترك الأمر على عواهنه، وإنما بين أسباب إصداره تلك الأحكام، وبهذا تحقق مبدأ الطريقة. وبهذه مجتمعة تحقق مبدأ التعاون، وأدى الاستلزام وظيفته التداولية.

وماتم فيه الاستلزام الحواري قوله (عليه السلام): «ثُمَّ اخْتَرَ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ... فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهُوَى وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا»^(٧٤). فقد بينَ هذا المقطع الصفات التي تتوافر في الرجل حتى يتم اختياره للحكم والقضاء بين الناس، وبين المتطلبات التي ينبغي توفيرها له حتى لا يخضع للابتزاز، فجاء هذا المقطع منسجماً مع ما يشترطه مبدأ التعاون بمبادئه الفرعية، فكانت كمية الكلام بالمقدار المطلوب، وهو المقدار الذي يقتضيه

وممن حيث صلة الملفوظ بالموضوع فهو مرتبط أيما ارتباط بموضوعه الذي هو بيان الأسس العامة لإدارة شؤون العباد والبلاد. أمّا عن الطريقة أو الأسلوب الذي عرضت فيه الفكرة، فكان سلساً سهلاً واضحاً بعيداً عن الغموض والإبهام، سواء على مستوى اختيار الألفاظ أم على مستوى تركيب الجمل واستعمال الأساليب؟ فتم فيه عرض الموضوع مدعوماً بالأدلة.

رابعاً: الأفعال الكلامية:

يقصد بالفعل الكلامي ذلك «الانجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر والنهي والوعد

مع ما يشترطه مبدأ التعاون بمبادئه الفرعية، فكانت كمية الكلام بالمقدار المطلوب، وهو المقدار الذي يقتضيه

والسؤال والتعيين والإقالة والتعزية والتهنئة... فهذه كلها أفعال كلامية^(٧٥). ويرى أصحاب هذه

النظرية «أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، وإنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية»^(٧٦)، فالأفعال الكلامية «أفعال ينجزها المتكلم بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب»^(٧٧)، وقد قسموا الفعل الكلامي إلى^(٧٨):

أ. فعل القول أو الفعل اللغوي، ويتألف من: فعل صوتي، وفعل تركيب، وفعل دلالي.

ب. الفعل المتضمن في القول أو الفعل الإنجازي: «وهو الفعل الإنجازي الحقيقي؛ إذ أنه عمل ينجز بقول ما، وهذا الصنف من الأفعال هو المقصود من النظرية

ج. الفعل الناتج من القول أو الفعل التأثري: «وهو ما يتركه الفعل الإنجازي من تأثير في السامع أو المخاطب سواء أكان التأثير جسدياً أم فكرياً؟ والغاية منه حمله على اتخاذ موقف أو تغيير رأي أو القيام بعمل ما»^(٨١).

وصنفت الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف هي: (الإخباريات، والتوجيهيات، والالتزاميات، والتعبيريات، والإعلانيات)^(٨٢). واشتمل العهد المبارك على تلك الأصناف من الأفعال الكلامية، وهي:

١. الإخباريات: وتسمى الحكميات والتأكيديات والتقريريات، وتتضمن نقل المتكلم خبراً أو إصداره حكماً أو تأكيده أمراً أو تقريره شيئاً ما^(٨٣)،





البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) مالک الأشر (عليه السلام).....

والهدف منها «تطويع المتكلم فتطابق الكلمات مع العالم، والحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى مهما كانت درجة القوة»^(٨٤). فالإخبار بتلك الأحكام والقرارات أو التقريرات هدفه حمل المتلقي على اليقين بها والعمل بموجبها أو التعامل معها على أنها مسلمات، ولهذا الصنف من الأفعال الكلامية مواضع كثيرة في عهد الإمام (عليه السلام) لمالك (رحمته)، ومنها قوله (عليه السلام): «فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ...»^(٨٥)، فالجملة جملة خبرية تضمنت حكماً، أكده الإمام (عليه السلام) باستعمال أداة التوكيد (إن)، وهو ما ينسجم مع كون التوكيد فعلاً كلامياً في التراث العربي، يستعمل «لثبیت الشيء في نفس المخاطب»^(٨٦). وقد تضمنت هذه الأحكام فعلاً إنجازياً آخر مفاده: أنك أيها الوالي عليك

أن لا يقتصر همك على الخاصة من الرعية والمحيطين بك وبطانتك، وعليك أن ترعى حقوق عامة الرعية التي قد تضيع بسبب ما تخفيه عنك البطانة والخاصة، وبهذا فهو تحذير مما يؤدي إلى سخط العامة، ويستلزم إغراء برضاها، وقد جاءت هذه الأحكام بمثابة علل لأوامر أصدرها سبقت هذه الجملة، وهي قوله (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ...»^(٨٧)، فالغرض الذي يلي الإخبار بهذه الأحكام حمل المتلقي على اليقين بمحتواها، والتعامل على أساسه، وقد تستبطن إغراء أو تحذيراً، أو نحو ذلك.

ومنه قوله (عليه السلام): «الْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنا (عليه السلام) أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ

اللَّهِ»^(٨٨). فتضمن الإخبار هنا حكماً

بالوجوب دلت عليه المادة اللغوية

(وجب) وسياق الكلام، فقد

جاءت بجملة خبرية ليست إنشائية،

وليست على صيغة من صيغ الأمر،

ويبدو أن استعمال الإمام (عليه السلام)

لأسلوب الخبر وقصده الإنشاء هنا

إنما هو لبيان أن ما يأمر به إنما هو

حقيقة ثابتة سواء وقعت في الخارج

أم لم تقع؟ وأنها ليست أمراً يراد

إيجاده في الخارج فحسب، وإنما هي

حقيقة يجب الإذعان لها والعمل على

أساسها، فهنا تحقق فعل إنجازي

هو الإخبار، فضلاً ما تضمنه من

إحعاءات دلالية. ويلاحظ في العهد

المبارك أن الحكميات التي وردت فيه

وردت مؤكدة في غالبها.

٢. التوجيهيات: وهي «محاولة

جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل

من تصرفه متلائماً مع المحتوى

الخبري للتوجيه»^(٨٩)، وتسمى

الأوامر أو الطلبيات^(٩٠)، وبذلك

فإن غرضها توجيه السامع (المتلقي)

لإنجاز ما يتضمنه القول. ويتحقق

هذا الصنف من أفعال الكلام في

عهد الإمام (عليه السلام) لمالك (رحمته)

الطلب المتعددة، ومنها:

أ. الأمر: وهو طلب وقوع

الفعل^(٩١)، وهو أكثرها شيوعاً في

العهد، ويكاد يتكرر في كل جملة،

ومنه قوله (عليه السلام): «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ

الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ

وَاللُّطْفَ بِهِمْ»^(٩٢). فقد تضمن هذا

الملفوظ:

- الفعل اللفظي، ويتمثل بالفعل

الصوتي النطقي المؤلف من نطق

أصوات الكلمة ومادتها لغوية.

والفعل الإسنادي (الإحالي) الذي

أسند فيه الفعل للمخاطب على نحو

الإيقاع. والفعل الدلالي الذي يتمثل

بما يدل عليه مدلول اللفظ (شعر،

الشعور)، وهو العلم بالشيء^(٩٣)





البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) نمالك الأشر (عليه السلام).....

المنتج للإحساس به و«هو الإدراك الدقيق»^(٩٤)، والمطلوب هو حالة الشعور القلبي بالرحمة والمحبة واللفظ بمن يتولى أمرهم.

- الفعل الإنجازي: ويتمثل بالقوة الإنجازية في صيغة الأمر، وغرضه هنا الأمر الحقيقي الصادر من العالي إلى الداني، وقد تحقق الأمر بمجرد النطق بصيغة فعل الأمر سواء فعله المأمور أم لا؟ ويترتب عليه وجوب أن يفعله المخاطب في الخارج. فالفعل الكلامي هنا (الأمر) وقع بقوته الإنجازية، بغض النظر عن تحقق مضمون المطلوب دلاليًا في الخارج.

- الفعل التأثيري: وهو الناتج عن تحقيق الأمر في الخارج، والسعي إلى حالة الإنصاف واستشعار تحققها في النفس.

وما تقدم يتضح أن ثمة علاقة ترتيبية بين الفعل اللفظي الذي بتحقيقه اللفظي في صيغة الأمر يتحقق الفعل الإنجازي وهو

وَمَا تَقْدَمُ يَتَضَحُّ أَنَّ ثَمَّةَ عِلَاقَةٍ تَرْتِيبِيَّةٍ بَيْنَ الْفِعْلِ الْلَفْظِيِّ الَّذِي بِتَحْقِيقِهِ الْلَفْظِيُّ فِي صِيغَةِ الْأَمْرِ يَتَحَقَّقُ الْفِعْلُ الْإِنْجَازِيُّ وَهُوَ

وَمِنْهُ قَوْلُهُ (عليه السلام): «أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ

خَاصَّةً أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ»^(٩٥). تضمن هذا الملفوظ: - الفعل اللفظي، ويتمثل بالفعل الصوتي: النطق بأصوات الفعل.

والفعل الإسنادي (الإحالي)، وهو إسناد الفعل إلى فاعله المطلوب منه أن يفعله. والفعل الدلالي، وهو مدلول لفظ الإنصاف، وهو بلوغ النصف^(٩٦)، أو «رعاية العدل والمساواة»^(٩٧).

- الفعل الإنجازي وهو الأمر بالإنصاف، وقد تحقق بمجرد نطق اللفظ بهذه الصيغة.

- الفعل التأثيري: وهو الناتج عن تحقيق الأمر في الخارج، والسعي إلى حالة الإنصاف واستشعار تحققها في النفس.

وما تقدم يتضح أن ثمة علاقة ترتيبية بين الفعل اللفظي الذي بتحقيقه اللفظي في صيغة الأمر يتحقق الفعل الإنجازي وهو

صدور الأمر، فإذا ما استتبعه عمل بمضمونه وإيجاد تأثيره ووجود أثره في الخارج تحقق الفعل التأثري الذي هو نتيجة لإنجاز المطلوب في الخارج.

ولا يخفى أن عهد الإمام (عليه السلام) لمالك (رضي الله عنه) مملوء بالأوامر، وهو ما ينسجم مع وظيفة العهد ومهمته وغايته المراد تحقيقها وتحقيقها.

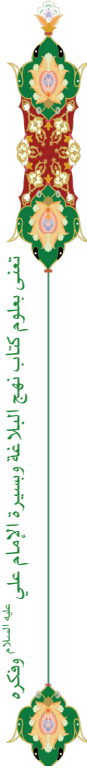
ب. النهي: وهو طلب ترك الفعل^(٩٨)، ويلى الأمر شيوعاً في العهد المبارك، ومنه قوله (عليه السلام): «وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ»^(٩٩). تضمن هذا الملفوظ:

- الفعل اللفظي وهو مؤلف من: الفعل الصوتي: وهو أداة النهي (لا) والفعل (تنصبن). والفعل الإسنادي (الإحالي)، وهو إسناد الفعل (نصب) إلى الفاعل المخاطب. والفعل الدلالي دلالة اللفظ (نصب) التي هي إقامة الشيء^(١٠٠).

- الفعل الإنجازي: وهو النهي عن فعل النصب بصيغة النهي (لا) الناهية والفعل المضارع، هو هنا طلب ترك الفعل الدلالي، وقد تحققت هذه القوة الإنجازية بمجرد النطق بالصيغة. والنهي هنا عن إقامة النفس وإجهادها في محاربة الله تعالى ومحاربة أوامره ونواهيه، والتسلط على عباده ومعاملتهم بالظلم والجور وعدم إعطاء الحق بحجج واهية أو بدافع إظهار السلطة.

- الفعل التأثري: وهو ما ينتج عن القوة الإنجازية من تأثير في سلوك المتلقي بعدم وقوع الفعل الدلالي.

ج. التحذير: وهو من أساليب العربية في التعبير عن المعاني، وغرضه «تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليتجنبه»^(١٠١). وقد ورد التحذير في العهد المبارك بأسلوبين: صريح وغير صريح، فالأسلوب الصريح:





البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) نمالك الأشر (عليه السلام).....

﴿الْبَيْتِ﴾

هو الذي تستعمل فيه أدوات التحذير، ومنها (إياك)، وقد وردت في قوله (عليه السلام): «إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْذِلُ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ»^(١٠٢). ورد في هذا المقطع تحذيران، الأول بالأداة (إياك)، والثاني بالجملة التعليلية (فإن...) التي أعقبت جملة (إياك)، وقد تحقق التوجيه في الجملتين، وصار التحذير فعلاً منجزاً بمجرد التلفظ بالجملة. ومثله قوله (عليه السلام): «إِيَّاكَ وَالدَّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ... وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ ...»^(١٠٣). وقوله (عليه السلام): «وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ ... وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ ... وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ ... وَإِيَّاكَ وَالْإِسْتِنَارَ ...»^(١٠٤).

الجملة المذكورة آنفاً. ومنه التحذير المتحقق في قوله (عليه السلام): «أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ... فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ حَظْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَذْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ اللَّهُ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَّدِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمُرْصَادِ»^(١٠٥).

اشتمل هذا النص على عدد من التحذيرات، فقد وردت فيه ثلاث جمل شرطية: جملة (فإنك إلا تفعل...)، وجملة (ومن ظلم...)، وجملة (ومن خاصمه...)، وقد تضمنت التحذير بوصفه استراتيجية خطابية، غرضها إنجاز التحذير في الخارج. ووردت فيه ثلاث جمل اسمية (وليس شيء...)، وجملة (فإن الله...)، وجملة (وهو للظالمين...)، فقد

أما الأسلوب الآخر فهو ما يمكن أن يندرج في متضمنات القول، فالجمل تستبطن تحذيراً، ومنه

حذرت هذه الجملة من الإقامة على

الظلم، وبينت أن ذلك بعين الله وأنه بالمرصاد.

ومنه التحذير المتضمن في قوله (عليه السلام): «وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَوَلَاكَ»^(١٠٦). فتضمن

النص تحذيراً للوالي بتنبهه أنه تحت مراقبة مَنْ وَوَلَاهُ، وهما جميعاً تحت المراقبة الإلهية.

د. الإغراء: وهو «تنبيه المخاطب

على أمر محمود ليفعله»^(١٠٧). ومما

تحقق فيه الفعل الكلامي (الإغراء)

في العهد المبارك قوله (عليه السلام): «ثُمَّ اللَّهُ

اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا

حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ

وَأَهْلِ الْبُؤْسَى... وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً

مِنْ بَيْتِ مَالِكَ...»^(١٠٨). فالإمام

(عليه السلام) هنا ينبه على رعاية الطبقة

الضعيفة في المجتمع، وأن يأخذوا

حقهم وما يسد حاجاتهم، وهذا

الإغراء يضمّر تحذيراً من العمل

بخلافه.

ومنه قوله (عليه السلام): «وَلَا تَدْفَعَنَّ

صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلَّهِ

فِيهِ رِضًا فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَاً

لِجُنُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْنًا

لِبِلَادِكَ»^(١٠٩). ففي جملة (فإن

الصلح ...) إغراء بقبول الصلح إذا

ما طلبه العدو؛ لما فيه من الراحة

والأمن للبلاد والعباد. وقد أعقبه

(عليه السلام) بتحذير مما بعد الصلح، فقال

(عليه السلام): «وَلَكِنَّ الْحَدَرَ كُلَّ الْحَدَرِ مِنْ

عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ...»^(١١٠). ففي

هذا المقطع أنجز (عليه السلام) فعلي الإغراء

والتحذير.

ومنه قوله (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ آثَرُ

رُؤُوسِ جُنُودِكَ... فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ

يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ...»^(١١١).

فجملة (فإن عطفك ...) تضمنت

إغراء بالعطف على الجند ووعداً

بكونه مما يعطف قلوبهم على الوالي،

وهو ما يحقق النجاح والنصر.



البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) مالک الأشر (عليه السلام).....

٣. الالتزاميات: وتسمى الوعديات و«الهدف منها جعل المتكلم ملتزماً بإنجاز عمل»^(١١٢).
وما تحقق في الفعل الكلامي

٤. التعبيريات: وهي «التعبير عن الحالة النفسية بشرط أن يكون ثمة نية صادقة»^(١١٥)، وتسمى الافصاحيات^(١١٦). ولم يتمكن الباحثان من رصد شواهد على هذا الصنف من الأفعال الكلامية في العهد المبارك، ويبدو أن ذلك إن تم فإنها هو لعدم وجود ما يقتضيه في العهد.

٥. الإعلانات: وتسمى التصريحيات وهدفها «إحداث واقعة»^(١١٧)، أو الإعلان عنها. وبناء على ذلك فإن عهد الإمام (عليه السلام) مالک الأشر (عليه السلام) يمثل إعلاناً دستورياً لوظيفة الوالي، فالتلفظ بنص العهد وصدوره من منشه إلى متلقيه يدخل مرحلة الإعلان، وهذا الإعلان بحد ذاته فعل إنجازي، ويمكن القول:

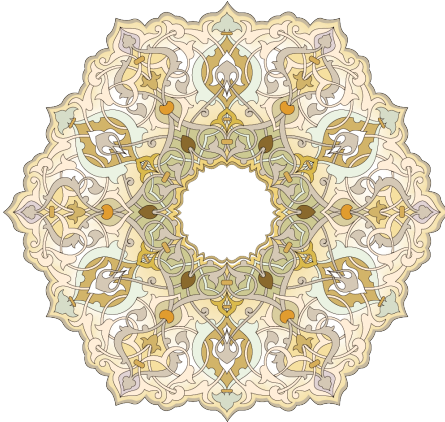
(الوعد) قوله (عليه السلام): «مَرَّهُ بِتَقْوَى اللَّهِ... وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ»^(١١٣). تضمنت جملة (فإنه...) وعداً بنصر الله تبارك وتعالى لمن ينصره، وهو تجسيد لمضمون الآيات المباركة، قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج من الآية ٤٠]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد من الآية ٧]. ولأن الإمام (عليه السلام) ولي الله وخليفته في أرضه والقائم بأمره بين عباده فإنَّ وعده هو وعد الله. ومنه قوله (عليه السلام): «فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا

إن الإعلان في العهد المبارك جاء بمستويين: إجمالي وتفصيلي، فالإجمال في قوله (عليه السلام) «هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ... وَعِمَارَةٌ بِلَادِهَا»^(١١٨). أما التفصيلي فهو من بداية الإعلان إلى آخر كلمة في العهد.

الخاتمة

يتلخص مما تقدم أن العهد مثَّل بؤرة تواصلية بدءاً من عنوانه، مروراً بمضامينه، وقد حرص الإمام (عليه السلام) أن يجعل منه نصاً حياً ليشكل خطاباً لكل من يتولى أمراً عاماً أو شأنًا

اجتماعياً أو إدارياً، مدنياً أو عسكرياً، وقد تحققت الأبعاد التداولية في العهد بمفاهيمها المعروفة، فتجلت فيه الأفعال الكلامية، ومتضمنات القول، وما تطلبته من إحالات أسهمت في فاعلية الاستلزام، فتجلى فيه كل ذلك، فجعله نصاً متحركاً في فضاءه التداولي صالحاً للإفادة منه في أي مكان وزمان، وقد مثل العهد بجملته فعلاً كلامياً إنجازياً له قابلية التفاعل والتأثير والتطبيق.



٨١، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:

الهوامش

١٥. (١) ينظر: قضايا المتكلم في اللغة والخطاب: ٧٣.
١٤. (٢) ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية: ١٥٥.
- (٢٣) العهد: ١٤.
- (٢٤) العهد: ٤٦.
- (٢٥) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٧.
- (٢٦) ينظر: أفعال الكلام في نهج البلاغة: ١٨.
- (٢٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٨.
- (٢٨) استراتيجيات الخطاب (الشهري): ٨٢.
- (٢٩) العهد: ١٥.
- (٣٠) العهد: ١٧.
- (٣١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٠.
- (٣٢) استراتيجيات الخطاب (الشهري): ٨٣.
- (٣٣) ينظر: العهد: ١٤، ١٥، ٢٣، ٢٦، ٤١، ٤٨، ٤٩، ٥٧، ٥٩.
- (٣٤) العهد: ٢٣.
- (٣٥) العهد: ٢٦.
- (٣٦) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٢.
- (٣٧) المصدر نفسه: ٢٢.
- (٣٨) ينظر العهد: ١٤، ١٥، ٢٦، ٢٨، ٣١، ٣١، ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٩.
- (٣٩) العهد: ١٤.
- (٤٠) العهد: ١٥.
- (٤١) العهد: ١٦.
- (٤٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:
- (١) ينظر: قضايا المتكلم في اللغة والخطاب: ٧٣.
- (٢) ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية: ١٥٥.
- (٣) ينظر: العنوان في التراث النقدي: ١٢٣.
- (٤) السيميوطيقا والعنونة: ١٠٥.
- (٥) ينظر: في نظرية العنوان: ٤٠.
- (٦) ينظر: عتبات النص الادبي: ٢٣.
- (٧) ينظر: في نظرية العنوان: ١١٢.
- (٨) ينظر: العنوان في التراث النقدي: ٢.
- (٩) العهد: ١٤.
- (١٠) ينظر: في نظرية العنوان: ٥٤.
- (١١) المصدر نفسه: ٦.
- (١٢) ينظر: العنوان في التراث النقدي: ١٢٢.
- (١٣) ينظر: العين (عهد) ١: ١٠٢.
- (١٤) ينظر: المفردات (عهد): ٣٦٤.
- (١٥) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، (عهد): ٨، ٣٠٠.
- (١٦) ينظر: الاستهلال فن البدايات: ٣١.
- (١٧) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٦ - ١٥.
- (١٨) اللغة والمعنى والسياق (جون لاينز): ٢٤٣ - ٢٤.
- (١٩) ينظر: أفعال الكلام في نهج البلاغة: ١٦.
- (٢٠) ينظر: المقاربة التداولية: ٤١.
- (٢١) استراتيجيات الخطاب (الشهري): ٨١.
- (٢٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب (الشهري):



-م. د. حميد يوسف إبراهيم / م. حكيم موحد عواد
- ٢٥
- (٤٣) العهد: ١٤.
- (٤٤) بحسب النسخة المعتمدة في الدراسة.
- (٤٥) العهد: ٤٦-٤٧.
- (٤٦) التداولية عند العلماء العرب: ٣٠.
- (٤٧) الأفعال الكلامية في سورة الكهف: ٤٩.
- (٤٨) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ٣٠.
- (٤٩) المصدر نفسه: ٣٠-٣١.
- (٥٠) التداولية (جوج يول): ٥١.
- (٥١) اللسانيات العامة (نعمان بوقرة): ١٩٥.
- (٥٢) ينظر: تحليل الخطاب: ٧٦-٧٧.
- (٥٣) اللسانيات العامة (نعمان بوقرة): ١٩٦.
- (٥٤) التداولية عند العلماء العرب: ٣٢.
- (٥٥) لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب: ١٢٤.
- (٥٦) التحليل التداولي للخطاب السياسي: ٣٢.
- (٥٧) التداولية عند العلماء العرب: ٣٢.
- (٥٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢.
- (٥٩) العهد: ١٤.
- (٦٠) العهد: ١٥.
- (٦١) العهد: ٢٦.
- (٦٢) العهد: ٣٥.
- (٦٣) نظرية المعنى في فلسفة بول كرايس: ٧٨.
- (٦٤) المحاوره مقارنة تداولية: ١٥١.
- (٦٥) التداولية (جورج يول): ٥١.
- (٦٦) استراتيجيات الخطاب (الشهري): ٩٦.
- (٦٧) المصدر نفسه: ٩٦.
- (٦٨) ينظر: استراتيجيات الخطاب (الشهري):
- ٩٦، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:
- ٣٥، ونظرية المعنى في فلسفة بول كرايس: ٨٦،
- والتداولية اليوم: ٥٥. التداولية (جورج يول):
- ٦٧.
- (٦٩) التداولية (يول) ٣٤، و٦٧.
- (٧٠) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:
- ٣٥.
- (٧١) المصدر نفسه: ٣٥.
- (٧٢) القاموس الموسوعي للتداولية: ٢١١، آفاق
- جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٥.
- (٧٣) العهد: ٢٢.
- (٧٤) العهد: ٣٣.
- (٧٥) التداولية عند العلماء العرب: ١٠.
- (٧٦) تداولية الخطاب المسرحي: ٥٩١.
- (٧٧) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:
- ٣٨.
- (٧٨) التداولية عند العلماء العرب: ٤٩،
- والتداولية (يول): ٨٢.
- (٧٩) التداولية عند العلماء العرب: ٤٩.
- (٨٠) الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب
- وتحليل الخطاب: ٥١.
- (٨١) نظرية الحدث الكلامي (مجلة الأثر): ٥٦.
- (٨٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي
- المعاصر: ٥١، والتداولية (يول): ٨٩، والتداولية
- من أوستن الى كوفمان: ٦٦.
- (٨٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي



- البعد التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) ممالك الأشرار (عليه السلام)
 المعاصر: ٧٨ والتداولية من أوستن الى كوفمان والتحقيق في كلمات القرآن الكريم (نصب):
 ٦٦. ١٢ / ١٤٣.
 (٨٤) التداولية من أوستن الى كوفمان ٦٦. (١٠١) أوضح المسالك: ٤ / ٧٥، وشرح ابن
 (٨٥) العهد: ٢٠. عقيل ٣ / ٣٠٠.
 (٨٦) في النحو العربي، نقد وتوجيه: ٢٣٤. (١٠٢) العهد: ١٨.
 (٨٧) العهد: ٢٠. (١٠٣) العهد: ٥٧.
 (٨٨) العهد: ٦٠. (١٠٤) العهد: ٥٨ - ٥٩.
 (٨٩) العقل واللغة والمجتمع (جون سيرل): (١٠٥) العهد: ١٩.
 ٢١٨. (١٠٦) العهد: ١٦.
 (٩٠) التداولية من أوستن الى كوفمان: ٦٦. (١٠٧) أوضح المسالك: ٤ / ٧٩، وشرح ابن
 (٩١) ينظر: في البلاغة العربية، علم المعاني، عقيل ٣ / ٣٠١.
 البيان، البديع: ٧١. (١٠٨) العهد: ٤٤.
 (٩٢) العهد: ١٦. (١٠٩) العهد: ٥٤.
 (٩٣) ينظر: لسان العرب: ٤ / ٤١٠. (١١٠) العهد: ٥٤.
 (٩٤) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٦ / ٩٠. (١١١) العهد: ٣١.
 (٩٥) العهد: ١٩. (١١٢) التداولية من أوستن الى كوفمان: ٦٦.
 (٩٦) ينظر: لسان العرب (نصف): ٩ / ٣٣٠. (١١٣) العهد: ١٤.
 (٩٧) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١٢ / ١٦١. (١١٤) العهد: ٢٥.
 (٩٨) ينظر: في البلاغة العربية، علم المعاني، (١١٥) التداولية من أوستن إلى كوفمان: ٦٦.
 البيان، البديع: ٧٩. (١١٦) ينظر: التداولية من أوستن الى كوفمان
 ٦٦. (٩٩) العهد: ١٧. (١١٧) التداولية من أوستن الى كوفمان: ٦٦.
 (١٠٠) ينظر: لسان العرب (نصب): ١ / ٧٥٨، (١١٨) العهد: ١٤.



المصادر

نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، ط ١، ١٣٨٥ هـ. ش.

٨. التحليل التداولي للخطاب السياسي: ذهبية حمو الحاج، منشورات مختبر تحليل الخطاب جامعة تيزي وزو، دار الأمل العدد الأول، ٢٠٠٦ م.

٩. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية: عمر بلخير، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٣ م.

١٠. التداولية: جورج يول، ترجمة قصي العتاي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

١١. تداولية الخطاب المسرحي، مسرحية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم أنموذجا: فطومة لحماي، المنتقى الدول الخامس، السيمياء والنص الادبي ن جامعة تبسة.

١٢. التداولية اليوم، علم جديد في التواصل: آن روبول وجاك ماشلار، ترجمة يوسف دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتزني، دار الطليعة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٣ م.

١٣. التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م.

١٤. التداولية من أوستن الى كوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، ط ١، ٢٠٠٧ م.

القرآن الكريم.

١. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط ١، ٢٠٠٢ م.

٢. الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب: علي عزت، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦ م.

٣. استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٤ م.

٤. الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي: ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٣ م.

٥. أفعال الكلام في نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام)، دراسة تداولية: أحلام صولح، رسالة ماجستير، عز الدين صحراوي، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ٢٠١٣ م.

٦. الأفعال الكلامية في سورة الكهف، دراسة تداولية: آمنة لعور، رسالة ماجستير، بإشراف: د. زهيرة قروي، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ٢٠١١ م.

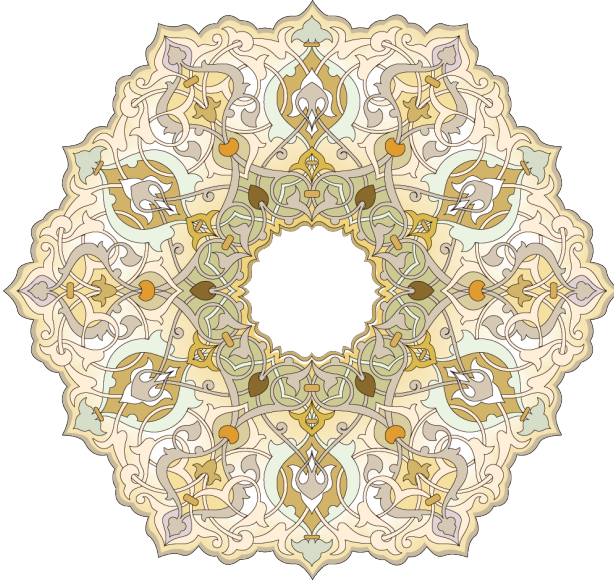
٧. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، يبحث عن الأصل الواحد في كل كلمة وتطوره وتطبيقه على مختلف موارد الاستعمال في كلمات الله تعالى: المحقق المفسر العلامة حسن المصطفوي، مركز





١٥. دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي: د. أحمد المتوكل، دار الثقافة البيضاء، ط١، ١٩٨٩م.
١٦. السيميوطيقا والعنونة: جميل لحمداوي، منشورات عالم الفكر الكويت، م٣، ع٢٥، ١٩٩٧م.
١٧. عتبات النص الأدبي: عبد الفتاح الجحمري، شركة الرابطة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦م.
١٨. العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي: جون سيرل، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر ط١، ٢٠٠٦م.
١٩. العنوان في التراث النقدي: حليلة السعدية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة وهران، ٢٠٠٨م.
٢٠. العهد، عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله)، مؤسسة الرياضي للطباعة العامة.
٢١. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد، بغداد.
٢٢. في البلاغة العربية، علم المعاني، البيان البديع: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، د. ت.
٢٣. في النحو العربي، نقد وتوجيه: مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦.
٢٤. في نظرية العنوان: د. خالد حسين حسين، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٧م.
٢٥. القاموس الموسوعي للتداولية: أن ريبول، جاك ماشلار، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.
٢٦. قضايا المتكلم في اللغة والخطاب: أعمال الندوة جامعة القيروان، كلية الآداب، مارس، ٢٠٠٤م.
٢٧. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، د. ت.
٢٨. لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، ذهبية هو الحاج، دار الأمل الجزائر، ط١، ٢٠٠٥م.
٢٩. اللسانيات العامة، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، عمان، ط١، ٢٠٠٩م.
٣٠. اللغة والمعنى والسياق: جون لاينز، ترجمة عباس صادق عبد الوهاب، مراجعة د. يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧م.
٣١. مفردات ألفاظ القرآن: العلامة الراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٢. المقاربة التداولية: فرانسواز أرمينكو، ترجمة سعيد علوش، دار الإنشاء القومي، الرباط، المغرب، ط١، ١٩٨٦.

٣٣. نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل: د. العيد جلوي، (مجلة الأثر)، أشغال
٣٥. نهج البلاغة، المختار من كلام أمير المؤمنين
الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب: جامعة
الميلاني، مطبعة التعارف، العتبة العلوية المقدسة،
قاصدي مباح، الجزائر.
٣٤. نظرية المعنى في فلسفة بول كرايس: صلاح
ط٣، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
اسماعيل، الدار المصرية السعودية، القاهرة، ط١،



قال أمير المؤمنين (عليه السلام)

مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللَّهِ

سَاخِطًا وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ

أَصْبَحَ يَشْكُرُ رَبَّهُ وَمَنْ أَتَى غَنِيًّا فَتَوَاضَعَ لَهُ لَغِنَاهُ

ذَهَبَ ثَلَاثًا دِينَهُ وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ

فَهُوَ مَمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَمَنْ لَهَجَ قَلْبُهُ

بِحُبِّ الدُّنْيَا التَّاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثِ هَمٍّ لَا يُعْبَهُ

وَحِرْصٍ لَا يَتْرُكُهُ وَأَمَلٍ لَا يَدْرِكُهُ

أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام)
في تأصيل قواعد علوم القرآن
دراسة في نهج البلاغة

The role of prince of true believers in rules
of Quran science
Study in Nahj AL Balaghah

أ. م. د. كاظم حسن جاسم الفتلاوي
الكلية التربوية المفتوحة / كربلاء
م. م. حيدر رمضان الاسدي
المديرية العامة لتربية كربلاء

Dr. Kazim Hassan AL-Fatalawi, Associate professor
Open education collage/Karabala.
Teaching assistant. Haydar Ramadan AL-asadi,
Karbala Directorate- General of education.

ملخص البحث

يُجمع من روى أنّ الأعمَل والأَعْمَل والأَفْقَه بكتاب الله تعالى وعلومه، بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، هو أمير المؤمنين علي (عليه السلام) «أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب» حتى تعددت قوالب النقل في الأخبار والروايات، عن طريق أصحابه ومعاصريه، وكل من سمع عنه، وهذا هو الملاحظ والمتبع في الآثار والمجموعات الروائية والتفسيرية.

وواحد من تلك الآثار والمجموعات كتاب نهج البلاغة، الذي جمعه ونظمه ورتبه السيد الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) في عده أقسام وأنواع اشتملت على الخطب والرسائل والحكم التعليمية، التي صدرت عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في سنوات حكومته وبأسلوب بلاغي.

وقد اشتمل إلى جانب الأسلوب البلاغي في القسم الأول منه (الخطب) على أهم قواعد علوم القرآن مثل: أنواع علوم القرآن، وفضائل القرآن، وتعلّم وتعليم علوم القرآن، وآداب التلاوة، والتفسير والتأويل، وخصائص اللغة، والمحكم والمتشابه، وصيانة القرآن من التحريف، وغيرها من أنواع قواعد علوم القرآن التي وصلت إلينا وبطريقة ابتكارية، عمل الباحثون على تدوينها في أبواب علوم القرآن وانتهوا إلى أنّ الإمام علي (عليه السلام) هو الرائد الأول في تأصيل تلك القواعد وتصنيفها، استناداً إلى ما روي عنه (عليه السلام) من آثار في أغلب المجموعات التفسيرية والروائية، تضمنت ستين نوعاً من أنواع قواعد علوم القرآن تحت أربعمئة آية من آيات الكتاب العزيز.



Abstract

By unanimously the narrators that the most knowing, working and understanding for the book of Allah and its sciences after the prophet of Allah is prince of true believers Ali (peace be upon him), as prophet of Allah told «the most knowing from my nation after me is Ali Ibn Abi Talib» until the templates of conveyance had been varied in narratives and news through his companions and his contemporaries and everyone who heard about him and this is the noticeable and followed in tracks and narrative and explanatory groups. And one of that tracks and groups is Nahj Al Balaghah. Book which is gathered and organized and arranged by Sir AL Sharif AL Razi (he died at ٤٠٦ Hijri) in several parts and kinds involved on speeches, covenants and educational wisdom which are made by prince of true believers during years of his government with rhetorical method. And it involved beside the rhetorical method in the first section of it (the speeches) on the most important rules of Quran science as : the types of Quran science, the Quran virtues, leaning and teaching Quran science, ethics of reciting Quran, explaining , interpret tation and the language characteristics, arbitrator and the comparable, maintenance of the Quran from distortion and other kinds of Quran science which arrived to us by innovative way the researchers worked to record it in the sections of Quran science and they considered that Imam Ali (peace be upon him) us the first leader in mainstreaming that rules and classified them according to what had been narrated from him from tracks in the most of explanatory and narrative groups included sixty kinds of Quran science rules and under four hundred verses from the holy book.



أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....

الكتاب الشريف حين قال: «سلوني

المقدمة

عن كتاب الله وبيان معرفته بزمان
نزول كل آية منه ومكانها، وشهادته
على نفسه بأنَّ رسول الله (ﷺ) هو
الذي أقرأه إِيَّاهُ، وأَنَّه علَّمه التأويل
والتنزيل، وأَنَّه وأهل بيته المقصودون
بقوله تعالى: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي
الْعِلْمِ﴾.

واشتمل نهج البلاغة على تقسيم
قواعد علوم القرآن وبيان فضائله،
والحث على تعلّمه وتعليمه وحفظه
وآداب تلاوته، ومناهج تفسيره،
واختيار أمير المؤمنين (عليه السلام) للمنهج
الأمثل منها وهو تفسير القرآن
بالقرآن نفسه، وعلم المحكم
والمتشابه، والنهي عن تحريفه.

وقد اقتضت طبيعة البحث
تقسيمه على مدخل وأربعة، مباحث
وقد تناول الباحث في المدخل:
الدلائل على علم أمير المؤمنين (عليه السلام)
بكتاب الله، وأمّا المبحث الأول فقد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة
والسلام على أشرف الأنبياء
والمرسلين وخاتمهم وخير الأنام
وسيدهم محمد بن عبد الله وأهل بيته
الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فإنِّي وجدت خير الكلام بعد
القرآن الكريم والحديث النبوي
الشريف هو كلام أمير المؤمنين
وسيد الوصيين ووزير محمد من
أهله، علي بن أبي طالب (عليه السلام)
فقفّيت آثاراً جمعها الشريف الرضي
لجده أمير المؤمنين (عليه السلام)، واخترت
منها نصوصاً تخص علوم القرآن
فاستخرجتها وناقشتها وعرضتها
على مؤلفات علوم القرآن، بعد أن
نضج هذا العلم واستقر واستوى
على سوقه، بدءاً من تصريح أمير
المؤمنين بمعرفته التفصيلية بهذا



الطبعة الثالثة - العدد السادس - ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م

.....م. د. كاظم حسن جاسم الفتلاوي / م. م. حيدر رمضان الأسدي
 خُصِّصَ لبيان قواعد علوم القرآن الكريم وخصائصه وقد توزع على ثلاثة مطالب.

والمبحث الثاني أسميته بفضائل القرآن، وقد توزع على ثلاثة مطالب أيضاً. وأمَّا المبحث الثالث فكان بعنوان تفسير القرآن وتبينه وتأويله، وهو الآخر تضمن على ثلاثة مطالب. أما المبحث الأخير وهو الرابع فكان بعنوان علوم القرآن وخصائصه في نهج البلاغة، وقد اشتمل على مطالب ثلاثة. ثم الخاتمة.

مدخل:

الدلائل على علم أمير المؤمنين (عليه السلام) بكتاب الله وخصائصه

يُعدُّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على حدِّ تعبير رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأعم والأعمل والأفقه في معرفة الكتاب العزيز، فقد شهد له رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالعلم، بقوله: «عليٌّ عيبةٌ علمي»،

وقد صرَّح بنفسه (عليه السلام) أيضاً عن معرفة الكتاب العزيز وبيان علومه: «سلوني عن كتاب الله لما ينطوي معرفته على الكتاب من بيان وتفصيل وقراءة وتأويل: فو الله ما نزلت آية في كتاب الله في ليل ولا نهار ولا مسير ولا مقام إلا وقد أقراني إياها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلمني تأويلها»^(١).

لأنه (عليه السلام) المُلَازِم والمُصَاحِب لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وما كان ينزل عليه (صلى الله عليه وآله) فكان الشخص الأوحد، الذي يحظى بهذه الملازمة والصحبة في معرفة ما ينطوي عليه الكتاب العزيز من أنواع العلوم القرآنية: «إِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي مَا فَارَقْتُهُ مُدٌّ صَحْبْتُهُ»^(٢)؛ حتى إن ابن الكواء أعترض أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات





أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
 مرة، بقوله: «فما كان ينزل عليه وأنت غائب؟ فقال (عليه السلام): كَانَ يَحْفَظُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَسَلَّمَ مَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَنَا عَنْهُ غَائِبٌ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْهِ، فَيَقْرُؤُنِيهِ، وَيَقُولُ: يَا عَلِيُّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَعْدَكَ كَذَا وَكَذَا، وَتَأْوِيلُهُ كَذَا وَكَذَا، فَيَعْلَمُنِي تَأْوِيلَهُ وَتَنْزِيلَهُ»^(٤).

لهذا تحدى (عليه السلام) دونه ممن زعموا أنهم يعلمون الكتاب عن جهل ما أخفوه من مضمون أسرارهم ومكنون ضمائرهم، فقال (عليه السلام): «أَيُّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا»^(٥).
 إقدام أمير المؤمنين (عليه السلام) على بيان وإظهار علوم القرآن كعالم بتلك العلوم ومعلم لها، ضمن آثار ومنابع ومصادر أخرى غير نهج البلاغة واضح وبارز خصوصا في المنابع التفسيرية كتفسير النعماني والأشعري، وبعض مقدمات تفاسير



الشيعة والآثار الروائية، أما كتاب نهج البلاغة الذي تضمن جملة من القواعد العامة والمهمة لعلوم القرآن فإنه ما زال إلى الآن لم يحسب من الآثار التفسيرية ولا الروائية في مجال الدراسات العامة لعلوم القرآن عند المعاصرين.

والسبب في ذلك هو طريقة تدوين الرضي للنهج البلاغة، فقد دونه بأسلوب بلاغي، لم يراع فيه أساس الصدور والترتيب التاريخي والموضوعي، كما أن المطالب والمباحث في كتاب نهج البلاغة أيضا لم تصنف، تحت عناوين ومواضيع ومباحث مستقلة كما هو المعروف والمعهود اليوم من تصانيف المعاصرين في مناهجهم ومؤلفاتهم.
 إن كتاب نهج البلاغة الذي يحتوي على مجموعة الخطب والأوامر والكتب والرسائل والحكم والمواعظ التعليمية للإمام علي (عليه السلام)، والذي

صدر على الأغلب في سنوات حكومة الإمام علي (عليه السلام)، وأخذ مكانة كبيرة، تضمن أهم مباحث أنواع علوم القرآن في تلك الخطب والأوامر والكتب والرسائل والحكم والمواعظ، وعمل بشكل كبير وبارز على تأصيل قواعدها التي يصنفها المتأخرون اليوم تحت أبواب أنواع قواعد علوم القرآن.

لهذا جاءت هذه الدراسة، كمحاولة لبيان ذلك الأثر في تأصيل أهم قواعد أنواع علوم القرآن التي وردت في أغلب الخطب والأوامر والكتب والرسائل والحكم والمواعظ، من خلال ما تركه لنا من آثار اتخذت مسمى لها في كتاب نهج البلاغة وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول:

المطلب الأول: قواعد علوم القرآن

في نهج البلاغة

إنّ العلماء في مباحثهم المستقلة

بيّنوا وفصلوا هذه العلوم تحت عنوان: العلوم القرآنية المشتركة مع غيرها من العلوم وهي: العلوم المرتبطة بالقرآن كنص شرعي تؤخذ منه الأحكام التشريعية وقد نشأ عن دراستها من هذه الجهة علم الفقه وعلم أصول الفقه، وهي على ستة قواعد: علم الأحكام الفقهية، علم الناسخ والمنسوخ، علم العام والخاص، علم المطلق والمقيد علم المجمل والمبين، علم المحكم والمتشابه، وهذه العلوم ترتبط بعلم الفقه وأصوله.

وهي واحدة من أهم المسائل الابتكارية في مجال علوم القرآن للإمام علي (عليه السلام) تقسيم قواعد علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي اليوم في الدراسات القرآنية عند المعاصرين، إذ اشتمل التقسيم على ما ورد في سؤال من بعض أصحابه (عليه السلام)؛ فأجاب بجواب يُعدُّ اليوم



أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
 الدلالة المركزية والأساسية لقواعد علوم القرآن. ومن ثم انتقله إلى الرفيق الأعلى يعرف بالمنهج الذي اتخذهُ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وخلفه لأُمَّته كما اتخذ ذلك الأنبياء من قبله.

إذ قسّم (عليه السلام)، في جوابه المشتمل على سؤال السائل قواعد علوم القرآن على ستين نوعاً من أنواع علوم الكتاب العزيز، مع الاستدلال على تلك القواعد بأربعمئة آية من آيات الكتاب، تتضمن كل آية مثلاً لكل قاعدة من أنواع قواعد العلوم القرآنية^(٦).

هذه الرواية من الآثار التي وردت أيضاً في كتب التفسير مثل تفسير النعماني (ت ٣٦٨ هـ) والأشعري^(٧) (ت ٣٢٤ هـ) وتفسير علي ابن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩ هـ) ورسالة المحكم والمتشابه المنسوبة للسيد المرتضى (ت ٤٠٦ هـ).

إن خلاصة وأقسام هذه الرواية وردت في الخطبة الأولى من خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة بعد أن بيّن سبب بعثة الرسول

فالقرآن الكريم هو الكتاب الذي يتضمن قواعد العلوم من التفسير والتبيين والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والحلال والحرام وسائر الفرائض والرخص، وإجلاء الغوامض من خلال آياته الكاشفة لبعضها بعضاً: «كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيَّنَّا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَّهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعَبْرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمَحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسَّرًا مُجْمَلَهُ وَمُبَيَّنًا غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَاخُودِ مِثَاقٍ فِي عِلْمِهِ وَمُوسِعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ فَرُضُهُ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَنِ نَسْخُهُ،

وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرَّخَّصٍ فِي
الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيِّنَ وَاجِبٍ، وَزَائِلٍ
فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايِنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ مِنْ
كَبِيرٍ أَوْ عَدَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ
أَرْصَدَ لَهُ عُفْرَانَهُ. وَبَيَّنَ مَقْبُولٍ فِي
أَذْنَاهُ مُوسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ»^(٨).

في هذه الخطبة يبين أمير المؤمنين
(عليه السلام) تقسيم علوم القرآن وآيات
القرآن الكريم باحدى وثلاثين نوعا
من أنواع علوم القرآن، هذه الأنواع
التي قسمها أمير المؤمنين (عليه السلام)
ذكرها علماء التفسير وعلوم القرآن
ضمن مباحث علوم القرآن بالمعنى
الاصطلاحي في مباحثهم، العلوم
التي اشتملت عليها خطبته (عليه السلام)
تمثلت في: آيات الأحكام، الحلال
والحرام، الواجب والمستحب، المباح
والحرام، الكبير والصغير الناسخ
والمسوخ نسخ القرآن بالسنة خاص
وعام، أمثال القران، المطلق والمقيد،
المحكم والمتشابه، المجمل والمبين.

وقبل هذا يبين الإمام (عليه السلام)
حاجة القرآن بالتفسير والتبيين،
وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
هو أول مفسر ومبين للقرآن وهذه الطريقة ألزم
نفسه بالعمل، بعض من هذه العلوم
جاءت في كتاب نهج البلاغة في
موقع التفصيل كالمحكم والمتشابه،
المجمل والمبين، والتفسير والتأويل،
وخصائص اللغة، مع العلم أن
أمير المؤمنين (عليه السلام) في مكان آخر،
يقسم المتشابه ويذكره لكن بأسلوب
مختصر^(٩).

المطلب الثاني: قواعد العلوم المرتبطة بالقرآن بوصفه مصدرا للتشريع:

على أنه نص عربي وهذه القواعد
تعتبر خادمة للقرآن ويدخل في ذلك
جملة من علوم الآلة؛ كعلم النحو،
وعلم البلاغة، وعلوم الصرف،
وتشمل ستة قواعد: علم معاني
القرآن، علم متشابه القرآن، علم
إعراب القرآن، علم أساليب القرآن،



أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
 علم لغات القرآن، ويشمل ما نزل بغير لغة الحجاز، وما نزل بغير لغة العرب، وهو ما يسمى بالمعرب، علم غريب القرآن^(١٠). وتشمل:
أولاً: خصائص القرآن:

تعد معرفة معان كلمات القرآن وخصائصه أحد المباحث المهمة التي أشتهرت في الدراسات القرآنية وأخذت أهميتها من طبيعة الآيات القرآنية، علماء ومحققوا ومفسروا القرآن الكريم صنّفوا في كثير من مباحثهم ومجموعاتهم تحت عناوين مستقلة في لغات القرآن، غريب القرآن، ووجوه ونظائر القرآن، مبهمات القرآن، مفردات القرآن^(١١).

وقد أفرد السيوطي في الإتقان لكل من خصائص القرآن باباً جعل لكل منها نوعاً من أنواع علوم القرآن: ففي النوع السابع والثلاثين: فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز، والثامن والثلاثون: فيما

تعد معرفة معان كلمات القرآن وخصائصه أحد المباحث المهمة التي أشتهرت في الدراسات القرآنية وأخذت أهميتها من طبيعة الآيات القرآنية، علماء ومحققوا ومفسروا القرآن الكريم صنّفوا في كثير من مباحثهم ومجموعاتهم تحت عناوين مستقلة في لغات القرآن، غريب القرآن، ووجوه ونظائر القرآن، مبهمات القرآن، مفردات القرآن^(١١).
 وقد أفرد السيوطي في الإتقان لكل من خصائص القرآن باباً جعل لكل منها نوعاً من أنواع علوم القرآن: ففي النوع السابع والثلاثين: فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز، والثامن والثلاثون: فيما

ويبين الإمام علي (عليه السلام) في موارد متعددة خصائص القرآن الكريم وما اشتملت عليه كلماته من معان، ففي رسالته إلى عامله في مكة قثم بن عباس يبين الإمام (عليه السلام) مفردات الآية القرآنية لعامله عندما يستدل له بها على حكم السكن في مكة: «أَمْرُ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ لَا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِ أَجْرًا، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ فَالْعَاكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ، وَالْبَادِي الَّذِي يَحْجُجُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ»^(١٢).

كما يبين أيضاً معاني (العدل) و(الإحسان) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ قَالَ

.....م. د. كاظم حسن جاسم الفتلاوي / م. م. حيدر رمضان الأسدي

﴿الْبَيِّنَاتِ﴾

﴿الْبَيِّنَاتِ﴾: الْعَدْلُ الْإِنْصَافُ وَالْإِحْسَانُ

الْتَفَضُّلُ﴿^(١٤)﴾، كذلك أيضا يذكر

لسائله، عندما سُئِلَ عن قوله تعالى

فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً؟ فقال: هي

القناعة. كما يُبَيِّنُ له معنى قوله

تعالى: ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ أي فتق

الْأَجْوَاءَ﴿^(١٥)﴾.

أما الوجوه والنظائر فأشير المؤمنين

﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ يَنْبَهُ عبد الله بن العباس (ت

٦٨ هـ) لما بعثه للاحتجاج على

الخوارج في أن القرآن الكريم فيه

وجوه فإذا ناظرت فناظر في السنة

«لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ

حَمَّالٌ ذُو وُجُوهِ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ،

وَلَكِنْ حَاجَّهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ

يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا»﴿^(١٦)﴾.

ثانياً: حفظ القرآن من التحريف

اللفظي

القرآن الكريم وصيانتته من

التحريف اللفظي واحدة من

أكثر المباحث القرآنية التي يقف

عليها الكثير بالبحث والتحقيق في

الدراسات القرآنية، خصوصاً عند

المعاصرين حتى صنفوا فيها آثاراً،

ومجموعات كثيرة تحت عناوين

متعددة منها: معنى التحريف، أنواع

التحريف، التحريف بالزيادة أم

بالنقص، لفظي ام معنوي.

ويعد السيد الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)

من أفضل المحققين في هذا

المبحث، إذ أفرد مبحثاً خاصاً في كتابه

البيان في تفسير القرآن، تحت عنوان

صيانة القرآن من التحريف﴿^(١٧)﴾ جمع

فيه أغلب روايات الفريقين وبين

ما المراد من التحريف، وعند من

يكون القول به، حتى كفى ممن جاء

بعده مؤنه الخوض فيه على حد

تعبير الدكتور الصغير﴿^(١٨)﴾.

ذكر الإمام علي (عليه السلام) في نهج

البلاغة مسألة تحريف الكتاب العزيز

بمعنى نقل الشيء عن موضعه



أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
 وتحويله إلى غيره في مواضع متعدد
 من خطبه، منها: شكايته لله مما
 وصل إليه من تحريف مواضع الحق
 وتحويلها إلى غير أهلها «إِلَى اللَّهِ أَشْكُو
 مِنْ مَعْشَرٍ... لَيْسَ فِيهِمْ سَلْعَةٌ أَبْوَرَ
 مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِذَا تُبِي حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا
 سَلْعَةٌ أَنْفَقَ بَيْعًا، وَلَا أَعْلَى ثَمَنًا، مِنْهُ
 إِذَا حُرِّفَ عَنِ مَوَاضِعِهِ»^(١٩).

أما سلامة القرآن بمعنى عدم
 وقوع التحريف فيه من حيث
 الزيادة والنقصان سواء اكان في كلماته
 أم حروفه، فالإمام (عليه السلام) يصرح في
 كثير من خطبة على صيانة الكتاب
 العزيز وعدم تحريفه.

فخطبه وكلامه يؤيد أن صحة
 الكتاب العزيز وعدم وقوع
 التحريف فيه، من خلال ما يقدمه
 الإمام (عليه السلام) في خطبة بالتأكيد على
 لزوم القران هذا القرآن وَاَعْلَمُوا أَنَّ
 هَذَا الْقُرْآنَ^(٢١).

كما يذكر أيضا «وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
 لَمْ يَعْظُ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ
 حَبْلُ اللَّهِ الْمُتَيْنِ، وَسَبَبُهُ الْأَمِينِ، وَفِيهِ
 رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ»^(٢٢).

كما أشار أيضا في مورد آخر
 من خطبه إلى توصيف أهل زمان
 من الأزمنة، كيف سيعملون أيضا
 على تحريف الآيات القرآنية بمعنى
 نقلها من صاحبها وتحويلها الى غيره
 «سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ...
 وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سَلْعَةٌ
 أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ وَلَا أَعْلَى ثَمَنًا مِنْهُ
 إِذَا حُرِّفَ عَنِ مَوَاضِعِهِ»، كما يشير
 في خطبه له (عليه السلام) عن ما يجري
 عليه عندما يحدثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
 «كَيْفَ تَصْبِرُ؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّ
 الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي، وَيَفْتَخِرُونَ

ويبين أيضا: «أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ.. مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ»^(٢٣). كما يبين أيضا محتوى صيانتة «هُوَ الْفَضْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلُ، هُوَ النَّاطِقُ بِالْعَدْلِ، وَالْأَمْرُ بِالْفَضْلِ»^(٢٤)، بل يؤكد على ما هو عليه اليوم بين الدفتين «وَهَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ»^(٢٥).

المبحث الثاني:

فضائل القرآن الكريم^(٢٦)

المطلب الأول: الفضائل الخاصة

أو الذاتية:

ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) في مورد بيان فضائل وصفات الكتاب العزيز في عدة خطب، اشتملت على جملة من الفضائل والخصائص والصفات التي يتمتع بها الكتاب العزيز من حيث عدة اعتبارات بينها (عليه السلام). فمن حيث الحكم والفصل، فالقرآن الكريم الأمر والناهي،

ومن حيث الكلمات والحروف والأصوات، فالقرآن صامت وساكن، ومن حيث الذكر، فالقرآن يتضمن الإخبار، ومن حيث الحجة فهو حجة الله على خلقه لأنه المعجزة الأصلية، التي أخذ سبحانه على الخلائق ميثاقه وارتهن عليه أنفسهم لما كان سبحانه قد قرر في عقول المكلفين أدلة التوحيد والعدل، ومن جملة مسائل العدل، النبوة، ويثبت نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) عقلاً كأن سبحانه بذلك كالآخذ ميثاق المكلفين بتصديق دعوته وقبول القرآن الذي جاء وجعل به أنفسهم رهنا على الوفاء بذلك فمن خالف خسر نفسه وهلك هلاك الأبد^(٢٧). «فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ حُجَّةٌ أَلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ وَارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ أَتَمَّ نُورَهُ وَأَكْرَمَ بِهِ دِينَهُ، وَقَوْلُهُ فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، حَدَّ اللَّهُ فِيهِ



أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
 الْحُدُودَ، وَسَنَّ فِيهِ السُّنَنَ، وَضَرَبَ فِيهِ الْأَمْثَالَ، وَشَرَعَ فِيهِ الدِّينَ» (٢٨).
 كما ذكر (عليه السلام) صفات أخرى في موضع آخر يبين فيه كتابه الكتاب العزيز وسطوع نوره في إزاحة الشبهات لما فيه من البيان لمن يحتاج به «وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْتُورِ، وَالْكِتَابِ الْمُسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ وَاحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ، وَمُخَوِّفًا بِالْمَثَلَاتِ» (٢٩).

وفي مورد الاستشهاد بإتقان الكتاب العزيز وكماله وعدم اختلافه وصفاته يبين الإمام علي (عليه السلام) قول الله تعالى «وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وَفِيهِ تَبَيَانٌ كُلُّ تَبَيَانٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَيْقُنُ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ» (٣١).

كذلك أيضا في بيان ما احتوى القرآن من صفات تبين شمولية الكتاب العزيز لإخبار الماضين واللاحقين والحاضرين «فِي الْقُرْآنِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ» (٣٢).

إن فضائل القرآن الكريم وعدم فناء غرائبه ونقصان عجائبه وما يحتويه من البركة في الاستفتاح وتكشف الكربات والظلمات فيه أيضا من أهم ما بينه الإمام علي (عليه السلام) في فضائله «لَا تَنْفَى عَرَائِيَهُ وَلَا تَنْقِضِي عَجَائِبُهُ فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ وَمَصَابِيحُ الظُّلْمِ لَا تَفْتَحُ الْخَيْرَاتُ

يُبين أمير المؤمنين (عليه السلام) في موارد أخرى من خطبة له في فضائل الكتاب العزيز، ضرورة ولزوم التمسك به لما يتمتع به من متانة وقوه وبيان ومنفعة، ونجاة وعصمة من الزلل، والوقوع في الفتن «وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرِّيُّ النَّافِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمَتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ، لَا يَعْجُجُ فَيَقَامُ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ، وَوُلُوجُ السَّمْعِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ» (٣٣).

لأن التمسك بالكتاب العزيز، من بيان ما يحتويه من موعظة ومصاحبة واستقامة، هو من أهم ما يجب على الإنسان أن يلازمه في الحياة «انْتَفِعُوا بَيَانَ اللَّهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ إِلَيْكُمْ بِالْجَلْبَةِ، وَأَخَذَ عَلَيْكُمْ الْحِجَّةَ وَبَيَّنَّ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنْ

الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِه مِنْهَا لِيَتَّبِعُوا هَذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ... وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ، إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدَى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمَى، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنَى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَابِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنَّفَاقُ وَالْغِي وَالضَّلَالُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَعَ فِيهِ وَمَنْ حَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَّقَ عَلَيْهِ» (٣٤).

ومثل ذلك أيضاً في بيان فضائل



أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة..... (عليه السلام)

القرآن وخصوصياته من حيث الانتفاع بالأخذ منه يقول (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا

بَيِّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَأَصْدِفُوا عَن سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا» (٣٥).

المطلب الثاني:

فضائل تعلم القرآن الكريم وتعليمه

تعلم وتعليم القرآن من القواعد المهمة، في علوم القرآن لما تحتوى على ضرورات الحفاظ على الكتاب العزيز، «أَلَّا يَنْقَطِعَ عَدَدُ التَّوَاتُرِ فِيهِ فَلَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ التَّبْدِيلُ وَالتَّحْرِيفُ» (٣٦)؛ لهذا أفرد كثير من العلماء في أبواب علوم القرآن عناوين في مسائل تعلم القرآن، وتعليمه استناداً لقوله (عليه السلام): «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (٣٧) منهم الزرقاني في البرهان أفرد له باباً تحت عنوان: فصل في تعلم القرآن (٣٨)، كذلك أفرد أيضا

ذكر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قواعد تعلم وتعليم القرآن تحت عنوان أهم المسائل التي كان يدعوا الأمة فيها للضرورة التصديق والإيمان بالله وبرسوله، ومن ثم الجهاد في سبيل الله وبيان سائر الأفعال العبادية، ودعا إلى تعلم القرآن الكريم وتعليمه لما فيه من الحجج والإفاقة من الجهل فقال (عليه السلام): «وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَالْحُسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ» (٤٠).

القرآن الكريم: «وَأَنْ أبتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله وشرائع الإسلام وأحكامه وحلاله وحرامه لا أجاوز ذلك بك إلى غيره»^(٤٣).

لهذا فإن المتبع لسيرة العلماء القدماء والمحدثين في أبواب حفظ القرآن وتعليمه يجد أن أغلب العلماء؛ بل إجماعهم على ما أصله الإمام علي (عليه السلام) في ضرورة تعلم القرآن وتعليمه كأهم القواعد الأولية لمعرفة علوم الكتاب العزيز والاشتغال فيه من

دون الإشارة من هؤلاء العلماء إلى مبتكر ومؤصل فكره ضرورة تعلم القرآن بما لها من أهمية قبل تعلم العلوم الأخرى من هؤلاء العلماء الذين نقلوا تأصيل هذه القاعدة في الفكر: الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)،

والحافظ النووي (ت ٦٧٧ هـ) وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)؛ إذ أفردوا لهذه القاعدة باباً خاصاً تحت عنوان ذكر ما يجب تقديم

كما أكد أيضاً في جملة من وصاياه على ضرورة العمل في أيام المهل من أداء الحقوق والواجبات وأهمية تعلم القرآن الكريم والعمل به؛ فقال «ألا وإنكم في أيام مهل من ورائه أجل... عباد الله أفزعوا إلى قوام دينكم بإقامة الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة حينها، والتضرع والخشوع، وصلوة الرحم، وخوف المعاد، وإعطاء السائل وإكرام الضعيفة، وتعلم القرآن والعمل به»^(٤١).

وفي بيان فقه الحقوق بين الوالد وولده؛ فإن الإمام (عليه السلام) يجعل أهمية تعلم القرآن الكريم من الحقوق التي تقع على والد المولود «وَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ وَيُحَسِّنَ آدَبَهُ وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ»^(٤٢).

يبيّن الإمام علي (عليه السلام) أيضاً في مسألة تعلم القرآن وتعليمه في خطبة له أن أهمية التعليم والتعلم وضرورة فهم ماذا وكيف تعلم الأبناء من





أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
 حفظه على الحديث^(٤٤)، فأجمعوا على أن السلف لا يُعلّمون الحديث والفقهاء إلا لمن حفظ القرآن^(٤٥)، وعللوا ذلك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل^(٤٦).

يقول الحافظ النووي: وأول ما يتدبّر به حفظ القرآن العزيز فهو أهم العلوم، وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقهاء إلا لمن حفظ القرآن، وإذا حفظه فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقهاء وغيرهما اشتغالا يؤدي إلى نسيان شيء منه أو تعريضه للنسيان، وبعد حفظ القرآن يحفظ من كل فن مختصراً، ويبدأ بالأهم ومن أهمها الفقه والنحو ثم الحديث والأصول ثم الباقي على ما تيسر^(٤٧)، وذكر الخطيب البغدادي أيضاً تحت باب ذكر ما يجب تقديم حفظه على الحديث^(٤٨)؛ حيث

المطلب الثالث:

آداب تلاوة القرآن الكريم

آداب تلاوة الكتاب العزيز أحد المباحث والقواعد الخاصة في علوم القرآن، العلماء أدرجوا مباحث آداب وتلاوة القرآن ضمن قوالب الآثار الاختصاصية في مجموعات علوم القرآن التخصصية، فبدر الدين الزركشي في البرهان جعله من النوع

التاسع والعشرين من أنواع علوم القرآن تحت باب في آداب تلاوته وكيفيتها^(٥٠)، كما أن السيوطي في الإتقان جعل مبحث آداب وتلاوة القرآن من النُّوعِ الخَامِسُ وَالثَّلَاثِينَ من أنواع علوم القرآن تحت باب في آدابِ تِلَاوَتِهِ وَتَالِيِهِ، وأكد أنَّ جَمَاعَةً من العلماء ممن سبقه قد أفرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ مِنْهُمُ النَّوَوِيُّ فِي التَّبْيَانِ^(٥١).

ذكر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) أنَّ المراد من مبحث أدب تلاوة الكتاب العزيز هو: حسن ترتيله وتلاوته استناداً لقوله تعالى لنيبه (ﷺ): ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾^(٥٢)، كما أن كمال الترتيل هو: تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه والإفصاح لجميعه بالتدبر حتى يصل بكلِّ ما بعده، وأن يسكت بين النفس والنفس حتى يرجع إليه نفسه، وألا يدغم حرفاً في حرف؛ لأنَّ أقلَّ

ما في ذلك أن يسقط من حسناته بعضها^(٥٣).

أصل أمير المؤمنين (عليه السلام) قواعد التلاوة وأدبها في قراءة الكتاب العزيز، وأعطى لها عناية في خطبه (عليه السلام) لما ينطوي على الكتاب من معانٍ كثيرةٍ لوراعى القارئ فيها حسن التلاوة «وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ، وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»^(٥٤)، وكذلك تحدَّث عن

قراءة القرآن وأدبه، وواجب ما يجب قراءته والتهجد به من حسن تلاوته في الليل والنهار «وَعَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، وَلُزُومِ فَرَائِضِهِ وَشَرَائِعِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَأَمْرِهِ وَمَنْهِيهِ، وَالتَّهَجُّدِ بِهِ، وَتِلَاوَتِهِ فِي لَيْلِكَ وَمَنَارِكَ، فَإِنَّهُ عَهْدٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى خَلْقِهِ، وَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَنْظُرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي عَهْدِهِ وَلَوْ خَمْسِينَ آيَةً. وَاعْلَمْ



أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
 أَنْ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ عَلَى عَدَدِ آيَاتِ الْقُرْآنِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لِقَارِي الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقُ، فَلَا يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّنَ وَالصَّادِقِينَ أَرْفَعَ مِنْهُ دَرَجَةٌ»^(٥٥).

كما أنه (عليه السلام) يحافظ على سريان قاعدة الفهم في أدب التلاوة عندما

ينعى جملة من أصحابه ممن فهموا ما أراده (عليه السلام) من مفهوم إدارة وأدب التلاوة بإحكام تام وصحة ودقة «أَيُّنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ»^(٥٧) وإليهم يشير في موضع آخر من مواضع التوصيف «أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا، وترابها فراشا، وماءها طيبا، والقرآن شعارا» وعليهم يتألم الإمام علي ممن مضى منهم ممن تربي على مفهومه، واستوعب دقة طرحه وصحة اعتقاده إلى درجه أن يضرب على لحيته ويطيل البكاء «أَوْهَ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ»^(٥٨).

إن مفهوم الدقة والصحة

وعندما يقدم الإمام علي (عليه السلام) قاعدة من قواعد علوم القرآن وفهمه، يقدم إلى جانبها تطبيقاً لها فهو في خطبه يشير إلى أدب تلاوة الكتاب العزيز، وفي خطبة المتقين يشير بوضوح كبير إلى مورد التطبيق في حسن التلاوة وكيفية التدبر عندما تكون على أحسن الوجوه «أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُونَهُ تَرْتِيلاً، يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَشِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ،... فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نَضْبٌ أَعْيَبُهُمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ،

والإحكام في قراءة القرآن الكريم بالمعنى الذي يصطلح عليه اليوم أغلب المفسرين بالتدبر والتفكير فيما يقرأ من القرآن من آيات هو الآخر مورد اهتمام كبير للإمام علي (عليه السلام) في خطبه لما ينطوي على الدقة والصحة في التلاوة من إبراز الوجه الحقيقي للآيات القرآنية؛ بل ولإظهار الحق فيها على حدّ تعبير الإمام الصادق (عليه السلام) «لو قد قرء القرآن كما أنزل»^(٥٩) لألفيتنا فيه مسمين»^(٦٠).

يبين الإمام علي (عليه السلام) أن أفضل أدب لتلاوة وقراءه القرآن الكريم هو إحكام التلاوة والقراءة والتدبر في الآيات القرآنية «وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَا تَدُبَّرَ فِيهَا»^(٦١)، لهذا يقدم إلى جانب هذه الأدب في تلاوة القرآن الكريم مفهوماً أساسياً من مفاهيم علوم القرآن في معنى التدبر والتفكير، «وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ

آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا»^(٦٢)، للإشارة إلى عدم التدبر فيها بمعنى الدقة والصحة في القراءة، وما يترتب عليها، فنجده أيضاً في موضع آخر من خطبه (عليه السلام) يشكو إلى الله تعالى من جهالة ممن يقرأ القرآن على أساس الكلمات والحروف ليس على أساس الصحة والإحكام والإتقان في القراءة؛ بل إن أدب تلاوة الكتاب عند هؤلاء الذين يشكو الإمام (عليه السلام) منهم متدنية: «إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالًا وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِذَا تُبِلَى حَقَّ تِلَاوَتِهِ»^(٦٣).

كذلك أيضاً يشير الإمام (عليه السلام) إلى المفهوم المتدني في أدب التلاوة بمعنى عدم الصحة والدقة والإحكام، وكيف يتاجرون بكتاب الله إذا تلي حق تلاوته، في مورد آخر من خطبه «إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ... لَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ



أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
سَلْعَةٌ أَبْوَرٌ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُبِلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ» (٦٤).

أئمة في التعليم والتعلم «كَاتَمَهُمْ أئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمامَهُمْ..
لَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ» (٦٧).

المبحث الثالث:

تفسير القرآن الكريم وتبينه وتأويله

تفسير وتبيين القرآن، وحاجة القرآن للتفسير والتبيين والتأويل، وطبيعة التفسير ومنابعه ومصادره وجوازه وعدمه، وفرقه عن التأويل، من المباحث والقواعد المهمة لعلوم القرآن التي اعتنى بها علماء الدراسات القرآنية وصنفوا فيها دراساتهم وأبحاثهم، بين موسع لها في علوم القرآن وبين مقتصر عليها كأصول ومبادئ للتفسير (٦٨)، فالزركشي في البرهان أفرد لها باباً خاصاً من أبواب أنواع علوم القرآن تحت عنوان: في علم التفسير (٦٩)، والسيوطي جعل التفسير والتأويل من النُّوعِ السَّابِعِ وَالسَّبْعُونَ: فِي

يوضح الإمام علي (عليه السلام) تطبيقات قاعدة عدم الإحكام والإتقان عند قراء القرآن وحفظته والآثار المترتبة عليها عندما يوصف حالة قراءة الكتاب العزيز عند أهل ذلك الزمان «فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلْتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظْتُهُ،... فَالْكِتَابُ يَوْمِئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنَفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ، لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ.... فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ، فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ» (٦٥).

في موضع آخر يشير أيضا إلى طبيعة من يقرأ القرآن متوهما أنه له وهو عليه «يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ» (٦٦)، كما أنه يؤكد على طبيعة هؤلاء ممن يدعون أنهم بطريقتهم في إدارة القرآن من حيث التلاوة والإحكام والإتقان



السنة الثامنة - العدد السادس - ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م

مَعْرِفَةَ تَفْسِيرِهِ وَتَأْوِيلِهِ وَبَيَانَ شَرْفِهِ
وَالْحَاجَةَ إِلَيْهِ^(٧٠).

أصل الإمام علي (عليه السلام) قواعد التفسير والتأويل والتبيين في كثير من خطبه، وبين أيضا ضرورة الحاجة إلية كما أكد على طبيعة من له الحق في التفسير والتأويل والأخذ منه وعدم مشروعية ممن يفسر القرآن ويحكم برأيه.

المطلب الأول: الحاجة إلى تفسير

القرآن الكريم

أعلن الإمام علي (عليه السلام) في قضية الخوارج والتحكيم الذي حدثت، واعتراض الخوارج عليه بعدم القبول عن كلمته التي تعتبر القاعدة الأساسية في التفسير والتأويل، بقوله «إِنَّمَا لَمْ نُحَكِّمِ الرَّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ»^(٧١)، للإشارة إلى أنكم كيف تفهمون القرآن وتفسرونه؟ إذا كان الرجال قد حكموا بالقرآن!

ويعطي الإمام (عليه السلام) في كلمته

الأصالة في فهم قواعد التفسير والتأويل على أن طبيعة الكتاب العزيز الذي احتكمتم إليه يحتاج إلى ترجمان يفسره ويبينه «وَهَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ حَظٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ»^(٧٢).

وترجمان هذا القرآن في قواعد التفسير عند الإمام (عليه السلام) بينه في خطبته، ويؤكد على مفهومه من القرآن الكريم نفسه «وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرَّجَالُ»، ويؤكد الإمام علي (عليه السلام) أيضا في نفس الخطبة الشريفة إن منابع فهم قاعدة التفسير والتأويل، إنما هي الكتاب العزيز نفسه وسنه النبي (ﷺ)، فالأول أرجح القاعدة «وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ، لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ





أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
 وَالرَّسُولِ ﴿٧٣﴾. فَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُحْكَمَ
 بِكِتَابِهِ وَإِلَى الثَّانِي: وَرَدَّهُ إِلَى الرَّسُولِ
 أَنْ يُؤْخَذَ بِسُنَّتِهِ. ونتيجة فهمهما
 أيضا: «فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ
 اللَّهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ
 بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ
 بِهِ» (٧٣).

المطلب الثاني: المفسرون الأوائل

للقرآن الكريم

أولاً: المفسر الأول للقرآن الكريم
 رسول الله (ﷺ)

القرآن الكريم ذكر أن وظيفة
 النبي الأكرم (ﷺ) هي بيان ما ينزل
 إليه وتفسيره لعامة الناس ﴿وَأَنْزَلْنَا
 إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ
 إِلَيْهِمْ﴾ (٧٤). وقد أمير المؤمنين (عليه السلام)

هذه الوظيفة القرآنية وبين أساسها
 بوصفها قاعدة مهمة من قواعد
 علوم القرآن، عندما يؤكد (عليه السلام) في
 خطبته على طبيعة تطبيق وتأصيل
 قاعدة فهم التفسير والتأويل

هذا المفهوم «فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا..
 بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ» (٧٦).
 وعلى هذه القاعدة اتفق المفسرون
 أجمع أن الرسول الأكرم (ﷺ) إنما
 هو المفسر الأول للقرآن الكريم،
 ومنه أخذت منابع التفسير والتأويل

والتبيين إلا أنهم اختلفوا بين الأخذ وحجيته لمن هو من بعد رسول الله (ﷺ).

ثانياً: أمير المؤمنين (عليه السلام) أصدق مفسر بعد رسول الله (ﷺ)

يؤصل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة قاعدة التفسير والتأويل والتبيين لمن هم أثبت لهم رسول الله (ﷺ) شرعية التفسير والتأويل والتبيين عبر النص القرآني، فيؤكد على أن النص القرآني عندما كان ينزل كان رسول الله (ﷺ) بينه ويفسره ويعلم تأويله وطريقة قراءته إلى الامتداد الشرعي بعده ممن له القدرة على تبيين النص وتفسيره وتأويله «فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْهُ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، وَلَا مَسِيرٍ وَلَا مَقَامٍ، إِلَّا وَقَدْ أَقْرَأْنَاهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا» (٧٧).

يحرص أمير المؤمنين (عليه السلام) كثيراً في خطبة على تأصيل أن من يعلمه رسول الله (ﷺ) تفسير القرآن وتبينه وتأويله وعنده علم الكتاب هو من يجب أن يرجع إليه في تفسير وتبين وتأويل الكتاب «بِهِمْ نَطَقَ الْكِتَابُ وَبِهِ نَطَقُوا، وَبِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وَبِهِ عُلِمُوا، وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا» (٧٩) لا من يدعي رسوخ العلم والمعرفة في بيان القرآن وتفسيره وتأويله «أَيُّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا وَحَسَدًا لَنَا» (٨٠).

لهذا أشار مفسرو الإمامية إلى أن أعلم الناس بالقرآن بعد رسول الله



أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....

لهذا أيضا يبين إن معرفة الكتاب وما يحتويه إنما هو عند أهله ممن يجبروا به دون غيرهم «وَأَعْلَمُوا أَنْكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِشَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ، وَلَنْ تَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي حَرَّفَهُ... فَلَا يُجْهَلَنَّكُمْ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ لَا يَعْلَمُ عِلْمَهُ إِلَّا مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ، فَالْتَمَسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ خَاصَّةً. فَإِنَّهُمْ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ، وَأَنْمَةٌ يُقْتَدَى بِهِمْ»^(٨١).

وكذلك يبين أيضا في خطبته حول بيان فضيلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الذي قدّمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالأمس بوصفه مُفسِّراً ومبيناً للقرآن الكريم هو نفسه اليوم يقدمه لهم «وَاللَّهِ مَا أَسْمَعُهُمُ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) شَيْئاً إِلَّا وَهِيَ أَنَا ذَا الْيَوْمِ مُسْمِعُهُمْ»^(٨٢).

وفي كتابه (عليه السلام) إلى مالك الأشتر

النخعي عندما ولّاه مصر يبين الإمام علي (عليه السلام) مصاديق قوله وتطبيقات قاعدة التفسير بقوله: «وَأَرُدُّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضِلُّعَكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفْرَقَةِ، وَنَحْنُ أَهْلُ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِينَ نَسْتَنْبِطُ الْمُحْكَمَ مِنْ كِتَابِهِ، وَنُمَيِّزُ الْمُتَشَابِهَ مِنْهُ، وَنَعْرِفُ النَّاسِخَ بِمَا

نَسَخَ اللَّهُ وَوَضَعَ إِصْرَهُ» (٨٣).

كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُّوا فِيهِ
اِخْتِلَافًا كَثِيرًا» (٨٤).

المطلب الثالث: مصادر التفسير والتأويل.

وفي مورد آخر يستدل الإمام

(عليه السلام) على منهج التفسير بالقرآن وأن ليس في القرآن آيات مختلفة وإنما يدل بعضها على بعض ويفسر بعضها بعضاً «كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ وَتَنْطِقُونَ بِهِ وَتَسْمَعُونَ بِهِ وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ وَلَا يُجَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ» (٨٥).

المبحث الرابع: المحكم والمتشابه

المحكم والمتشابه أيضا من المباحث والقواعد المهمة في علوم القرآن، التي لها الأسبقية في تشكل مباحث الدراسات القرآنية لما احتوتها الآيات القرآنية وشكّلت مفهومها، منها قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (٨٦)، حتى أفردت

مصادر معرفة تفسير القرآن يذكرها الإمام علي (عليه السلام) ويؤكد في كثير من خطبة على أن مصدر معرفة تفسير وتبين وتأويل القرآن هو القرآن نفسه؛ لهذا يرسم ملامح المنهج التفسيري على ما يعرف اليوم باصطلاح المفسرين بالمنهج القرآني في التفسير في كثير من خطبه منها: ما تكلم (عليه السلام) في ذم اختلاف العلماء في الفتيا في موارد متعددة تكلم عنها ابن أبي الحديد (ت ٦٥٥ هـ) في شرح النهج منها الاستدلال بالقرآن على القرآن في التفسير والتبيين، والله سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، وَقَالَ: فِيهِ تَبَيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَنَّهُ لَا اِخْتِلَافَ فِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ



أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
لها في الدراسات القرآنية مباحث وفصول متعددة تحت استعمالات مختلفة في معنى المحكم والمتشابه والراسخون في العلم.

فالزركشي في البرهان جعل مبحث المحكم والمتشابه من النوع السادس والثلاثين في معرفة المحكم من المتشابه^(٨٧)، وذكر السيوطي أيضا عدّ المحكم والمتشابه من النوع الثالث والأربعين من أنواع علوم القرآن في المحكم والمتشابه^(٨٨)، ثم قسّم أقوال العلماء في المحكم والمتشابه على ثلاثة أقوال، اختار منها القول الثالث وهو أنقسامه إلى مُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وقال عنه انه:

المطلب الأول: اصول هذا العلم عند أمير المؤمنين (عليه السلام).
أصل الإمام علي (عليه السلام) الرائد في تقسيم وتأصيل هذه القاعدة تحت مبحث أنواع علوم القرآن، قاعدة

المحكم والمتشابه في كثير من خطبه وفي موارد متعددة من كلامه منها ما تكلم فيه عن طبيعة ما يحتويه الكتاب العزيز من أقسام وأنواع العلوم: «كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مَبِينًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخْصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمُحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ». وكذلك بين أيضا معنى المحكم والمتشابه واصطلاح الراسخون في العلم.

فالمحكم من الكتاب عنده ما انحصرت الحجة فيه وفي السنة المجمع عليها، وبخلافه من أن إجماع الناس على شيء من غير إحراز بوصفه سنة، لا عبرة به ولو ردّوه إلى الرسول (ﷺ) وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم... ف«الردّ إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والردّ إلى الرسول الأخذ بسنته

الجامعة غير المفرقة».

الخوارج، كفرقة تجاوزت في مفهومها

الفكري حرية التعبير والرأي إلى

حمل السلاح وتكفير الآخر على

أساس حمل الآيات المتشابهة، والعمل

بها من غير إرجاعها إلى المحكم من

القرآن، فخطب الإمام علي (عليه السلام)،

ليبين المفهوم المنحرف في مخالفة

قواعد المحكم والمتشابه وما دخل في

الكتاب من زيغ وانحراف واعوجاج

نتيجة التمسك والعمل بالآيات

المتشابهة **«وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ**

إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ

فِيهِ (القرآن) مِنَ الزَّيْغِ وَالْإِعْوِجَاجِ

وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ» (٩٠).

هذه العلة التي يتكلم بها الإمام

علي (عليه السلام) كقاعدة مهمة من قواعد

علوم القرآن الكريم وما يترتب

على عدم معرفتها من الوقوع في

الانحراف، ذكرتها الآية السابعة من

سورة آل عمران حينما قسمت آيات

الكتاب العزيز إلى الآيات المحكمة

لهذا أورد مصنف تفسير القمي

عن علي بن إبراهيم رواية أمير

المؤمنين (عليه السلام) الذي يقسم فيها

قواعد وأنواع علوم القرآن على

ستين نوعاً تحت أربع مائة آية يبين

أنَّ المراد من المحكم ما تأويله في

تنزيله، أمَّا المتشابه فما لفظه واحد

ومعانيه مختلفة.

وذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) في موارد

متعددة من خطبه في نهج البلاغة ما

يتضمنه مبحث المحكم والمتشابه من

قواعد المعرفة في الكتاب العزيز، وما

ينطوي على هذه القاعدة من أمور

مهمة ذكرها الكتاب العزيز في آياته.

بعض من الخطب اشتملت على

نفس العبارات التي صرحت بها

الآيات القرآنية من الزيغ وابتغاء

الفتنة في التمسك بتأويل القرآن من

غير علم، منها في كلامه بعد فتنه

معاوية وحرب صفين وبروز فرقة





أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
 وأخرى متشابهة وبينت إن الذين في قلوبهم مرض يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويل القرآن ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (٩١).

يُيِّنُ الْإِمَامُ عَلِي (عليه السلام) أَيْضَا فِي كِتَابِهِ وَخَطَابَاتِهِ التَّطْبِيقَاتِ الْمُنْحَرِفَةَ لِمَنْ وَقَعَ فِي مَخَالَفَةِ عَدَمِ مَعْرِفَةِ الْمَحْكَمِ مِنَ الْمُتَشَابِهَةِ لِيَتَّبِعِي بِذَلِكَ الْفِتْنِ فِي تَأْوِيلِ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ مِنْهَا مَا كَتَبَهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ «فَعَدَوْتَ عَلَى الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ» (٩٢).

وذكر ابن أبي الحديد في شرحه وتعليقه على كتاب الإمام علي (عليه السلام) لمعاوية أنه أراد (به ما كان يمؤه به معاوية على أهل الشام بأنه ولي عثمان، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾،

المطلب الثاني: الآيات المتشابهة في صفات الله تعالى.

بحث الآيات المتشابهة في صفات الجمال والجلال الإلهي واحد من المباحث التي اشتملت عليها قاعدة المحكم والمتشابهة في كتابات ومباحث محققي ومفسي علوم القرآن.

وأفرد ابن حنبل (ت ٢٤١ هـ) لها مبحثاً خاصاً في كتابه الرد على الجهمية والزنادقة تحت عنوان: بيان ما ضلت به الزنادقة في متشابهة

القرآن^(٩٦)، وتكلم ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ) أيضاً عن معنى التشابه في الكتاب العزيز تحت عنوان رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات، وجعل السيوطي في الإتيان مبحث الآيات المتشابهة من النوع السابع والثلاثين من أنواع علوم القرآن في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات، كما جعلها الزركشي أيضاً في ذات العدد^(٩٧).

ذكر الإمام علي (عليه السلام) بحث الآيات المتشابهة بالمعنى الاصطلاحي اليوم، وبين الأساس الذي يجب أن يتبع في معرفة قاعدة المحكم والمتشابهة في الآيات الدالة على الصفات من خلال الرجوع إلى المحكم من آيات القرآن الكريم، والأخذ بأوصاف القدس والجلال ونعوت العظمة والكمال المدرجة فيه، فانه أدل دليل وأوضح سبيل وهو كلام الحق

سبحانه وهو أعلم بصفاته من غيره فما وصف به فيه نفسه فهو الحق أحق أن يتبع، وما نزه ذاته عنه فهو الباطل ينبغي تنزيهه منه، «فَانظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا ذَكَرَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأَتَمَّ بِهِ وَاسْتَضَى بِنُورِ هِدَايَتِهِ وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَيُّمَّةِ أَهْدَى أَثَرُهُ فَكُلِّ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ. وَلَا تُقَدِّرُ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ»^(٩٨).

المطلب الثالث: الراسخون في العلم.

بحث الراسخون في العلم، من مباحث قاعدة المحكم والمتشابهة التي تضمنتها الآية السابعة من سورة آل عمران، وقد بينت طبيعة واختصاص تأويل الآيات القرآنية وانحصاره بالله تعالى على من ذهب إلى أن الواو في الآية للاستئناف،



أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
والراسخون في العلم على من قال
بانعطاف (الراسخين) في العلم على
الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

ويبين أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته
للسائل من هم الراسون في العلم:
«وَأَنْظِرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ
عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتَّمَّ بِهِ وَاسْتَضِيءَ
بِنُورِ هِدَايَتِهِ.. وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي
الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَعْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ
السُّدِّ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الْإِتْرَارِ
بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ
الْمُحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللَّهُ اعْتِرَافَهُمْ
بِالْعَجْزِ عَنِ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ
عِلْمًا، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيهَا لَمْ
يُكَلِّفُهُمُ الْبَحْثَ عَنِ كُنْهِهِ رُسُوخًا
فَاقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ» (٩٩).

إن تعريف وضبط قاعدة الآيات
المتشابهة التي تحدثت عن صفات
الله تعالى من خلال إرجاع المتشابهة
منها إلى المحكم في عبارة الإمام

ويقدم الإمام (عليه السلام) أيضا في
مورد آخر من خطبة، فيها مصاديق
الراسخين في العلم منها ما ذكره
(عليه السلام) للسائل في سؤاله عن

طريقة سمع الأحاديث من بعض أصحابه، وفي أيدي الناس أحاديث على خلافها، فيذكر الإمام (عليه السلام) له صفاتهم بوصفهم راسخين في معرفة المحكم والمتشابه: وبهم قام الكتاب فلولاهم ما عرف متشابهه من محكمه^(١٠٢).

يقرأ بهم سبح اسم ربك الأعلى، فقال المنافقون: لا والله ما يحسن ابن أبي طالب أن يقرأ القرآن ولو أحسن لقرأ بنا غير هذه السورة فبلغه ذلك، فقال: «ويل لهم إني لأعرف ناسخه من منسوخة، ومحكمه من متشابهه»^(١٠٤).

ومنها أيضا ما يقدمه للناس عامه من استغرابه لمن يدعي الرسوخ والعلم في الكتاب العزيز «أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعْنَا وَوَضَعَهُمْ وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ بِنَا يُسْتَعْتَبَى أَهْدَى وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى»^(١٠٥).

ويعقب ابن أبي الحديد في شرحه لكلام الإمام علي (عليه السلام) بقوله: لأنه لولاهم لما عرف تأويل الآيات المتشابهات ولأخذها الناس على ظواهرها فضلوا وبالكتاب علموا لأن الكتاب دل عليهم ونبه الناس على مواضعهم^(١٠٣).

ويروي العياشي (ت ٣٢٠ هـ) في تفسيره أيضا بطريقه عن الأصبع بن نباته ما يدل على بيان مصاديق قاعدة المحكم والمتشابه ومعرفة ضوابطها من خلال ما دل عليه الكتاب العزيز، قال: قدّم علي (عليه السلام) الكوفة فصلّي بهم أربعين صباحا

نتائج البحث

١. قواعد علوم القرآن عند المتأخرين والمعاصرين في الدراسات القرآنية توسعت بالبحث والتحقيق فاشتملت على كثير من الأقسام والأنواع حتّى وصلت إلى أكثر من



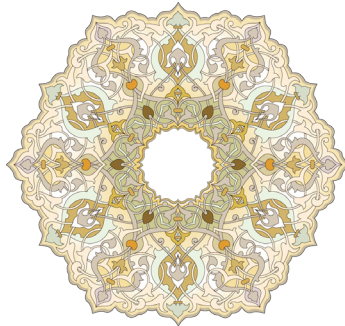
أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....

خمسین نوعاً، أمير المؤمنين (عليه السلام) اليوم بالمعنى الاصطلاحي من أنواع بعده الأقدم فيما تكلم وترك من آثار إذ يعد المبتكر الأول لتصنيفات علوم القرآن وأنواعها فهو (عليه السلام) لم يتكلم في خطبة بعنوان قواعد علوم القرآن بقدر ما تكلم عن قضايا عاجلت كثير من مسائل الأمة.

٢. لم يكن نهج البلاغة مصنفاً لعلوم القرآن بقدر ما صنّفه الشريف الرضي على أنه نهجاً ومناراً لبلاغة وفصاحة الإمام.

٣. غير أنّ مباحث علوم القرآن

الدارسين.



الهوامش

نهج البلاغة في القرآن الكريم رسالةً جامعيّةً،

ج ١، ١٦.

١٢. السيوطي، جلال الدين، مقدمة الاتقان،

ج ١، ٣١.

١٣. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة،

كتاب ٦٧.

١٤. الرضي، محمد بن الحسن، نهج البلاغة،

ج ١، ٢٣١.

١٥. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،

ج ١، ٨٤.

١٦. الرضي، محمد بن الحسن، نهج البلاغة،

الخطبة، ٧٧.

١٧. الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن،

٢٤٠، ٢٤٦.

١٨. الصغير، محمد حسين، تاريخ القرآن، ٦٦.

١٩. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،

ج ١، ٢٦٦.

٢٠. المصدر نفسه، ج ١، ٢٥٣.

٢١. المصدر نفسه، ج ١، ٢٥٣، ٢٧٦، ٥٤٧.

٢٢. المصدر نفسه، ج ١، ٢٧٦.

٢٣. المصدر نفسه، ج ١، ٢٦٢.

٢٤. الموسوي، صادق، تمام نهج البلاغة، ١.

٢٥. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،

ج ١، ٢٢٣.

٢٦. فضائل القرآن، من العلوم والقواعد

ذات الأسبقية في مباحث ومدونات محققي

علوم القرآن، لما تضمنت موارد تلك القواعد

الروايات التي نقلت طريقته فالبخاري أفرد

١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٠،

١٤٩، ج ٨٩، ٨٧، ينظر أيضاً، الطوسي، محمد بن

الحسن، الأمالي، ج ٢، ١٠١، الطبرسي، أحمد بن

علي، الاحتجاج، ٢٦١.

٢. المصدر نفسه، ج ١٠، ١٢٥. ينظر أيضاً،

الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ج ٢، ١٠١.

٣. المعتزلي، بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،

١٤٧.

٤. المصدر السابق، ج ٤٠، ١٨٦، ينظر: الموسوي،

صادق، تمام نهج البلاغة، ٢، والمراد من التنزيل،

ليس ما نزل من الوحي قرآناً حسب ما يصطلح

عليه المتأخرون المعاصرون؛ إنما ما يشتمل عليه

التفسير المقابل للتأويل، لكونه مصدر مزيد

فيه وأصله النزول، ينظر: الخوئي، أبو القاسم،

البيان في تفسير القرآن، ١٤٧ - ١٤٩.

٥. المعتزلي، بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،

خطبة، ١٤٤.

٦. ينظر: القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي،

ج ١، ١٤.

٧. ينظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار،

الرسالة كاملة، ج ٩٠، ١.

٨. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،

الخطبة ١، ٥.

٩. المصدر نفسه، الخطبة، ٢١٠.

١٠. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم

القرآن، ج ١، ٣٣، ج ٢، ٦، ٥٧، ٦٧.

١١. السعداوي، عبدالكريم حسين، في غريب



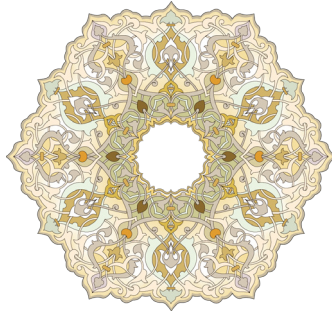
- أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
٤٢. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ٣٩٩.
٤٣. المصدر نفسه، الخطبة، ٣١.
٤٤. البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ١، ١٠٦.
٤٥. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، باب أدب المعلم، ج ١، ٣٨.
٤٦. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، ج ٩، ٧٦.
٤٧. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، باب أدب المعلم، ج ١، ٣٨.
٤٨. البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ١، ١٠٦.
٤٩. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، ج ١٣، ٣٩.
٥٠. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ٤٤٩.
٥١. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ج ١، ٣٥٩.
٥٢. القرآن الكريم، سورة المزل، الآية ٤.
٥٣. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ٤٥٠، ينظر أيضا السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ٣٦٨.
٥٤. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١١٠.
٥٥. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١٠٩.
٥٥. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١٨٤.
٢٨. المعتزلي، ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، ١٣١.
٣٠. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١٥٢.
٣١. المصدر نفسه، الخطبة، ٨٦.
٣٢. المصدر نفسه، الخطبة، ٣١٩.
٣٣. المصدر نفسه، الخطبة، ١٥٥.
٣٤. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١٧٦.
٣٥. المصدر نفسه، الخطبة، ١٦٨.
٣٦. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ج ١، ٣٤٣.
٣٧. المصدر نفسه، ج ١، ٣٤٣.
٣٨. الزرقاني، عبد العظيم، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ٤٥٥.
٣٩. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ج ١، ٣٤٣.
٤٠. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١١٠.
٤١. التستري، محمد تقي الشيخ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٥.



- فصل الوصايا الشفهية، ١.
٥٦. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١٨٤.
٥٧. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١١٨.
٥٨. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١١٨.
٥٩. المراد بما أنزل، ليس وحيًا كما يصطلح عليه المعاصرون، إنما التفسير المقابل للتأويل، لأنه مصدر مزيد فيه من النزول، ينظر: الخوئي، أبو القاسم، تفسير البيان، ج ١، ٦٨.
٦٠. العياشي، محمد بن مسعود بن عياش، تفسير العياشي، ج ١، ١٢.
٦١. كاشف الغطاء، الشيخ هادي، مستدرک نهج البلاغة، ج ١، ١.
٦٢. المعتزلي، بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ٥٣٨.
٦٣. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١٧.
٦٤. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١٤٧.
٦٥. المصدر نفسه، الخطبة، ٣٣٩.
٦٦. المصدر نفسه، الخطبة، ٢١.
٦٧. المصدر نفسه، الخطبة، ١٤٣.
٦٨. القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ج ١، ٣٥١ - ٣٦٣.
٦٩. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ١٣.
٧٠. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ج ٤، ١٩٢.
٧١. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١٢٣.
٧٢. المصدر نفسه، الخطبة، ١٢٣.
٧٣. المصدر نفسه، الخطبة، ١٢٣.
٧٤. القرآن الكريم، سورة النحل، الآية، ٤٤.
٧٥. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ٤٢.
٧٦. المصدر نفسه، الخطبة، ١٤٧.
٧٧. الموسوي، صادق، تمام نهج البلاغة، ٢١.
٧٨. سورة الرعد، الآية، ٤٣.
٧٩. الموسوي، صادق، تمام نهج البلاغة، الخطبة، ٢٩.
٨٠. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١٤٤.
٨١. المصدر نفسه، الخطبة، ٨٧.
٨٢. المصدر نفسه، الخطبة، ١٨.
٨٣. التستري، محمد تقي الشيخ بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٦٩.
٨٤. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١٨.
٨٥. المصدر نفسه، الخطبة، ١٢٥.
٨٦. القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية، ٧.
٨٧. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ٦٨.
٨٨. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ج ٢، ٣٨٤.



- أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
٨٩. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم الخطبة، ٨٩.
- القرآن، ج ٢، ٣٨٤.
٩٠. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة ٨٩.
١٠٠. الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، خطبة ١٢٠.
٩١. سورة آل عمران، الآية، ٧.
- ج ٣، ١٦.
٩٢. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الكتاب ٥٥.
- ج ١، ٢٨٦.
٩٣. سورة الاسراء، الآية، ٣٣.
١٠٢. المعتزلي، بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ٥٧٨.
٩٤. ينظر، المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٧-١٣٦، التستري، محمد تقي الشيخ، نهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٣.
- ج ١، ٥٧٨.
٩٥. سورة آل عمران، الآية، ٧.
١٠٣. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ٥٧٨.
٩٦. ابن حنبل، أحمد، الرد على الجهمية والزنادقة، تحقيق: صبري شاهين، ج ١، ٥٨.
١٠٤. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ١٤، ينظر: القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي، ج ١، ٢٦.
٩٧. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ينظر الزركشي، البرهان.
١٠٥. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، الخطبة، ١٤٢.
٩٨. الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة،



المصادر

القرآن الكريم

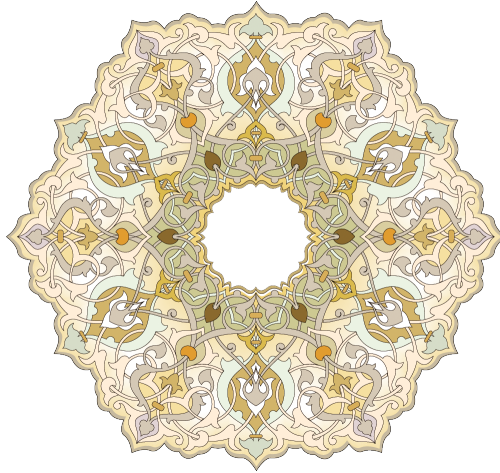
٨. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت: ٩١١ هـ)؛ الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طهران، منشورات رضى، بلا تاريخ.
٩. الصغير، محمد حسين (معاصر)، تاريخ القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، بلا تاريخ.
١٠. الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخراسان، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨١ م.
١١. الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، الأمالي، قم، انتشارات دار الثقافة، ١٤١٤ هـ.
١٢. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط١، دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩ هـ.
١٣. العياشي، النضر محمد بن مسعود بن عياش (ت: ٣١٠ هـ)، تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسول المحلاتي، طهران، المكتبة العلمية الإسلامية، بلا تاريخ.
١٤. القطان، مناع بن خليل (ت: ١٤٢٠ هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الطبعة الثالثة، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.
١٥. القمي، علي بن إبراهيم (ت: ٣٢٩ هـ)، تفسير القمي، تصحيح: الجزائري، قم، مطبعة مؤسسة دار الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ.
١٦. كاشف الغطاء، الشيخ هادي، مستدرک نهج البلاغة، ط١، دار الاندلس، ١٩٩٣ م.

١. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال (المتوفى: ٢٤١ هـ)، الرد على الجهمية والزنادقة، تحقيق: صبري شاهين، ط١، دار الثبات، بلا تاريخ.
٢. البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت: ٤٦٣ هـ)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د. محمود الطحان، ط١، مكتبة المعارف- الرياض، ١٤٠٣ هـ.
٣. التستري، محمد تقي الشوشترى، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد علي التستري، قم مؤسسة نهج البلاغة، الطبعة الاولى، ١٣٦٧ ش.
٤. الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن تحقيق: جعفر الحسيني، الطبعة الرابعة، طهران، دار الثقلين، ١٣٨٦-١٤٢٩ ش.
٥. الرضي، محمد بن الحسين (ت: ١٣٤٥ هـ)، نهج البلاغة، شرح: صبحي صالح، بيروت، دار الكتاب اللبناني، بلا تاريخ.
٦. الزركشى، بدر الدين محمد بن عبدالله (ت: ٧٩٤ هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: عبدالرحمن مرعشلى، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
٧. السعداوي، عبدالكريم حسين، في غريب نهج البلاغة في القرآن الكريم، رسالة جامعية تقدم بها الباحث إلى مجلس كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، مكتبة الروضة الحيدرية. بلا تاريخ.





- أثر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تأصيل قواعد علوم القرآن، دراسة في نهج البلاغة.....
١٧. الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ٢٠. معرفت، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، قم، مؤسسة انتشارات اسلامي، ط١، قم المقدسة، ١٣٨٧ ش.
١٨. المجلسي، محمد باقر (ت: ١٤٠٣هـ)، بحار الأنوار، بيروت، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢١. الموسوي، صادق، تمام نهج البلاغة، ط١، دار الكتب، بيروت، ١٤١٧هـ.
٢٢. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المجموع شرح المهذب، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٩. المعتزلي، عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.



قال أمير المؤمنين (عليه السلام)

لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادِ النَّخَعِيِّ يَأْكُمِلُ مَرَأَهَكَ أَنْ
يُرْوِحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ وَيُدْجُوا فِي حَاجَةٍ مِنْهُ هُوَ
نَائِمٌ فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ
أَوْدَعَ قَلْبًا سُرُورًا إِلَّا وَخَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ
لُطْفًا فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي
الْمِحْدَارِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تَطْرُدُ غَرِيبَةَ الْإِبِلِ



عاشقانه

عاشقانه



السؤال ودوره في الإثراء المعرفي دراسة في ضوء نهج البلاغة

The question and his rule in Enrichment study
in the light of Nahj-Al Balaghah

م.د عدنان عباس البطاط
م.م اركان حسين التميمي
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية

Dr. Adnan Abbas Al-Batat
Teaching assistant. Arkan Hussein Al-Tamimi
Imam Kadhim (peace be upon him) university college.

ملخص البحث

نطلُّ في بحثنا هذا على نافذة هامة تشري العلم والمعرفة، وتعزز ثقة الأمة بإراثها الحضاري، ألا وهي السؤال؛ لما له من أهمية في بناء الفكر وتحصيل المعرفة، ومن خلال المنهج التحقيقي في نصوص نهج البلاغة توصلنا إلى أن السؤال الذي يمثل آلة المعرفة له أشاكلة وأساليبه وتعاليمه وأدابه الخاصة به، وكذلك المجيب والجواب. فكانت نتائج البحث بالشكل التالي: أولاً: السؤال حاجة نفسية ضرورية عند الإنسان، وثانياً: السؤال قناة لنقل الأفكار والعلوم من جيل إلى جيل، وثالثاً: السؤال أسلوب تربوي ناجح، لأنه يتواصل مع حاجة وجدانية عند الإنسان، ورابعاً: السؤال أسلوب ناجح في تنبيه السامع، فهو يثير اهتمامه ويحرك غريزة حب الاستطلاع لديه، وخامساً: السؤال طريقة ناجحة في رفع الرتبة وكسر الروتين، فعن طريق السؤال يُستجلب التأثير في المتلقي، وسادساً: السؤال أسلوب قرآني حاكاه الإمام علي (عليه السلام)، فقد جاءت كثير من الآيات المباركات تحمل مضامينها بقوالب سؤال، لما لأسلوب السؤال من جمال وتأثير على المتلقي، وسابعاً: للسؤال أدبٌ وفن، ومن يُتقن فن السؤال وأسلوبه سيجني ثمار ذلك نجاحاً ومعرفة، وثامناً: للسائل آداباً: يُمكننا إجمالها في نهج البلاغة بما يأتي:

١. أن يكون الهدف من سؤال السائل هو معرفة الحقيقة، فالسؤال النموذجي والمثالي هو الذي ينطلق من ساحة الرغبة في العلم، والتطلع للمعرفة والاحاطة بالحقيقة.
٢. أن يكون السؤال للعلم وللعمل فيما يقتضي العمل به.
٣. أن يكون السؤال عن الأمور المهمة، والتي هي مورد الابتلاء.
٤. أن يكون السائل حسن السؤال، أي يعرف فن السؤال وأدبه، لأن السؤال نصف الجواب.

٥. أن يكون السائل لطيفاً في سؤاله، فيطرح سؤاله بأدب ولطف ويتعد عن الخشونة والجفوة. وتوسعاً: كما أن على السائل أن يُحيط بأدب السؤال فعلى المجيب أن يتحلَّى أيضاً بأدب الجواب وفنّه.

١. احترام السائل واحترام السؤال، وهذا أدب مهم يجب أن نُدرِّكه ونستوعبه، إذ على المسؤول أن يُبدي احترامه للسؤال وللسائل، ولا يتسهزأ به لأنه استهزاء بالعلم والمعرفة.

٢. أن يعتذر عن الإجابة إذا كان جاهلاً بها، إذ ليس من العيب أن يقول الإنسان إذا سئل عن شيء لا يعرفه "لا أدري".

٣. أن يكون الجواب مناسباً للسائل ملائماً له.

٤. توضيح الجواب ما أمكن للسائل.

٥. ألا يطرح الجواب الصحيح في زحمة الأجوبة العديدة، يقول الإمام علي (عليه السلام): «إِذَا

ازْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ».



Abstract

We are peeping in our research through an important window enrich science and enhances the nation trust in her cultural heritage which it is The question with its importance in building and acquisition of knowledge and through the investigative approach in the texts of Nahj AL-Balaghah we concluded that the question which is represent knowledge machine which had its own forms, methods, precepts and ethics also the respondent and answer so the results of research are as following:

Firstly: the question is an essential psychological need in human. Secondly: the question is a channel for transfer of ideas and science from generation to generation. Thirdly: the question is a successful educational method because it communicates with emotional need in human. Fourthly: the question is a successful method in alerting the listener so it draws his attention and brings out his curiosity instincts.

Fifthly: the question is a successful method to break the monotony and routine so through the question inducing effect in the listener. Sixthly: the question is Qurani method has replicated by Imam Ali (peace be upon him) so a lot of blessing verses carry their implication in templates of question for what the question method have from beauty and effect on the listener. Seventhly: for the question there are literature and arts and who have mastered the art of question and its method will bear the fruit of that as success and knowledge. Eighthly: the questioner ethics: we can summarized in Nahj-Al Balaghah as following:

1- The goal from the question is to know the truth so the ideal and typical question which flows from desire to go into science, looking for knowledge and to grasp to true. 2- The question must be for knowledge and work in what is require to do. 3- The question must be about important things which it's the test. 4- The questioner must ask a good question that mean to know the question art and ethics because the question is half the answer. 5- The questioner must be nice in his asking so he must ask his question with politeness and kindness and strayed from roughness and harshness.

Ninthly: as the questioner must know the question ethics so the answer also must know the answer ethics and art:

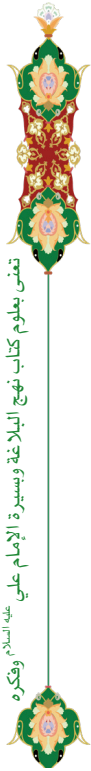
1- Respect the questioner and the question and this is an important ethics we must understand and realize so the answer must show his respect to the question and the questioner and don't make fun of him because its making fun of science and knowledge.

2- Saying I couldn't answer if he don't know the answer its not shame for human to say «I don't know»

3- The answer must be suitable for the questioner and appropriate for him.

4- Clear up the answer as possible for the question.

5- The right answer must not be given within a lot of answer; Imam Ali (peace be upon him) said: «if there are a lot of answer the true will be hidden».



المقدمة

في سماء الإنسانية، ومن الآثار القليلة في مسيرتها الفكرية التي لا تزال غضةً طريةً، تقفز على الزمان ولا تتحدد بمكان، وهو من الآثار التي «لم توضع لفريقٍ دون فريق، ولم يراع فيها شعبٌ دون شعب، وإنما خوطب بها الإنسان أنى وجد وكان، ولأنها تلامس كل قلبٍ، وتضمّد كل جرح، وتكفكف كل دمعة، كانت ملكاً للناس أجمعين، وكانت خالدة عند الناس أجمعين»^(١).

ووقع اختيارنا في هذا البحث على موضوع حيوي متواجد في كل مفاصل الحياة، وهو موضوع (السؤال وآلته) ففي كل ناحية من نواحيها هناك سائل وسؤال ومسؤول، ونحن يومياً نشهد هذا الموضوع فاعلاً في حياتنا، فما أهمية السؤال، وما هي معالمه وسناته، وما هي الآداب المحمودة في السائل والمسؤول، وما هي الآداب المذمومة

حياة الأمم المعنوية رهينةٌ باعتزازها بتجاتها العلمية والأدبية والثقافية، والحفاظ عليها، وأمة لا تعي قيمة نتاج مفكرها وقممها أمة ميتة، وأمة لا تحافظ على تراثها الفكري أمة غادرت الحياة وإن كانت تعيش على الأرض.

عندما تُدير الأمة ظهرها لإرثها الحضاري والفكري وتمنحه الإهمال فهي تقضي على وجودها، فحياة الأمم بنتاج مفكرها ومبدعيها. نهج البلاغة نتاج قِمة وتراث أمة، علينا أن نساءل كم بلغ اعتزازنا به وحفاظنا عليه، وكم وعيناه ورعيناه؟.

عندما نعرف أن هناك من سدد سهام التشكيك له، وأثار اللغط حوله، نعرف أن الأمة تطعن نفسها حين تقضي على مفاخر تراثها. نهج البلاغة ذلك القنديل المضيء



فيهما؟.

موسى ﴿ بالهمز وبغير الهمز. وَسَأَلْتُهُ

الشيءَ وَسَأَلْتُهُ عن الشيء سُؤَالاً

وَمَسْأَلَةً. وقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ

بعذابٍ واقِعٍ﴾ أي عن عذابٍ. قال

الأخفش: يقال خرجنا نسأل عن

فلانٍ وبقلانٍ. وقد تخفّف همزته

فيقال: سألَ يسألُ. وقال:

ومُرْهَقٍ سألَ إِمْتاعاً بأُصْدَتِهِ

لم يَسْتَعِنْ وَحوامي الموتِ تَغشاهُ

والأمر منه سَلَ بحركة الحرف

الثاني من المستقبل، ومن الأوّل:

اسْأَلَ. ورجلٌ سُؤَلَةٌ: كثيرُ السُّؤالِ.

وَتَسألُوا، أي سَأَلَ بعضهم بعضاً.

وَأَسأَلْتُهُ سُؤْلَتَهُ وَمَسأَلْتُهُ، أي قضيتُ

حاجته^(٣).

قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢

هـ) في المفردات في غريب القرآن، في

مفردة (سأل): «السُّؤَالُ: استدعاء

معرفة، أو ما يؤدّي إلى المعرفة،

واستدعاء مال، أو ما يؤدّي إلى المال،

فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان،

كل ذلك حاولنا الإجابة عنه

باستنطاق نصوص نهج البلاغة،

لتتجلى لنا صورة كاملة عن آية

السؤال على لسان سيد البلغاء

والتكلمين أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)،

سائلين المولى العلي القدير التوفيق

والنجاح.

مفهوم السؤال

السؤال في اللغة:

قال الخليل (ت ١٧٤ هـ) في العين

في مادة سأل: «سَأَلَ يسأَلُ سُؤَالاً

وَمَسْأَلَةً. وَالعَرَبُ قاطِبَةٌ تحذفُ

همزة سَلَ، فإذا وُصِلَتْ بفاء أو واوٍ

هُمَزَتْ، كقولك: فاسأل، واسأل

وَجَمْعُ الْمَسْأَلَةِ: مسائل، فإذا حذفوا

الهمزة، قالوا: مَسْأَلَةٌ. والفقير يُسَمَّى:

سائلاً»^(٢).

وقال الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)

في الصحاح: السُّؤُولُ: ما يسأله

الإنسان. وقرئ ﴿أُوتِيَتْ سُؤْلَكَ يَا



السؤال ودوره في الإثراء المعرفي دراسة في ضوء نهج البلاغة **الملائكة**

واليد خليفة له بالكتابة، أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعد، أو برد. إن قيل: كيف يصحح أن يقال السؤال يكون للمعرفة، ومعلوم أن الله تعالى: **يَسْأَلُ عِبَادَهُ نَحْو:** **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ** [المائدة / ١١٦]؟.

قيل: إن ذلك سؤال لتعريف القوم، وتبكيتهم لا لتعريف الله تعالى، فإنه علام الغيوب، فليس يخرج عن كونه سؤالاً عن المعرفة. والسؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام، وتارة للتبكي، كقوله تعالى: **وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ** [التكوير / ٨]، ولتعرف المسؤل^(٤). والسؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه، وتارة بالجار، تقول: سألته كذا، وسألته عن كذا، وبكذا، وبعن أكثر: قال تعالى: **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ**

[الإسراء / ٨٥]، **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ** [الكهف / ٨٣]، **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ** [الأنفال / ١]، وقال تعالى: **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي** [البقرة / ١٨٦]^(٥)، وقال تعالى: **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** [المعارج / ١]، وإذا كان السؤال لاستدعاء مال فإنه يتعدى بنفسه وأبدلت الهمزة ألفاً. أو بمن، نحو: **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ** [الأحزاب / ٥٣]، **وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقْتُمْ** [المتحنة / ١٠]^(٦)، وقال: **وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ** [النساء / ٣٢]^(٧).

ويعبر عن الفقير إذا كان مستدعياً لشيء بالسائل، نحو: **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ** [الضحى / ١٠]، وقوله: **لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** [الذاريات / ١٩]^(٨)^(٩)، انتهى كلام الراغب. إذن السؤال يكون لطلب المعرفة

أو طلب مال، ومن هنا طُرح رأيان في معنى السائلين في الآية المباركة: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾، «قال الزجاج إنّما قال سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ لِأَن كُلًّا يَطْلُبُ الْقُوتَ وَيَسْأَلُهُ وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِّلسَّائِلِينَ لِمَنْ سَأَلَ فِي كَمْ خُلِقَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ فَقِيلَ خُلِقَتْ الْأَرْضُ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِأَزْيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ جَوَاباً لِمَنْ سَأَلَ»^(١٠).

السؤال في الاصطلاح

لا يختلف السؤال في استعماله الاصطلاحي عن معناه اللغوي، إذ يطلق السؤال ويراد منه اصطلاحاً طلب المال أو طلب المعرفة بحسب الحال والسياق، وبحثنا هنا عن المعنى الثاني للسؤال وهو آيته في طلب المعرفة، سنتناوله في ضوء نصوص نهج البلاغة بإذن الله وتوفيقه.

السؤال في نهج البلاغة

ورد استعمال السؤال في نهج البلاغة في كلا المعنيين المتقدمين لغةً واصطلاحاً، وهما:

المعنى الأول: السؤال بمعنى طلب المال، وقد ورد بهذا المعنى في النهج في غير موضع، فقال (عليه السلام): «مَاءٌ وَجِهَكَ جَامِدٌ يُقَطِرُهُ السُّؤَالُ، فَانظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقَطِرُهُ»^(١١)، وَقَالَ (عليه السلام): «السَّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً، فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَتَدَمُّمٌ»^(١٢).

وهذا اللون من السؤال أي التكفف، وسؤال الناس مذموم، ينبغي للإنسان تجنبه، نعم هذا لا يعني إهانة السائل أو عدم اجابته، ولو صدق السائل لهلك المسؤول، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مَتَعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ»^(١٣).

أما السؤال من الله تعالى فهو



السؤال ودوره في الإثراء المعرفي دراسة في ضوء نهج البلاغة

﴿الْبَلَاغَةُ﴾

ببحثنا، وسنين بإذن الله تعالى ما يرتبط به من أهمية وآداب، حريّ بطالب العلم الاطلاع عليها ووضعها موضع الاهتمام والتطبيق.

أهمية السؤال (طلب المعرفة)

السؤال نافذة هامة من نوافذ المعرفة، وكم من المعلومات وكم من المعارف التي حصلنا عليها بطريقة السؤال؟.

لو تصورنا والتفتنا إلى هذا الكم المعرفي الهائل من المعلومات والمعارف المختلفة عند ذلك نعرف أهمية السؤال.

السؤال عملية تنقيب عن المعلومة كما ينقب الإنسان بحثاً عن الماء أو النفط أو المعادن الثمينة، وغالباً ما يشعر الإنسان بالارتياح للجواب المقنع له، كما يفرح بالعثور على ضالته المشوذة.

كم تكشف لنا أمور، وكم أحطنا علماً بقضايا بعد سؤالنا عنها!

الطلب الممدوح، «لأنَّه الجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ وَلَا يُخِلُّهُ إِحْطَاحُ الْمُلِحِّينَ»^(١٤)، وهو الذي يُعْطِي سُئِلَ أَمْ لَمْ يُسَأَلْ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمُنْعُ وَالْجُمُودُ، وَلَا يَكْذِبُهُ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ، إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُتَّقِصٌ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ، وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقَسَمِ، عِيَالُهُ الْخَلَائِقُ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِبِينَ، إِلَيْهِ وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ، مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسَأَلْ»^(١٥).

بل سؤال الله والطلب منه قد أمر به المؤمن: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيعْطِيكَ، وَتَسْتَرْجِمَهُ لِيَرْحَمَكَ...»^(١٦).

المعنى الثاني: وهو السؤال بمعنى آليته في طلب المعرفة، وهو مورد

وكم بقي الجهل يلفُ أموراً لأننا لم نسأل عنها لسبب أو لآخر. شفاء العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت عن الجهل وقالوا: الأجوبة أمهات الفوائد، تلدها بتلقيح السؤال.

نلمس ذلك ونحن نطالع نهج البلاغة فنرى كثيراً من الخطب أثارها السؤال ونرى علوم علي (عليه السلام) تنساب لنا بعد أن فجرها سؤال سأل سائل. يتألم علي (عليه السلام) أن يصل الحال بالأمة أن تترك السؤال عما تجهله فيقول: «أَيُّهَا النَّاسُ - إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وَزَمَنٍ كَنُودٍ، يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُورًا، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهَلْنَا»^(١٧)، وعلي (عليه السلام) وهو باب مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول إنه لم يكن يتوانى عن سؤال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عما يعن له من أسئلة واستفسارات، وهذا الأمر كان

يتفرد به عن الصحابة: «وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا لَيَجِيبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ الطَّارِئُ فَيَسْأَلُهُ (صلى الله عليه وآله وسلم) حَتَّىٰ يَسْمَعُوا، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِمَنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ إِلَّا سَأَلَتْهُ عَنْهُ وَحَفِظَتْهُ...»^(١٨).

وفي مسند أحمد ما يقرب ويعضد هذا الحديث: «عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كُنَّا قَدْ نُهِنَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) [عَنْ شَيْءٍ]، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ...»^(١٩).

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يحث الناس على السؤال ويطلب منهم أن يقصدوه بأسئلتهم، فهو خزانة علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعبية علمه، وقد اشتهر عنه قوله: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي»، وقد ورد في نهج البلاغة في موضعين:

الأول: في الخطبة رقم ١٨٩، التي



والسؤال كفيلاً بتعريف الناس بكثير من تلك المعارف والعلوم، ولذا نجد في نهج البلاغة دقائق المعارف جاءت على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن سُئل، فنقرأ مثلاً عن التوحيد وصفات الله أن ذُلبُ اليامي سأل الإمام (عليه السلام) فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟، فقال (عليه السلام): «أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى؟ فَقَالَ:

وَكَيْفَ تَرَاهُ؟، قَالَ (عليه السلام): لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، قَرِيبٌ مِّنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ مُلَابَسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرِ مُبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ لَا بِرُويَّةٍ، مَرِيدٌ لَا بِهَمَّةٍ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجُفَاءِ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَّةِ، تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ خَافَتِهِ»^(٢٠).

وسأله سائلٌ شاميٌّ عن القضاء

يتحدّث فيها عن الخوارج: «أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّا فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَّ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غِيْهَبَهَا، وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا. أَيُّهَا النَّاسُ سَأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّْي بِطُرُقِ الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا».

الثاني: في الخطبة رقم ٩٣، «فَأَسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمُنَاحِ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قِتْلًا، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا».

لم يكن أمير المؤمنين (عليه السلام) يريد التباهي والتعالي بهذه الكلمة، وإنما هي دعوة للاعتراف من نمير علمه الذي أحذه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،



والقدر فقال: «أَكَانَ مَسِيرُنَا إِلَى الشَّامِ بِقَضَاءِ مَنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهَذَا مَحْتَارُهُ؟ وَيُحَكِّكَ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءَ لَزِمَا وَقَدْرًا حَاتِمًا، لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَحْيِيرًا، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا، وَكَلَّفَ يَسِيرًا، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا، وَلَمْ يُعْصِ مَعْلُوبًا، وَلَمْ يُطْعَمْ مُكْرَهًا، وَلَمْ يُرْسَلِ الْأَنْبِيَاءَ لِعِبَادِهِ، وَلَمْ يُنْزَلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثًا، وَلَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» (٢١).

وَسُئِلَ (عليه السلام) عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: «الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ: عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ وَالْعَدْلِ وَالْجِهَادِ» (٢٢).

وخطبة المتقين الشهيرة إنما جاءت على أثر سؤال من رجل عابد اسمه همام توجه به لأمير المؤمنين (عليه السلام)

فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِي الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، فَتَثَاقَلَ (عليه السلام) عَنْ جَوَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِذَلِكَ الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى، عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَاشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ، فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُّعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْأَعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَنِّي نَزَّلْتُ فِي



فَصَعِدَ الْمُنْبَرَ وَهُوَ مُغْضَبٌ مُتَغَيِّرُ
الَّلَوْنِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى
عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، ثُمَّ قَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمُنْعُ
وَالْجُمُودُ، وَلَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ،
إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُتَّقِصٌ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَانِعٍ
مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ، وَهُوَ الْمُنَّانُ بِفَوَائِدِ
النِّعَمِ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ، عِيَالُهُ
الْخَلَائِقُ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ
أَقْوَاتَهُمْ، وَنَجَّى سَبِيلَ الرَّاعِبِينَ إِلَيْهِ،
وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ
بِأَجُودَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلِ..» (٢٤)

وعلق ابن أبي الحديد المعتزلي على
هذه الخطبة فقال: «هذا موضع المثل
إذا جاء نهرُ الله بطلَ نهرُ معقل (٢٥)،
إذا جاء هذا الكلام الرباني واللفظ
القدسي بطلت فصاحة العرب،
وكانت نسبة الفصيح من كلامها
إليه نسبة التراب إلى النضار
الخالص، ولو فرضنا أن العرب
تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة

إذن هذه العلوم الغزيرة والمعارف
الدقيقة لم يثرها غير السؤال، فهو
الذي أثارها وأخرجها من مكنونها.
ومن أجل خطب الإمام علي
(عليه السلام) عن الله تعالى وصفاته الخطبة
المعروفة بخطبة الأشباح، وسميت
بذلك لذكر الأشباح فيها أو لأنها
من الطول ما يجعل لها ظلاً وشبحاً،
وهذه الخطبة جاءت على أثر سؤال
سأله رجل، ولذا قال الشريف
الرضي (رحمته الله) عنها: «وهي من
جلائل خطبه (عليه السلام)، رَوَى مَسْعَدَةُ بْنُ
صَدَقَةَ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ
(عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ: خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ وَذَلِكَ
أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
صِفْ لَنَا رَبَّنَا مِثْلَ مَا نَرَاهُ عِيَانًا
لِنَزِدَادَ لَهُ حُبًّا وَبِهِ مَعْرِفَةٌ فَمُغْضِبٌ
وَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعَ
النَّاسُ حَتَّى غَصَّ الْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ،



أو المقاربة لهذه الألفاظ من أين صباية ووجدا» (٢٦).

لهم المادة التي عبرت هذه الألفاظ عنها، ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله (ﷺ) هذه المعاني الغامضة السائية ليتيها لها التعبير عنها، أما الجاهلية فإنهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بغير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاة أو صفة جبال أو فلوات و نحو ذلك وأما الصحابة فالمذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة، أمّا في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا، أو يتعلق بحرب و قتال من ترغيب أو ترهيب. ثم قال: وأقسم أن هذا الكلام إذا تأمله اللبيب اقشعر جلده ورجف قلبه، واستشعر عظمة الله العظيم في روعه وخلده، وهام نحوه وغلب الوجد عليه، وكاد أن يخرج من مسكه شوقاً وأن يفارق هيكله

هل يُزعج السؤالُ علياً (ﷺ)؟

قد يتسأل بعض الناس فيقول: هل كان أمير المؤمنين (ﷺ) يزعج من بعض الأسئلة؟ فقد يظهر ذلك من بعض المواقف، كجوابه المتقدم للرجل الشامي الذي سأله عن القضاء والقدر فقال: وَيَحْكُ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءَ لَازِمًا وَقَدْرًا حَاتِمًا، أو كجوابه للرجل الذي سأله لماذا لم يمت هو كما مات همام عند سماعه للموعظة البليغة فقال (ﷺ): «أما والله لقد كنتُ أخافها عليه، ثم



السؤال ودوره في الإثراء المعرفي دراسة في ضوء نهج البلاغة **المؤمنين**

قَالَ: هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةَ بِأَهْلِهَا، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بِأَلِّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ (عليه السلام): وَيْحَكَ! إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ، وَسَبَبًا لَا يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلًا لَا تَعْدُ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ» (٢٧).

أو كما مرّ في خطبة الأشباح: «وَكَانَ سَائِلٌ سَأَلَهُ أَنْ يَصِفَ اللهُ لَهُ حَتَّى كَانَهُ يَرَاهُ عَيَانًا فَنَغَضَبُ لَذَلِكَ»!؟

والجواب: في كل الحالات حتى التي قد يبدو فيها انزعاج من لدن أمير المؤمنين (عليه السلام)، لم نلاحظ أنه ترك السؤال من دون أن يجيب عنه، بل في السؤال الذي غضب عند سماعه،

معالم السؤال في نهج البلاغة

من خلال مطالعة نصوص نهج البلاغة تظهر لنا معالم السؤال وملاحظته كما يعدها أمير المؤمنين (عليه السلام)، ونستشفها من ثنانيا كلامه المبارك، وأبرز معالم السؤال في النهج:

أولاً: السؤال حاجة نفسية

ووصعد المنبر وهو مغضب كان الجواب مفصلاً بخطبة من أطول خطب النهج، ومع ذلك علينا أن نلاحظ صيغة السؤال، فصيغة السؤال تكشف عن أن السائل يظن أن الله صفات كصفات المخلوقات، ومن السؤال نستظهر أن هناك ميلاً

ضرورة عند الإنسان، إذ إنَّ حب الاستطلاع بُعدٌ نفسي مهم عند الإنسان، جُبِلَ عليه وفُطِر، وهو المحرك والدافع في الحياة الإنسانية لاكتساب العلم والمعرفة، والسؤال آلية مهمة لتلبية هذه الرغبة، ولذا يقول (عليه السلام): «مَنْهُوَ مَنْ لَا يَشْبَعَانِ؛

طَالِبٌ عِلْمٍ وَطَالِبٌ دُنْيَا»^(٢٨)، ومن هنا كان (عليه السلام) يحرك في الناس هذه الغريزة والفطرة الإنسانية المتمثلة بحب الاستطلاع، فيقول لهم: سلوني قبل أن تفقدوني، ويحدثهم على العلوم التي يحملها صدره الشريف: «هَا إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْمًا جَمًّا (وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً!»^(٢٩).

وقال (عليه السلام): «بَلْ أُنْدَجَّتْ عَلَيَّ مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُوْحْتُ بِهِ لِأَضْطَرَبْتُمْ أَضْطَرَابَ الْأُرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ»^(٣٠).

ثانياً: السؤال قناة لنقل الأفكار

والعلوم من جيل إلى جيل، ولهذا وصلتنا كثير من العلوم والمعارف على أكفِّ السؤَال، ونقرأ في نهج البلاغة أنَّ الناس يسألون علياً (عليه السلام) عن أمور وهو يخبرهم أنه سأل عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيجيهم بما أجاب به الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

في كلامه (عليه السلام) في نهج البلاغة والمرقم بـ: ١٥٥، وقد خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم.. وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَقَالَ: أَخْبِرْنَا عَنِ الْفِتْنَةِ، وَهَلْ سَأَلْتَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فَقَالَ (عليه السلام): «إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: ﴿الْمُ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) بَيْنَ أَظْهَرِنَا، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهَا؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ لَيْسَ



وتضغط على وجدانه وتفكيره فيندفع في الاستفسار عنها، فينجذب إلى هذا الأسلوب انجذاباً وجدانياً بفكره وشعوره، ويتعد عن الشroud الذهني والابتعاد الروحي الذي قد يعاني منه وهو يستمع إلى المحاضرة والدرس.

ولهذا يُعدّ السؤال من الافتتاحيات المميزة التي يبدأ بها المتحدث لاستدراج الجمهور واستنهاض تفكيره، وحثه على الانشداد إليه. والسؤال الافتتاحي هو واحد من أبسط وأضمن الطرق لكسب تفاعل المتلقي.

في حديثه (عليه السلام) مع بعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، وقد قال له: يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت، خشيت أن لا تظفر بمُرادك، من طريق علم النجوم فقال (عليه السلام): «أترعّم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرفاً

قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة، فشق ذلك عليّ، فقلت لي: أبشر فإن الشهادة من ورائك؟ فقال لي: إن ذلك لكذلك فكيف صبرك إذن؟ فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشري والشكر، وقال: يا عليّ إن القوم سيفتنون بعدي بأموالهم، ويمنون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية، فيستحلون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع، قلت: يا رسول الله، فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك؟ أبنزلة ردة أم بمنزلة فتنة؟ فقال بمنزلة فتنة».

ثالثاً: السؤال أسلوب تربوي ناجح، لأنه يتواصل مع حاجة وجدانية عند الإنسان، لأن السؤال يتحدث عن قضية تم المتلقي



عَنْهُ السُّوءُ؟ وَتُحَوِّفُ السَّاعَةَ الَّتِي
مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ؟ فَمَنْ
صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ،
وَاسْتَعْنَى عَنِ الِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ
الْمُحِبُّوبِ وَدَفَعَ الْمَكْرُوهَ، وَتَبَتَّعِي فِي
قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُؤَلِّيكَ الْحَمْدَ
دُونَ رَبِّهِ، لِأَنَّكَ بَزَعِمَكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ
إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ، وَأَمِنَ
الضُّرَّ!

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَلَى النَّاسِ
فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَتَعَلَّمُ
النُّجُومَ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ
بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ، وَالْمُنْجَمِ
كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنِ كَالسَّاحِرِ،
وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ، وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ،
سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ» (٣١).

رابعاً: السؤال أسلوب ناجح في
تنبيه السامع، فهو يثير اهتمامه ويحرك
غريزة حب الاستطلاع لديه، وقد
يثير السؤال من الاهتمام والالتفاف
عند السامع ما لا يثيره نفس الكلام

إذا جاء بصياغة أخرى.

ف عندما يتحدث الإمام (عليه السلام) عن
ملك الموت وتوفيه الأنفس يصوغ
الكلام بجملته من الاستفهامات
المؤثرة التي تأخذ بمجامع القلوب
وتهيمن على النفوس وتشدها شداً
إلى الكلام لا يمكن أن يكون بطرح
الكلام بصيغته التقريرية، وذلك
في الخطبه رقم ١١١، حيث قال
الشيخ الشريف الرضي (رحمته الله): ومن خطبة
له (عليه السلام) ذَكَرَ فِيهَا مَلَكَ الْمَوْتِ
وَتَوَفِيَةَ الْأَنْفُسِ:

«هَلْ تُحْسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا أَمْ
هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا؟ بَلْ كَيْفَ
يَتَوَفَّى الْجِنِينَ فِي بَطْنِ أُمَّهِ؟ أَيْلُجُ
عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا؟ أَمْ الرُّوحُ
أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ
فِي أَحْسَائِهَا كَيْفَ يَصِفُ إِلَهُهُ مَنْ
يَعْبَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ؟!».

خامساً: السؤال طريقة ناجحة في
رفع الرتابة ودفع الملل، فعن طريق



أَكَالَةٌ، غَوَالَةٌ، لَا تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا؛ وَالرِّضَاءُ بِهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ لَمْ يَكُنْ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبْتُهُ بَعْدَهَا عِبْرَةً، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحْتُهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا، وَلَمْ تَطَّلُهُ فِيهَا دِيمَةٌ رَخَاءٍ إِلَّا هَتَنْتَ عَلَيْهِ مُزْنَةً بَلَاءٍ، وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا أَعْدُوذٌ وَاحِلَوْلَى أَمْرٍ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى. لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغْبًا إِلَّا أَرْهَقْتُهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعْبًا، وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ، غَرَارَةً، غُرُورًا مَا فِيهَا، فَايْنَةٌ فَإِنْ مَنْ عَلَيْهَا، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى، مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْبِقُهُ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ

السؤال يُسْتَجَلَبُ التَّأثيرُ فِي المْتَلْقِي، وَتَرْفَعُ الرِّتَابَةُ الَّتِي قَدْ تَسْتَوِي عَلَى الكَلَامِ، وَيَشْعُرُ مَعَهَا السَّامِعُ بِالمَلَلِ وَعَدَمِ الانجذابِ للكَلَامِ.

ومع جمالية كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو أمير الكلام وسُلطان البيان، كان (عليه السلام) حريصاً أن يضمّن كلامه بالسؤال ويصوغ الحديث بصيغة الاستفهام ليحرز شدّ السامع إليه، وبذلك نتعلم درساً أن السؤال في وسط الكلام يعمل على ربط المستمع بالمتكلم وشدّه إليه، ونقرأ كمثال على ذلك حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الدنيا في الخطبة رقم ١١٠ من خطب النهج: «أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا أَحَدَرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالأَمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلَا تُؤَمِّنُ فِجْعَتُهَا، غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ، حَائِلَةٌ، رَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ، بَائِدَةٌ،



عَنهُ. كَمْ مِنْ وَائِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعْتَهُ،
وَذِي طُمَأَيْنَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعْتَهُ، وَذِي
أَبَهَةٍ قَدْ جَعَلْتَهُ حَقِيرًا، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ
رَدَّتْهُ ذَلِيلًا، سُلْطَانُهَا دُوْلٌ، وَعَيْشُهَا
رِنَقٌ، وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ، وَحُلُوْهَا صَبْرٌ،
وَغِذَاؤُهَا سِئَامٌ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ، حَيْثُهَا
بِعَرَضٍ مَوْتٌ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضٍ
سُقْمٌ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيْزُهَا
مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنكُوبٌ،
وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ.

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَبْقَى أَنَارًا، وَأَبْعَدَ
آمَالًا، وَأَعَدَّ عَدِيدًا، وَأَكْتَفَى جُنُودًا،
تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبَّدٍ، وَأَثَرُهَا أَيَّ
إِيْثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ،
وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٌ؟!

فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ
نَفْسًا بِفِدْيَةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ
أَحْسَنْتْ لَهُمْ صُحْبَةً؟

بَلْ أَرْهَقْتَهُمْ بِالْفَوَادِحِ، وَأَوْهَقْتَهُمْ
بِالْقَوَارِعِ، وَضَعُضَعْتَهُمْ بِالنَّوَائِبِ،

وَعَفَّرْتَهُمْ لِلْمَنَاخِرِ، وَوَطَّئْتَهُمْ
بِالْمَنَاسِمِ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ
الْمُنُونِ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنكَّرَهَا لِمَنْ دَانَ
لَهَا، وَأَثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا حِينَ ظَعَنُوا
عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبِيدِ، وَهَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا
السَّغْبَ، أَوْ أَحَلَّتَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ، أَوْ
نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعَقَبَتْهُمْ إِلَّا
النَّدَامَةَ؟

أَفَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ،
أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟».

سادساً: السؤال أسلوب قرآني
حاكاه الإمام علي (عليه السلام)، فقد
جاءت كثير من الآيات المباركات
تحمل مضامينها بقوالب سؤال، لما
لأسلوب السؤال من جمال وتأثير
وبصمة، ومن هنا نلاحظ تأثير

الاستفهام القرآني في نهج البلاغة، إذ
نلاحظ المقاربة بين أشكال الاستفهام
القرآني وأشكاله في نهج البلاغة،
فمن الأساليب التي استخدمها
القرآن الكريم في الاستفهام فعل



السؤال ودوره في الإثراء المعرفي دراسة في ضوء نهج البلاغة

﴿الذَّالِمِينَ﴾

الرؤية: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]، وهذا الأسلوب نجده كثيراً في نهج البلاغة، فعلى سبيل المثال لا الحصر قال (عليه السلام): «أَوْ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ؟ وَإِلَى أَخْلَفِ الْبَاقِينَ لَا يَبْقُونَ؟ أَوْ لَسْتُمْ تَرُونَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُمَسُونَ وَيُضْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالِ شَتَّى؟ فَمَيِّتْ يُبْكِي وَآخِرُ يُعْزِي، وَصَرِيحٌ مُبْتَلَى، وَعَائِدٌ يَعُودُ، وَآخِرٌ بِنَفْسِهِ يُجُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَعْفُولٍ عَنْهُ، وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي» (٣٢).

آداب السؤال

للسؤال أدبٌ وفن، ومن يتقن فن السؤال وأسلوبه سيجني ثمار ذلك نجاحاً ومعرفة، ولا بد لنا ونحن نبحث في السؤال في رحاب نهج البلاغة أن نتبع الآداب التي ينبغي أن تكتنف السؤال، ومن بعد ذلك نشرها في سلوكية السؤال عندنا، لكي يأتي سؤالنا دقيقاً أنيقاً مثمراً، فمن يُرد أن يكون ناجحاً في سؤاله فعليه أن يعرف كيف يطرح السؤال ومتى، ليكون بذلك ملماً بـ «فن السؤال»، ونحن نلاحظ أدب السؤال وفنّه في جانبي السؤال، وهما: السائل

وحاكي الإمام (عليه السلام) أسلوباً آخر من الأساليب الاستفهامية في القرآن الكريم وهو الاستفهام بصيغة ليس المسبوقة بهمزة الاستفهام كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨] وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

ضالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ
أَهْلِ النَّفَاقِ» (٣٧).

وقال (عليه السلام): «خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى
كَانَتْ، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ
الْمُنَافِقِ فَتَلْجَلُجُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى
تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ
الْمُؤْمِنِ» (٣٨).

إذن فالسؤال ينبغي أن لا يكون من
أجل السؤال، بل من أجل التعرف
والتعلم والاطلاع، فلا يكن السؤال
للتباهي، ولا يكن لإحراج المسؤول،
وهذا من أهم آداب السائل وأدب
السؤال.

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام)
لسائل سأله عن مُعضلة (أي
مسألة شديدة) والسائل ابن الكواء
الخارجي: «سَلْ تَفَقُّهَا، وَلَا تَسْأَلْ
تَعْتُّهَا، (أي ليكن سؤالك للتفقه
والتعلم وليس للعت وتوهم المشقة
وتريد أن تدخل المشقة على من تسأله
وتوقعه في الخطأ) فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ

والمجيب، ولهذا سنقف عند كل
واحدٍ منهما على حدة.

أولاً: آداب السائل

يُمكننا إجمال آداب السائل في نهج
البلاغة بما يأتي:

أولاً: أن يكون الهدف من سؤال
السائل هو معرفة الحقيقة، فالسؤال
النموذجي والمثالي هو الذي ينطلق
من ساحة الرغبة في العلم والتطلع
للمعرفة والاحاطة بالحقيقة، وهذا
هو الهدف السامي للسؤال، وهكذا
يجب أن يكون، لذا وصف أمير
المؤمنين (عليه السلام) المؤمن العارف بأن
غايته المعرفة وضالته الحكمة: «قَدْ
لَبَسَ لِلْحِكْمَةِ جُتَّتَهَا، وَأَخَذَهَا
بِجَمِيعِ أَدْبِهَا، مِنْ الإِقْبَالِ عَلَيْهَا،
وَالْمُعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا، فَهِيَ عِنْدَ
نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ
الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا» (٣٦).

فهدفه ومنشوده الحكمة، وهي
مطلوبه وضالته، قال (عليه السلام): «الْحِكْمَةُ



العلم في قوله تعالى ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ بأن الرسوخ قد حصل بمعرفتهم حدود علمهم، فقال (عليه السلام): «وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدِّدِ الْمُضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةٍ مَا جَهَلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمُحْجُوبِ فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنِ تَتَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفُهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخًا، فَاقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ» (٤٠).

ثانياً: أن يكون السؤال للعلم وللعمل فيما يقتضي العمل به، وما فائدة أن يسأل السائل ويتعلم ولا يعمل بما علم، لننظر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عهد ملك الأشتر (رضي الله عنه) من ضمن ما

شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَنَّتِ» (٣٩).

يقول الشيخ التستري (رحمته الله) في شرحه: «فإنَّ الجاهل المتعلم شبيه بالعالِم»، إذ إنَّ قصده التفقه فيتعلَّم فيصير عالماً بما تعلَّمه «وإنَّ العالِمَ المتعسِّفَ» أي: الآخذ على غير الطريق «شبيه بالجاهل» إذ إن عمله نوع جهالة.

إذن من أدب السؤال أن يكون لطلب التعلم والمعرفة لا لحب الظهور وإيقاع المقابل في المشقة. وفي (العقد الفريد): كان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة، قال للسائل: أمسكها حتى تسأل عنها أخاك إبليس.

ومن جميل إشارات القرآن الكريم قوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] فحدد السؤال بعدم العلم.

بل هناك تفسير للرسوخ في



أوصاه أن يكون وسطياً ومعتدلاً في صلاة الجماعة: «وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُنْفَرًا وَلَا مُضَيِّعًا، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَّةُ، وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أَصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: (صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أضعفهم، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)» (٤١).

ثالثاً: أن يكون السؤال عن الأمور المهمة، التي هي مورد الابتلاء، لا أن يترك السائل الأمور الواجبة ويسأل عن ما هو أقل من المستحب، فالأهم ثم المهم. فالسؤال المثمر هو الذي يكون عن المهم من الأمور التي نعيشها وتؤثر في حياتنا، وفي هذا قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَكُونُ، فَفِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ» (٤٢).

فالسؤال فرصة للتعلم وينبغي استثمارها في أحسن ما يكون، والسؤال عن أمور ليست من صلب

الحياة والواقع إضاعة للفرصة، وقال (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَمَهَاكُمْ عَنَ أَشْيَاءَ فَلَا تَتَهَكَّؤُوهَا وَسَكَتَ لَكُمْ عَنَ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدْعَهَا نِسْيَانًا فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا» (٤٣).

وفي نهاية خطبة الأشباح التي أجب فيها الإمام (عليه السلام) عن ذلك السائل الذي سأله عن صفات الله قال (عليه السلام): «فَانظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتَّمِّمْ بِهِ وَاسْتَضِيءْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرُضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ) وَأَيْمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ فَكِلَ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ» (٤٤).

رابعاً: أن يكون السائل حسن السؤال، أي يعرف فن السؤال وأدبه، لأن السؤال نصف الجواب كما يقال. ومن أقوال الإمام علي



(عليه السلام): «مَنْ أَحْسَنَ السُّؤَالَ عَلِمَ»^(٤٥). ينبغي أن يتحلَّى به السائل.

لنقرأ سؤالاً حسناً جميلاً في النهج وفي نفس الوقت هو سؤال دقيق: سأل أمير المؤمنين (عليه السلام) سائل: أيُّما أفضل العدل أو الجود؟ فقال (عليه السلام): «الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا عَنْ جِهَتِهَا، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا»^(٤٦).

العدل يختلف عن الجود، فالعدل يضع الأمور في مواضعها، أما الجود فيخرجها من مواضعها إلى جهة الخير والإحسان، فإذا كان لك حق على شخص فإن أخذته بإنصاف فهو عدل، وإن عفوت عنه فهو جود، هذا أولاً، وثانياً: العدل سائسٌ عام أي نظام شامل للحياة بينما الجود عارض خاص، أي له حالات خاصة في مواقع معينة في الحياة.

وبهذا يكون السؤال الواضح المختصر الدقيق يعبر عن فن خاص

خامساً: أن يكون السائل لطيفاً في سؤاله، فيطرح سؤاله بأدبٍ ولطف ويتعد عن الخشونة والجفوة، لأنَّ السائل بحاجة إلى المجيب فعليه أن يتلطف في سؤاله، وهذا هو الأدب القرآني الذي نقرؤه في قصة نبي الله موسى (عليه السلام) مع العالم فلقد كان موسى (عليه السلام) في غاية التلطف عند سؤال الخضر في أتباعه والتعلم منه، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾. ولذا يقول الرازي الآداب التي اشتملتها الآية: «اعلم أن هذه تدل على أن موسى (عليه السلام) راعى أنواعاً كثيرة من الأدب واللطف عندما أراد أن يتعلم من الخضر، فأحدها أنه جعل نفسه تابعاً له لأنه قال ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾، وثانيها أنه استأذن في إثبات هذه التبعية، فإنَّه قال هل تأذن لي أن أجعل نفسي



تبعاً لك وهذا مبالغة عظيمة في التواضع» (٤٧).

وهذا ما نلمسه في نهج البلاغة من استحسان للسؤال اللطيف وذم للسؤال الخشن، ومثال السؤال اللطيف كثير ومنها سؤال همام وكان رجلاً عابداً إذ قال لأمر المؤمنين

(عليه السلام): يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِي الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، فَتَثَقَّلَ (عليه السلام) عَنْ جَوَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِذَلِكَ الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، ثُمَّ قَالَ ..» (٤٨).

ومثال السؤال الخشن المتعنت سؤال ابن الكواء الذي قال فيه أمير المؤمنين (عليه السلام): «سَلْ تَفْقَهَا وَلَا تَسَلْ تَعْتَأُ» (٤٩).

آداب المجيب

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لبعض أصحابه وقد سأله: «كَيْفَ دَفَعْتُمْ قَوْمَكُمْ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ وَأَنْتُمْ أَحَقُّ

ينبغي على السائل أن يُحيط بأدب

عند التأمل في نصوص نهج البلاغة يمكننا أن نقف عند تصريحات وإشارات لآداب المجيب تحدت عنها سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ومنها:

أولاً: احترام السائل واحترام السؤال، وهذا أدب مهم يجب أن نُدرِّكه ونستوعبه، إذ على المسؤول أن يُبدي احترامه للسؤال وللسائل ولا يتسهزأ به، لأنّه استهزاء بالعلم والمعرفة، فالسائل يُريد أن يسير في طريق العلم ويتغىي التعلّم والتزود من المعرفة، وعلى المجيب إعانتته على ذلك، بل عليه أن يعرف أن هناك حقاً للسائل ويجب عليه أن يؤدي هذا الحق بإجابته.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لبعض أصحابه وقد سأله: «كَيْفَ دَفَعْتُمْ قَوْمَكُمْ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ وَأَنْتُمْ أَحَقُّ



إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥٣﴾.

وقال الراوندي في شرحه: «ويقال للرجل غير الثابت القدم في الامر هو «قلق الوضين» أي هو مضطرب شك فيه»^(٥٤)، وقوله (عليه السلام) «ترسل من غير سدد»، قال التستري في شرحه: والمراد تتكلم في موضع لا ينبغي التكلم فيه لعدم قدرتك على جبران ما يحدث منه لأنه (عليه السلام) كان في أصعب موقف بصفين^(٥٥).

والمهم عندنا الآن قوله (عليه السلام): «وَلَكَّ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصَّهْرِ وَحَقُّ الْمُسْأَلَةِ وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ» فالإمام (عليه السلام) يعدُّ من حقوق السائل على المسؤول أن يُجيبه عن مسألته إذا توفرت شروط الإجابة، بل السؤال هنا قد جاء في غير محله، لأنَّه في أصعب موقف من مواقف حرب صفين، وأنه لن يغير شيئاً بمعرفته ولن يستدرك ما فات. ثانياً: أن يعتذر عن الإجابة إذا كان جاهلاً بها، إذ ليس من العيب أن

به؟ فقال (عليه السلام): يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ^(٥٠)، تُرْسَلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ^(٥١) وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصَّهْرِ^(٥٢) وَحَقُّ الْمُسْأَلَةِ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ، أَمَّا الْإِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالْأَشْدُونَ بِالرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نَوْطاً، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثْرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَّتْ عَنْهَا نَفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكْمُ لِلَّهِ وَالْمُعُودُ إِلَيْهِ الْفِيَامَةُ.

وَدَعُ عَنْكَ مَهْبَا صِيحَ فِي حَجْرَاتِهِ (وَلَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ) وَهَلُمَّ الْخُطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ، وَلَا غَرَوْا وَاللَّهِ فَيَا لَهُ خَطْبًا يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَيُكْثِرُ الْأُودَ، حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شَرْبًا وَبَيْئًا، فَإِنْ تَرْتَفِعَ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحْنُ الْبُلُوى أَجْمَلُهُمْ مِنْ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾،

يقول الإنسان إذا سُئِلَ عن شيء لا يعرفه «لا أدري»، ولكن العيب أنه لا يدري ويستحي من قول «لا أدري»، أو يأنف أن يقوها!.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَنْ تَرَكَ قَوْلَ لَا أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ»^(٥٦)، ومقاتل الإنسان: المواضع التي إذا أُصِيبَتْ قتلته، ولذا قيل: أن لا أعلم نصفُ العلم.

لماذا التارك لقول «لا أدري» تُصَابُ مَقَاتِلُهُ؟.

لأن الذي يُريد أن يجيب عن كل سؤال، ويظن أنه يعرف كل شيء، ولا يجد حاجة لقول لا أدري فهذا لن يسعَ لكسب علمٍ ولا لتحصيل معرفة، ومن شعر الغرور بالعلم قول عَدِي بن الرَّقَاع:

وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ عَالِمًا
عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَرْدَادَهَا^(٥٧)

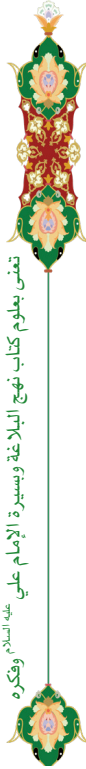
ومَن ادعى الاحاطة بالعلوم والأشياء فهو جاهل.

قل للذي يدعي في العلم معرفةً
عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء
ولهذا قال الله تعالى لنبيه الكريم
(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)^(٥٨)،

ومن يظن أنه يعرف كل شيء وبمقدوره الإجابة عن كل سؤال فسيوقع نفسه بالمهالك، ففي (العقد الفريد) قال مقاتل وقد دخلته أبهة العلم: سلوني عما تحت العرش إلى أسفل من الثرى، فقام إليه رجل وقال: ما نسألك عما تحت العرش ولا أسفل من الثرى، ولكن نسألك عما كان في الأرض، وذكره الله في كتابه، أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه؟ فأفحمه.

وفيه أيضا قال قتادة: ما سمعت شيئاً قط ولا حفظت شيئاً قط فنسيته، ثم قال: يا غلام هات نعلي، فقال هما في رجليك!^(٥٩).

إذن على المرء ألا يستحي ولا يأنف من قول «لا أدري» جواباً عما لا



الله سَائِلُهُمْ مُتَعَنَّتْ وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلَّفٌ
يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْيَا يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ
رَأْيِهِ الرِّضَا وَالسُّخْطُ وَيَكَادُ أَضْلَبُهُمْ
عُوداً تَنْكُوهُ اللَّحْظَةُ وَتَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ
الْوَاحِدَةُ» (٦١).

ومدخولون أي مصابون بعقولهم،
قد دخلت فيها العيوب، كيف
ذلك؟ قال: «سَائِلُهُمْ مُتَعَنَّتْ وَمُجِيبُهُمْ
مُتَكَلَّفٌ».

وقال عليه السلام في الحكمة ١٨٢:
«لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ كَمَا أَنَّهُ
لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ».

ثالثاً: أن يكون الجواب مناسباً
للسائل ملائماً له، وقد ورد الحديث
عن النبي (ﷺ): «إِنَّا مَعَاشِرُ
الْأَنْبِيَاءِ، أَمَرْنَا أَنْ نَكَلِمَ النَّاسَ عَلَى
قَدْرِ عَقُولِهِمْ» (٦٢)، إذن على المجيب أن
يجيب السائل على قدر عقله وبجواب
مناسب ومفهوم واضح، ومثاله من
النهج قوله (ﷺ) وَقَدْ سُئِلَ عَنْ
مَسَافَةٍ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَقَالَ

يعلمه، ولا ينبغي له أن يتحرّج من
ذلك، يقول أمير المؤمنين (ﷺ) وَقُلْ
رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا: «أَوْصِيكُمْ بِخُمْسِ لَوْ
ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا أَبَاطِ الْأَيْبِلِ لَكَانَتْ لِدَلِكِ
أَهْلًا لَا يَزُجُونَ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا
يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَسْتَحِينَ أَحَدًا إِذَا
سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ،
وَلَا يَسْتَحِينَ أَحَدًا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ
يَتَعَلَّمَهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ
مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا
خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ، وَلَا فِي إِيمَانٍ
لَا صَبْرَ مَعَهُ» (٦٠).

إذن على الإنسان ألا يستحي من:
قول لا أعلم إذا سُئِلَ عما لا يعلمه،
وأن يتعلّم ما لم يعلم.

وهكذا يرشدنا أمير المؤمنين (ﷺ)
إلى الأدب الكبير في الإجابة وفي تواضع
الإنسان للعلم وإقراره بالجهل، وهو
أدب غائب عند كثير من الناس
فلذا يقول الإمام (ﷺ): «وَالنَّاسُ
مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ



«مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ».

يعلق ابن أبي الحديد المعتزلي على هذا الجواب فيقول: «وهذا الجواب تسميه الحكماء جواباً إقناعياً؛ لأن السائل أراد أن يذكر له كمية المسافة مفصلة نحو أن يقول بينهما ألف فرسخ أو أكثر أو أقل فعدل (عليه السلام) عن ذلك وأجابه بغيره وهو جواب صحيح لا ريب فيه لكنه غير شاف لغليل السائل، وتحت غرض صحيح وذلك لأنه سأله بحضور العامة تحت المنبر، فلو قال له بينهما ألف فرسخ مثلاً لكان للسائل أن يطالبه بالدلالة على ذلك، والدلالة على ذلك يشق حصولها على البديهة، ولو حصلت لشق عليه أن يوصلها إلى فهم السائل، ولو فهمها السائل لما فهمتها العامة الحاضرون ولصار فيها قول وخلاف، وكانت تكون فتنة أو شبيهاً بالفتنة، فعدل إلى جواب صحيح إجمالي أسكت السائل به وقنع به السامعون

أيضاً واستحسنوه، وهذا من نتائج حكمته (عليه السلام)» (٦٣).

رابعاً: توضيح الجواب ما أمكن للسائل، وهذا من آداب الإجابة عن السؤال، إذ ينبغي للمجيب أن يوضح الجواب ما أمكن للسائل، وقد يحتاج المجيب إلى استخدام الإشارة وغيرها في توضيح جوابه، وهذا ما نستنتجه من فعل علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يوضح للسائل جوابه عن سؤاله، عندما قال: «أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِقَّةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرَّجَالِ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي، وَتُحْطِئُ السَّهَامُ، وَيُجِيلُ الْكَلَامُ، وَبَاطِلُ ذَلِكَ يُسُورُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ، أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ، فَسُئِلَ (عليه السلام) عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: **الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ**» (٦٤).



السؤال ودوره في الإثراء المعرفي دراسة في ضوء نهج البلاغة **المناقشة**

ثم توقفنا عند أدب السؤال وفنه من خلال تتبع نصوص نهج البلاغة، وما أكدت عليه من أدب وفن في طرفي السؤال وهما السائل والمجيب.

نتائج البحث

أولاً: السؤال حاجة نفسية ضرورية عند الإنسان.

ثانياً: السؤال قناة لنقل الأفكار والعلوم من جيل إلى جيل.

ثالثاً: السؤال أسلوب تربوي ناجح، لأنه يتواصل مع حاجة وجدانية عند الإنسان.

رابعاً: السؤال أسلوب ناجح في تنبيه السامع، فهو يثير اهتمامه ويحرك غريزة حب الاستطلاع لديه.

خامساً: السؤال طريقة ناجحة في رفع الرتبة وكسر الروتين، فعن طريق السؤال يُستجلب التأثير في المتلقي.

سادساً: السؤال أسلوب قرآني حاكاه الامام علي (عليه السلام)، فقد جاءت كثير من الآيات المباركات تحمل مضامينها

خامساً: ألا يطرح الجواب الصحيح في زحمة الأجوبة العديدة، فيخفى الجواب الصائب في زحمة الأجوبة الكثيرة، يقول الإمام علي (عليه السلام): «إِذَا أزدَحَمَ الجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ» (٦٥).

فإذا سُئِلتَ عن شيءٍ وأعطيت الأجوبة العديدة ستُعطي معها الحيرة للسائل بأيا يأخذ، وكذلك إذا كثر المجيبون عن السؤال، كلُّ واحد منهم بجوابٍ مختلفٍ فيكون الجواب كسفينية كثر سَفَنُهَا، ولذا قيل: اللغَطُ يوجبُ الغَلَطُ.

وهكذا نعرف أنه في زحمة الأجوبة وازدحامها يخفى الصواب.

وبهذا نكون قد تعرفنا على ما يمتلكه السؤال من أهمية تحدونا للالتفات إليها بغية استثمار السؤال كفرصة ثمينة للتعلم والتزود من المعرفة، وتعرفنا على معالم السؤال وملامحه في نهج البلاغة، وماذا يمثل السؤال في نظر أمير المؤمنين علي (عليه السلام)،

بقوالب سؤال، لما لأسلوب السؤال من جمال وتأثير على المتلقي. من سابغ: للسؤال أدبٌ وفن، ومن يُتقن فن السؤال وأسلوبه سيجني ثمار ذلك نجاحاً ومعرفة

ثامناً: آداب السائل: يُمكننا إجمال آداب السائل في نهج البلاغة بما يأتي: ١. أن يكون الهدف من سؤال السائل هو معرفة الحقيقة، فالسؤال النموذجي والمثالي هو الذي ينطلق من ساحة الرغبة في العلم والتطلع للمعرفة والإحاطة بالحقيقة. ٢. أن يكون السؤال للعلم وللعمل فيما يقتضي العمل به.

٣. أن يكون السؤال عن الأمور المهمة، التي هي مورد الابتلاء.

٤. أن يكون السائل حسن السؤال، أي يعرف فن السؤال وأدبه، لأن السؤال نصف الجواب.

٥. أن يكون السائل لطيفاً في سؤاله، فيطرح سؤاله بأدبٍ ولطفٍ ويتعد

عن الخشونة والجفوة.

تاسعاً: آداب المجيب: كما أن على السائل أن يُحيط بأدب السؤال فعلى المجيب أن يتحلّى أيضاً بأدب الجواب وفنه وهي:

١. احترام السائل واحترام السؤال، وهذا أدب مهم يجب أن نُدرّكه ونستوعبه إذ على المسؤول أن يُبدي احترامه للسؤال وللسائل ولا يتسهزء به لأنه استهزاء بالعلم والمعرفة. ٢. أن يعتذر عن الإجابة إذا كان جاهلاً بها، إذ ليس من العيب أن يقول الإنسان إذا سُئل عن شيء لا يعرفه «لا أدري».

٣. أن يكون الجواب مناسباً للسائل ملائماً له.

٤. توضيح الجواب ما أمكن للسائل. ٥. ألا يطرح الجواب الصحيح في زحمة الأجوبة العديدة، يقول الإمام

عليّ (عليه السلام): «إِذَا زِدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ».



الهوامش

١. شمس الدين، محمد مهدي، دراسات في نهج البلاغة، ص ٥.

٢. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ج ٧ ص ٣٠١.

٣. الجوهري، الصحاح في اللغة، ج ٥ ص ١٧ - ٢٣.

٤. ومن أمثلة السؤال الإنكاري في نهج البلاغة قوله (عليه السلام): «وَقَدْ سَمِعَ رَجُلًا يَذُمُّ الدُّنْيَا: «أَيُّهَا

الدَّامُ لِلدُّنْيَا الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا الْمُتَّخِذُ بِأَبْطَالِهَا

إِنْتَعَرُ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَدُمُّهَا، أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ

الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ أَمْ مَتَى عَزَّتْكَ؟

أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبَلَى، أَمْ بِمَصَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ

تَحْتَ الثَّرَى؟ كَمْ عَلَلَّتْ بِكَفَيْكَ؟ وَمَرَضَتْ

بِيَدَيْكَ؟ تَبَغِي لِمُ الشَّفَا وَتَسْتَوِصِفُ لِمُ الْأَطْيَأِ

عَدَاةً لَا يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ وَلَا يُجِدِي عَلَيْهِمْ

بُكَاءُكَ، لَمْ يَنْفَعِ أَحَدَهُمْ إِشْفَاؤُكَ وَلَمْ تُسَعَفْ فِيهِ

بَطْلِيَّتِكَ وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ! وَقَدْ مَثَلْتَ لَكَ بِهِ

الدُّنْيَا نَفْسَكَ وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ» الخطبة رقم: ١٣١.

٥. ومن أمثلة السؤال المتعدي إلى مفعوله بعن

السؤال ودوره في الإثراء المعرفي دراسة في ضوء نهج البلاغة

عليه السلام

الله، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةَ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً وَلَا تَقَرُّهُمْ
عَنِّي وَحُشَّةً...» الكتاب رقم: ٣٦.

٦. ومن الأمثلة في نهج البلاغة للسؤال بقصد

الحصول على المال في حال تعديه إلى المفعول

بنفسه قوله (عليه السلام) في وصيته لولده الحسن (عليه السلام):

«وَرَبِّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تَوْتَأَهُ، وَأَوْتَيْتَ خَيْرًا مِنْهُ

عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ...»،

وقوله (عليه السلام): «نَسَأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمُعَايِشَةَ

السُّعَدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ». الخطبة رقم: ٢٣.

٧. ومثال السؤال باستدعاء المال المتعدي بـ«من»

في نهج البلاغة قوله (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام):

«وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يُقَدَّرُ عَلَيَّ إِعْطَائِهِ

عَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ

الْأَرْزَاقِ». الكتاب رقم: ٣١.

٨. ومثال هذا كثير في النهج ومنه قوله (عليه السلام):

«وَيُؤَسِّلُنِي خَصْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ،

وَالسَّائِلُونَ وَالْمُدْفُوعُونَ، وَالْغَارِمُ وَابْنُ السَّبِيلِ»

الكتاب رقم: ٢٦.

٩. الإصفهاني، الراغب، المفردات في غريب

القرآن، ص ٢٥٠.

١٠. ابن منظور، لسان العرب، ج ١١ ص ٣١٨.

١١. الحكمة رقم: ٣٤٦.

١٢. الحكمة رقم: ٥٣.

١٣. الحكمة رقم: ٣٢٨.

١٤. الخطبة رقم: ٩١.

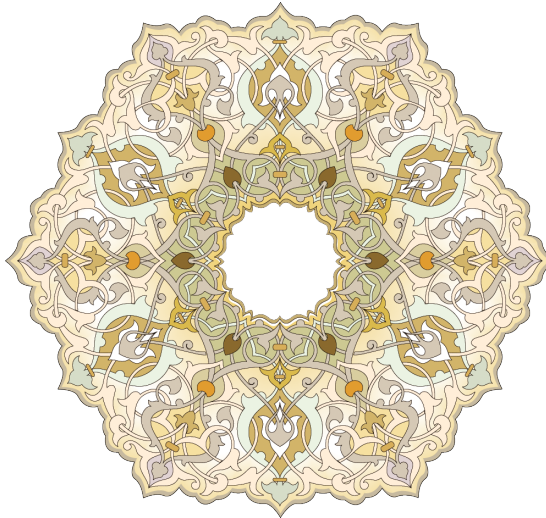
١٥. الخطبة رقم: ٩١.

١٦. الكتاب رقم: ٣١.

١٧. الخطبة رقم ٣٢. ص ١٣٤.
١٨. الكلام رقم: ٢١٠. ٣٦. الخطبة رقم ١٨٢.
١٩. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج ٣ ص ١٤٣. ٣٧. الحكمة رقم ٨٠.
٢٠. الخطبة رقم: ١٨٩. ٣٨. الحكمة رقم: ٧٩.
٢١. الخطبة رقم: ٧٨. ٣٩. الحكمة رقم: ٣٢٠.
٢٢. الخطبة رقم ٣١. ٤٠. الخطبة رقم: ٩١.
٢٣. الخطبة رقم ١٩٣. ٤١. الكتاب رقم: ٥٣.
٢٤. الخطبة رقم ٩١. ٤٢. الحكمة رقم: ٣٤٦.
٢٥. هذا من الأمثال ونهر الله أي البحر والمد والسييل فإنه يعلو كل الأنهار، ومَعْقِل هو الصحابي معقل بن يسار المزني وكان زياد قد حفر النهر وأحضر مَعْقِل المزني تبركاً به فُسِّمِي بنهر مَعْقِل وتُرك زياد. (انظر ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري، ج ١ ص ١٨٩).
٢٦. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦ ص ٤٢٥.
٢٧. الخطبة رقم ١٩٣. ٤٣. الحكمة رقم: ١٠٥.
٢٨. الحكمة رقم: ٤٥٧. ٤٤. الخطبة رقم: ٩١.
٢٩. الخطبة رقم: ١٤٧. ٤٥. الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٤٢٤.
٣٠. الخطبة رقم: ٥. ٤٦. الحكمة رقم: ٤٣٧.
٣١. الخطبة رقم: ٧٩. ٤٧. الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي ج ٢١ ص ١٥١.
٣٢. الخطبة رقم: ٩٩. ٤٨. الخطبة رقم: ١٩٣.
٣٣. الخطبة رقم: ٩٩. ٤٩. الحكمة رقم: ٣٢٠.
٣٤. الخطبة رقم: ٩٩. ٥٠. الوضين: بطان القتب وحزام السرج، أي أنك مضطرب.
٣٥. انظر كتاب الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، د. عباس الفحام،
٥١. أي أنه يتكلم في غير قصد وصواب.
٥٢. لأن النبي (ﷺ) كان متزوجاً من زينب بنت جحش وهي أسدية وأمها أميمة بنت عبد المطلب فهي ابن عمّة النبي (ﷺ)، وردّ ابن أبي الحديد على الراوندي قوله إن علياً (عليه السلام) كان متزوجاً من بني أسد. (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٢٤٣).
٥٣. الخطبة رقم: ١٦٢.
٥٤. الراوندي، قطب الدين، منهاج البراعة في



- شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ١٢٢. ٦٠. الحكمة: ٨٢.
٥٥. التستري، محمد تقي، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٩.
٦١. الحكمة رقم ٣٤٤.
٦٢. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١ ص ٢٣.
٥٦. الحكمة: ٨٥.
٥٧. البغدادي، خزائن الأدب ج ١١ ص ١٨٣.
٦٣. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٢٠٠.
٥٨. سورة طه: ١١٤.
٦٤. الخطبة رقم: ١٤١.
٥٩. الأندلسي، ابن عبد ربه، العقد الفريد ج ١ ص ١٦٠.
٦٥. الحكمة رقم: ٢٤٣.



مصادر البحث

٨. الزمخشري، جار الله، ربيع الأبرار ونصوص

الأخيار، تحقيق: عبد الأمير المهنا، مؤسسة

الأعلمي، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٩. شمس الدين، محمد مهدي، دراسات في

نهج البلاغة، دار الزهراء، بيروت، ١٣٩٢هـ-

١٩٧٢م، الطبعة الثانية.

١٠. عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، دار الذخائر،

إيران- قم، ١٤١٢هـ- ١٣٧٠ ش.

١١. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق

د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي،

مؤسسة المهجرة، إيران، ١٤١٠ هـ، الطبعة الثانية.

١٢. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق:

علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، إيران-

طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ ش.

١٣. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة

إساعليان، إيران- قم، د. ت.

١٤. الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم

والمواعظ، تحقيق: حسن البيرجندي، دار الحديث،

إيران- قم، الطبعة الأولى، د. ت.

القرآن الكريم

١. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، دار صادر،

لبنان- بيروت، د. ت. ط.

٢. ابن منظور، لسان العرب، أدب الحوزة،

إيران- قم، محرم ١٤٠٥هـ.

٣. البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق محمد نبيل

طرفي- إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية،

لبنان- بيروت، ١٩٩٨م، الطبعة الأولى.

٤. الجوهري، الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد

عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت،

الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٥. الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي، الطبعة

الثالثة.

٦. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد،

مفردات غريب القرآن، مكتب نشر الكتاب،

إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٧. الراوندي، قطب الدين، منهاج البراعة في شرح

نهج البلاغة، تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري،

مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة، إيران-

قم، ١٤٠٦هـ.



نافذة

السمين

تحقيقات لغويّة
للمُخْتَلَف من نسخ نهج البلاغة

أ. د. علي عباس الأعرجيّ
كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة



القسم الأول



السنة الثالثة - العدد السابع - ١٤٢٩ هـ / ٢٠١٨ م



الخلاصة

لا تنشأ الأمور من الصدفة؛ فكلّ ما يحصل يتجاذبه أمران، مجتمعان، اعتباريان يعودان إلى أمر حقيقي واحد هو الله.
الأول: التوفيق، وهو بيد الله.

الثاني: التفكير في كلام أولياء الله الصالحين؛ ومن الثاني أكد أهل البيت (عليهم السلام) التدبّر في كلامهم - بعد كلام الله - (حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان).

ومن هذا، وذاك حصل هذا الموضوع - موضوع البحث - من وحي نقاش مع الدكتور عباس الفحام حول موضوع كتبت فيه لمجلة تراثنا، وهو (الروابط الحجاجية في الخطبة الفدكية)؛ قلت له تسمّى هذه الخطبة أيضاً بـ(اللّمة)، فقال: هي بالتخفيف؛ فأمر المؤمنين يقول (ألا وإن معاوية قادمٌ من الغواة) بالتخفيف؛ فحصلت الفكرة، واتبعت الطريقة التجزيئية التبعيّة لكلامه (عليه السلام) في نهج البلاغة، وكان الضبط على النسخ المشهورة، من جهة، ونسخة اشتهرت لابن السكون الحلي (توفي حدود ٦٠٠ هـ).



المطلب الأول

توصيف المنهج المتبع

وليس من وكدي نقد المناهج بقدر التوصيف الفعلي والإجرائي لما سأسير عليه في دراستي هذه.

سار بعض دارسي اللغة الفصيحة على مناهج عدّة، في دراستهم النحوية، مرّة، واللغوية أخرى، نذكر منها:

أمّا المنهج النحويّ: ففيه طريقتان:

الأول: بناء المنهج على (المرفوعات، والمنصوبات، والمجزومات، والمجرورات)؛ فكلّ واحد من هذه الأقسام فيه مطالب وأصناف، يقوم الدارس بتحليلها تحليلاً ينسجم والحقل الذي ذُكر تحته.

وهذا المنهج - من الناحية المنهجية التقنية - له إيجابياته، وعليه سلبيات، ليس هنا وقت طرحها.

الثاني: يقوم الدارس بتوصيف عمله منهجياً على طريقة (الاسم، والفعل، والحرف)، وكلّ قسم يندرج تحته أصناف، مثلاً: الفعل: يقسم

سارت الدراسات اللغوية والنحوية - وفاقاً لرؤى أم غيرها - على مناهج قد تلامس الواقع اللغويّ، أو لا تلامس في أحيان كثيرة؛ فبعضها التزم بعامل الكثرة والشيوخ، وآخر ذهب إلى التوصيف المنهجيّ وحسب، وآخر اجترّ المادة العلمية اجتراراً على طريقة التقليد الأعمى الذي عادة ما يكون مؤخراً، وغير ذي ثمرة.

وهناك من يدرس اللغة وفاقاً لمنهج حديث؛ ولكنّه لا يعلم كيف يطبّقه؛ إذ لكلّ منهج امتيازات، وإيجابيات إذا دُرِسَ من جهة تلامس خطوطه العامّة، والخاصة أما إذا وضعنا المنهج وقررنا دراسة المادة العلمية من جهاتٍ شتّى، سنقع بالاضطراب، والنّوس، ولن نحصل على ثمرّة؛ بل قد نقع بالخطأ.



على (الماضي والمضارع، والأمر) وكلّ فعل منها له استعمالات دلالية، وزمنية.

وكذا الاسم وما يندرج تحته من أقسام يطول المقام بذكرها، للدارس الرجوع الى المدونات النحوية لمزيد فائدة.

وكذا الحرف وما يستكنه من معانٍ وحالات، وهي من ألجأت الرّماني (ت ٣٨٤هـ)، والمرادي (٧٤٩هـ)، وابن هشام إلى التّأليف فيه فكانت الحروف مسماة، موصوفةً بعدد حروفها، تستبطنها المعاني التي تنوعت بحسب السياقين الأكبر والأصغر. وأما المنهج اللغوي^(١) ففيه طرائق عدّة:

الأول: تقسيم المادة المجموعة على المستويات اللغوية الأربع (الصوتيّ، والصرفيّ، والنحويّ، والدلاليّ).

وكلّ قسم منها له فروع يقوم الجزء الذي يكون فيه.

الثاني: تقسيم المادة المجموعة على المستويات الدلالية كذلك، وثمة علاقة تقارب بين القسم الأوّل والثاني، ولكن يوجد فرق جوهريّ بينهما؛ ومهما كان فالنسبة بينهما عموم وخصوص من وجه.

وهذه المستويات (المستوى التركيبي، والمستوى الصرفي، والمستوى الدلالي) وغيرها مما يتعلّق بالدلالة. وثمة إضاءة لغرض التوضيح هي أنّ الدراسة الدلالية أوسع وأعم من الدراسة اللغوية؛ لأنّ علم الدلالة يتوسّل بعلوم جمّة بغية الوصول إلى المعنى أمثال: علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التاريخ، وغيرها، أما الدراسة اللغوية فميدانها الكلمة والكلام لا غير.

المطلب الثاني

منهجنا في هذه الدراسة

ما سأسير عليه في هذه الدراسة لا يمتّ بصلةٍ للمناهج والرؤى





تحقيقات لغوية للمختلف من نسخ نهج البلاغة، القسم الأول.....

المتقدّمة؛ لأنّ المادة التي سأدرسها تفرض عليّ هذا المنهج؛ وذلك لأمر:

١. إنّ السير على التقسيمات النحوية المعروفة (المرفوعات وووو)،

و(الاسم والفعل، والحرف) لا يفيدنا بشيء، أو قل: إنّهُ غير منتج،

ولا يلامس الغرض الذي من أجله تكوّنت هذه الدراسة؛ لأنّ

هذه التقسيمات تقوم بعزل الألفاظ المختلفة فيها عن البناء النصّي؛ ومن

ثمّ تغيب النظرة الكلية، والعامّة للكلام؛ فالتقسيمات المتقدّمة لا تعدو

أن يكون اللفظ مرفوعاً، أو منصوباً، أو غيره مما تفرضه موقعيّة الكلمة.

إنّ هذه النظرة المنهجية لا تعدو أن تكون منهجية تجريدية، وهي

إحصائية لغرض التأليف، ووضع المدونات لا غير.

٢. إنّ السير على المنهج اللغويّ، أو الدلاليّ، يمنع الباحث من تحصيل

النظرة الكلية للكلام المراد توجيهه (أعني به نهج البلاغة)؛ فالذي يريد المعنى متحصّلاً - في ما نحن بصدد عمله - يستوفي الأمور تجزيئياً لا موضوعياً.

وهنا أوّدّ توضيح المنهجين في هذا النوع من الدراسة:

فالدراسة الموضوعية، ولا سيما في مجال الدراسات القرآنية تفيد

كثيراً؛ فهي تفيد من يروم أن يقرأ قراءة منظومة؛ فالفائدة تعمّ وتزداد

إذا جمعنا شتات الآيات القرآنية التي تدرج تحت مسمّى واحد،

وموضوع بعينه.

أمّا الدراسة التجزيئية ففيها فائدة، ومنها بدأت أول تفاسير للقرآن الكريم (التفسير لما بين الدفتين)، أو

(من سورة الحمد إلى الناس).

والدراسات الموضوعية مورست من الرسول (ﷺ) والأئمة من بعده (عليهم السلام)؛ فحين يعظ، أو

يُسأل عن موضوع من موضوعات النحو الآتي:

١. إن الطريقة التجزيئية تجعل من الحياة يقوم الرسول (ﷺ)، أو الأئمة (عليهم السلام) بجمع الآيات المدرجة تحت عنوان جامع وحقل دلالي واحد فيستدلّ ويفسّر القرآن بالقرآن وعن طريق هذا التداخل - الموضوعي، وتفسير القرآن بالقرآن - تحصل النتيجة المرجوة والثمرة.

والدراسة - التجزيئية - تفيدها بالاستقصاء والإحصاء، وفهم المعنى العام للنص من دون عزله عن مقدّم الكلام ومؤخّره.

ولكلّ فائدته، وثمرته ليس هذا المقام مقام ذكرها.

فمنهجني في هذا البحث

يتبنى - الطريقة - التجزيئية والتسلسلية، لما ورد من اختلاف في النسخ الموجودة من كتاب (نهج البلاغة) كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومولى الموحّدين، وهذه الطريقة في عملي فيها فوائد، ولها ثمرات، وعلى

٢. إن الطريقة التجزيئية تساعد

الباحث في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) على استيفاء المادة العلمية للنص؛

فمثلاً يريد أن يبحث في خطبة من الخطب المعينة كخطبة المتّقين، ويبحث فيها عن لفظ معيّن ربّما لا يجده لو تتبعنا الطريقة الموضوعية سوى الجرد الإحصائيّ، لأننا في الطريقة الموضوعية نأخذ نماذج ونحيل في الهامش إلى الماثلات



تحقيقات لغويةً للمختلف من نسخ نهج البلاغة، القسم الأول..... (عليه السلام)

من الشواهد نفسها، وفي الطريقة التجزيئية نقوم باستيفاء كلامه جميعاً من أوّله إلى آخره.

٣. إنَّ الشريف الرضيّ عند جمعه كلام الإمام (عليه السلام) راعى إلى حدّ

ما التسلسل العلميّ، والمنطقيّ، والموضوعيّ لكلامه - أو كما يقول

الدكتور عباس الفحّام لاختياراته أساسان عامّان (الأسس الموضوعية، والأسس الفنية)^(٢)، أو قد تكون

اختياراته بأسسٍ (ذاتيّة، وموضوعية، ومنهجية)^(٣).

فنحن حين نسير على هذا الطريقة لانعدم الفائدة؛ لأننا هنا ووفقاً لهذا المنهج سنسير طويلاً والمنهج الذي اختطّه الشريف في جمعه، من دون ادنى تقاطع، وهذه الفائدة تتحصّل بالتجزئيّ، لا في الموضوعيّ.

٤. الفائدة المتحصّلة للدارس؛ فحين يقوم الدارس - كلّ دارسٍ - بتتبع كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في

الطلب الثالث

الأسباب المحتملة لاختلاف النسخ

لاختلاف النسخ أسبابٌ، قد تكون واحدةً منها هي السبب، وقد تكون جميعها متعاضدةً لاختلاف النسخ، منها:

١. اجتهاد الناسخ، قد تستعصي كلمة على الناسخ قراءةً؛ فيعمل اجتهاده للحصول على قراءة تتناسب

والسياق، أو يرسلها غفلاً. ٢. جهل الناسخ؛ إذ ليس كل الناسخين هم من أهل العلم، أو تلاميذ للعلماء المرام نسخ كتبهم، (بعضهم يكون النسخ له مهنة)؛ فعند قراءتهم نصّاً حَمال وجوه يكتبون ما عنّ لهم، أو قرّ في نفوسهم من دون إعمال نظر.

٣. طبيعة الخطّ فبعض الخطوط إمّا أن تكون قديمة، أو مكتوبة بخطّ غير مقروء، أو نوع الخطّ لم يجربهُ الناسخ؛ فعندما يقرّوه الناسخ يقع الوهم، والتوهّم به، مثال ذلك الخطّ الفارسيّ، أو الخطّ الكوفيّ القديم، وينعدم تعجّبنا إذا عرفنا أنه متأثر بالخط السريانيّ الذي لا يكتب الألفات الوسطية.

٤. انتقال النظر وله موردان: أمّا الأول فعادة ما يترك الناسخ عمله، ويذهب ليرتاح ثم يعاود النسخ؛ فعندما يعود يرجع لقراءة كلمة مماثلة في غير المكان الذي نسخ منه، ويستمر بالكتابة. وأمّا الثاني: فيكون في أثناء الكتابة يحصل انتقال النظر في الكلمة المماثلة؛ فيحصل التغيير في الكلام، ويحصل اللبس والخطأ.

٥. التلف والخرم الذي مُنيت به المخطوطات العربية بسبب عدم العناية بها، ولعدم وجود أماكن لحفظها، أماكن خالية من الرطوبة والآفات.

٦. اختلاف المدارس والمذاهب اللغوية، والعقائدية، وغيرها؛ فبعض النساخ يميل إلى المذهب الذي يعتنقه؛ فيغيّر في النصوص تبعاً لمذهبه؛ فإذا كان الناسخ مالكيّاً غير ما كان من أقوال الشافعيّ، وهكذا، وقد حصل معي هذا الأمر حين وجدتُ نصّاً ينسبه المؤلف للمالكيّ، وعند رجوعي إلى النسخ القديمة من المخطوط وجدتُ أنّ الناسخ قد



تحقيقات لغوية للمختلف من نسخ نهج البلاغة، القسم الأول.....
 شطب كلمة الشافعي وأبدلها بلفظ المالكي؛ لأن النسخ مالكي المذهب، وكذا يحصل الأمر في المذاهب اللغوية.

١. نسخة^(٤) من المطبوع من (نهج

٧. التحريف الذي يحصل في بعض الكتب القديمة، ويقوم بعض المؤرخين، واللغويين، والكلاميين بالنقل عن هذه النصوص المحرّفة، وبالتالي ينتشر التحريف بالنقل نصاً عن نصّ، وللرائي في الكامل لابن الأثير الفائدة حين يرجع إلى تاريخ الطبري؛ فالكامل يعدّ تهديباً لتاريخ الطبري.

٨. الإملاء على النسخ عن طريق إملاء النسخة، أو البلاغات التي عادة تكون مع عالم من العلماء لمقابلة نصّ معتبر وأصيل، في هذه الحالة يحدث خطأ في السماع، ويحصل الاختلاف.

١. نسخة مكتبة آية الله العظمى

السيد الكلبيكاني (رحمته) وهي بالرقم (٥٢٠٦٥)، وهي أهمّ النسخ من حيث الاعتبار والضبط، إذ هي مروية عن شيخ عن الشريف الرضي، وقد كتب على صحيفتها

المطلب الرابع

النسخ المعتمدة

أما وقد تبين للمتلقّي منهجنا

التي عُثر عليها إلى اليوم، وتاريخ

كتابتها ٤٦٩ هـ، أو ٤٩٩ هـ^(٨).

٣. نسخة فخر الدين نصيريّ طبع

مصورتها المرحوم حجّة الإسلام

والمسلمين الشيخ حسن سعيد (رحمته)

مدير مكتبة (جهل ستون) ومتوليها

في طهران، في ٣٢٣ صحيفة مكتوبة

بخطّ النسخ، وهي نسخة جيّدة

عليها عدّة بلاغات^(٩)، مكتوب

بآخرها (فرغ.... في الرابع من رجب

سنة أربع وتسعين وأربعمئة....).

٤. نسخة مكتبة نوّاب في مشهد

المقدّسة، المكتبة الرضوية بالرقم

(١٣٨٤٧)، في ١٧٦ صحيفة، مكتوبة

بخطّ النسخ، في آخرها (... في صفر

سنة أربع وأربعين وخمسة...)^(١٠).

وبسبب اعتماد المحقق على هذه

النسخ جعل من هذا التحقيق ذا قيمة

عالية يمتاز من غيره من التحقيقات،

فضلا عن جودة توجيهاته^(١١).

٢. نسخة^(١٢) من المطبوع من

أ. رواية الشيخ الحافظ أبي عليّ

بن أبي جعفر الطوسيّ (رحمته) (ت

٥١٥ هـ).

ب. رواية الشيخ المفيد أبي الوفاء

عبد الجبار المقرّي الرازيّ (رحمته)

(حيّا سنة ٥٠٣ هـ).

ج. رواية السيد أبي الرضا فضل

الله بن علي بن عبيد الله الحسنيّ

الراونديّ (رحمته) (ت ٥٧٠ هـ).

د. رواية رشيد الدين أبي جعفر

محمد بن عليّ بن شهر آشوب

السرويّ (رحمته) (ت ٥٨٨ هـ).

هـ. رواية النقيب الطاهر كمال

الدين حيدر بن محمد بن زيد

الحسينيّ (رحمته) (ت ٦٣٤ هـ)^(١٦).

٢. نسخة مكتبة آية الله العظمى

السيد المرعشيّ النجفيّ (رحمته) وهي

بالرقم (٣٨٢٧) في ١٦٥ صحيفة،

مكتوبة بخطّ النسخ^(١٧).

وهذه النسخة من أقدم النسخ



تحقيقات لغوية للمختلف من نسخ نهج البلاغة، القسم الأول.....^(١٤)

(نهج البلاغة، المختار من كلام أمير المؤمنين لجامعه الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى ت ٤٠٦هـ، مع ضبط الأديب الأريب علي بن محمد ابن السكون المتوفى حدود ٦٠٠هـ) ابن السكون، في ٦٨٤هـ^(١٤).

٢. النسخة الموجودة في المكتبة العطار، طبعة شعبة إحياء التراث والتحقيق، العتبة العلوية المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ.

وقد اعتمد المحقق نسختين، وثالثة هي قطعة من الكتاب، والنسخ على النحو الآتي:

١. نسخة مكتبة آية الله البروجردي (رحمته) قم المقدسة، بالرقم ١٥٧، مكتوبة بخط النسخ الجيد، في ٢٤٣،

ولكن نهج البلاغة ينتهي عند الصحيفة ٢٣٧ وما بعدها فيه بعض خطبة أمير المؤمنين المعروفة بـ (الدرة اليتيمة) والباقي تالف^(١٣).

وهذه النسخة منقولة من خط الشيخ الحسن بن يحيى بن كرم

٢. النسخة الموجودة في المكتبة السلیمانية في اسطنبول، من مخطوطات رئيس الكتاب بالرقم ٩٤٣، مكتوبة بخط النسخ الجيد، تقع في ٢١٩ ورقة، مكتوب في آخرها (تم الكتاب بحمد الله من نسخة كتبها علي بن محمد بن السكون، واتفق الفراغ منها في شوال سنة أربع وثمانين وستمائة - ٦٨٤هـ -)^(١٥).

٣. قطعة من نهج البلاغة، وهي نسخة العتبة العباسية المقدسة، نسخة كتبت بخط ابن الحداد البجلي الحلي، وهي في ١٦٧ صحيفة، تبدأ من أواخر الخطبة ١٩٤، أتم كتابتها سنة ٧٢٨هـ، وهي أجود

نسخة من حيث الضبط لضبط ابن السكون من دون أي لبسٍ، إذ كاتبها من العلماء وهو تلميذ العلامة الحلبيّ (ت ٧٢٦هـ)^(١٦)؛ فضلا عن كونه أديبا، خبر الأدب ومقاماته، وهو من مجتهدِي اللغة بلا شكّ رأيت ذلك في شرحه لقصيدة بانث سعاد في كتابه (منهج القصاد في شرح بانث سعاد)، بتحقيقي، وعلى ثلاث نسخ خطيّة.

عملي في هذا البحث

الحقيقة وقبل أن أبدأ برسم طريقة العمل، هذا العمل هو مشروع أطروحة دكتوراه كنت قد طرحته على طلبة الدراسات العليا في جامعة الكوفة، ولما وجدت صعوبة المادة، وعدم الكفاية انبريت له؛ فهكذا عمل لا يتقنه إلا خريّت الصناعة، فضلا عن البلاغة والأدب اللذين هما جناحا المحقق.

ويتلخّص عملي بالترجيح بين الروايات، والنسخ التي ذُكرت

في نسختي التحقيق أنفتي الذكر، ويكون الترجيح بالاستعانة باللغة ومقاماتها، والسياقات التاريخية، والثقافية، واللغوية.

وكذلك العمل على تصويب الظواهر الصوتية، وتوجيهها من همزٍ، وإعلال وإبدال، وقلب، وما شابهها من ظواهر صوتية.

كذلك العمل على الترجيح الصرفي بين الأبنية، وفي ضوء حاكمية السياق، وضرورة المدونة الصرفية ومعاني الأبنية.

كما سأبيّن الفروق اللغوية-الدلالية بين الروايات المختلفة، كما في (نعماءه، وبقائه) في الخطبة الأولى، وأمثالها كثير.

كذلك أودّ أن ألمح إلى الابتعاد عما اختلف فيه من كلام الشريف الرضيّ (رحمته).

ولما تبين لك منهجي، وطريقة عملي، يكون هذا أوان المقصود،





تحقيقات لغوية للمختلف من نسخ نهج البلاغة، القسم الأول.....^(١٧)

والعمل على قدر المجهود، ومنه التوفيق، وعليه التكلان، وصلى الله على نبينا محمد وآله الأطهار، والحمد لله أولاً وآخراً.

المطلب الخامس

التحقيقات اللغوية في الخطبة الأولى^(١٧)

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض،

وخلق آدم (عليه السلام)

١. نعماءه^(١٨)، وبقاءه

في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «لَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ».

رواية (بقاءه) غير موجودة في شروح نهج البلاغة، وهي في ما يبدو من غلط النسخ، ولكن يمكن أن يكون فيها وجه، وهو: إن العادين لا يمكن أن يقوموا بإحصاء بقاء الله تعالى في الوجود؛ لأن الله أول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، ومن هم العادون حتى يحصوا بقاء الله؛ إذ هذا الأمر غير ممكن عقلاً؛ فالبقاء لا يمكن إحصاؤه.

أما (نعماءه)، فمأخوذ من النعمة، قال الخليل (ت ١٧٥هـ): (والنعماء اسم النعمة... والنعمة: اليد الصالحة، وأنعم الله عليه، وجارية ناعمة منعمة، وأنعم الله بك عينا، ونعم بك عينا، أي: أقر بك عين من تحب، وتقول: نعمة عين، ونعماء عين، ونعام عين)^(١٩).

قال الجوهرى: والنعمى كالنعمّة، فإن فتحت النون مددت فقلت النعماء، والنعمى مثله، وفلانٌ واسع النعمّة؛ أي واسع المال^(٢٠).

والنعمى والنعماء والنعم والنعمّة - الخفض والدعة والمال، وجمع النعمة أنعم كشدّة وأشدّ وقد تنعم والنعمّة - التنعم والنعمّة - الغنى والمال^(٢١).

والناعمة، والمناعمة، والمنعمّة: الحسنّة العيش والغذاء المترفة، النعمّة: اليد البيضاء الصالحة والصنيعة والمنة وما أنعم به

تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً

وَبَاطِنَةً﴾^(٢٣)؛ فهنا نِعْمُهُ أَعْمٌ من أن تكون مادية أو معنوية.

أما عن أصل نِعْمَاء فأصلها نُعْمَى ولما فتحت النون مددت فقلت النِّعْمَاء؛ وفي هذا المدّ دلالة على نعم الله الممتدة، والمستمرة.

ونِعْمَاء ليست جمعًا؛ وإنما لفظ دلّ عليه، ولا يناسب جعله جمعًا ولا مصدرًا ولا صفة^(٢٤).

وهنا كلام جميل لابن أبي الحديد أحبّ أن أورد له: (وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «لَا يَخْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ» بلفظ الجمع سرٌّ عجيب؛

لأنه تعالى أراد أن نعمة واحدة من نعمه لا يمكن العباد عدّ وجوه كونها نعمه، وأراد أمير المؤمنين (عليه السلام)

أن أصول نعمه لا تحصى لكثرتها، فكيف تعدّ وجوه فروع نعمائه،

وكذلك في كون الآية^(٢٥) واردة بلفظة «إن» الشرطية وكلام أمير المؤمنين

ونِعْمَةُ الله، بكسر النون: مِنْهُ وما أعطاه الله العبد مما لا يُمكن غيره أن يُعْطِيَهُ إياه كالسَّمْع والبَصَر، والجمعُ منهما نِعْمٌ وَأَنْعَمُ، وقوله عز وجل: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

ومما تقدّم لنا إيجاز معانيها في المعجمات، وهي مهما تكن فهي قد تدلّ على المعاني الحسيّة والمعنوية، وعلى الآتي:

١. اليد الصالحة.
 ٢. سعة المال.
 ٣. حسن العيش (المادي)، والغذاء.
 ٤. نعم الله من سمع وبصر، وحفظ، وما شاكلها.
 ٥. المنة.
 ٦. الخفض والدعة.
- أو ما يدلّ على الأعمّ من (الحسيّ) المادّي والمعنوي، كقوله



تحقيقات لغوية للمختلف من نسخ نهج البلاغة، القسم الأول.....**الغوص**

(عليه السلام) على صيغة الخبر، تحته لطيفة عجيبة؛ لأنه سبحانه يريد أنكم إن أردتم أن تعدوا نعمة لم تقدروا على حصرها، وعلي (عليه السلام) أخبر أنه قد أنعم النظر، فعلم أن أحدا لا يمكنه حصر نعمه تعالى^(٢٦). والله العالم.

٢. غوص، وغور^(٢٧)

في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «ولا يناله غوصُ الفطن».

- وما عرضنا نجد معاني تدرج تحت معنيين كليين: الأول مادي، والثاني معنوي، وهي على الآتي:
١. النزول تحت الماء.
 ٢. الغوص في الماء.
 ٣. الهجوم على الشيء.
 ٤. اشتقاق المهنة منه (الغياصة).
 ٥. هجوم على أمر متسفل، أي: أسفل كل شيء.
 ٦. مطلق النزول تحت الماء، بعمق أم بغيره.
 ٧. استنباط العلم بالغوص في جزئياته.

قال الجوهري: الغوص: النزول تحت الماء، وقد غاص في الماء، والهاجم على الشيء غائص، والغواص: الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ، وفعله الغياصة^(٢٨). ويذكر ابن فارس أن (غ، و، ص) أصل صحيح يدل على هجوم على أمر متسفل من ذلك الغوص الدخول تحت الماء، والهاجم على الشيء غائص، وغاص على العلم الغامض حتى استنبطه. ويقول ابن منظور الغوص:

٨. موضع استخراج اللؤلؤ.

ونستنتج من السابق أنّ الغوص: هو الورود إلى باطن شيء والتحرّك فيه، فيكون المعنى أن الله سبحانه لا يُنال كنهه، إذ مهما بالغ العقلاء في الغوص بالبحث عن معرفته لا يمكنهم ذلك.

والله عزّ وجلّ المنزّه المتعالي عن كلّ حدّ وحجاب، وأي حدّ سواء أكان حدًّا مادّيًّا، أم حدًّا خارجيًّا، أو حدًّا ذاتيًّا؛ فهو تعالى الوجود الحقّ، والنور المطلق؛ لا حدّ له، ولا وصف، ولا خصوصيّة، وهو فوق التخيّل والتصوّر والتعقل، فلا يُنال ببعده المهمم، ولا بغوص الفطن.

أمّا غور فتحمل معاني، جاء في اللسان: غور: غورٌ كلّ شيء: قَعْرُهُ، يقال: فلان بعيده الغور، وفي الحديث: إنكم قد أخذتم في شُعْبَيْنِ بَعِيدَيِ الْغَوْرِ؛ غورٌ كلّ شيء: عَمَقُهُ وبعده، أي يبعُد أن تدركوا

حقيقة علمه كالماء الغائر الذي لا يُقدَّر عليه؛ ومنه حديث الدعاء: ومن أبعَدُ غورًا في الباطل منّي. وقال الباهلي: كل ما انحدر مسيله، فهو غورٌ، وقال الفراء: أغار لغة بمعنى غار، وقال الجوهري: غارٌ يَغورُ غورًا؛ أي أتى الغور، فهو غائرٌ.

قال ابن الأثير: الغور ما انخفض من الأرض، والجلّس ما ارتفع منها، يقال: غار إذا أتى الغور، وأغار أيضًا، وهي لغة قليلة^(٣٠).

وفي التاج: والغور، أيضًا: الدُّخول في الشيء، كالغور، كقعود، والغيار، ككتاب الأخيّة عن سيّويه، ويُقال: إنك غرت في غير مغار، أي دخلت في غير مدخل^(٣١).

وأيضا: والغور: ذهب الماء في الأرض، كالتغوير، يقال: غار الماء غورًا وغورًا، وغورًا، ذهب في الأرض وسفلَ فيها^(٣٢).



ومما تقدّم لنا استيفاء المعاني الكلية لهذه المادة، وعلى النحو الآتي:
 ١. بعيد القعر، وغور كل شيء عمقه.
 وهذا المعنى.

٢. الماء الغائر في الأرض مشبهاً بالعلم، ووجه الشبه البعد.

٣. منحدر المسيل.

٤. إتيان الغور، وهي منطقة في الجزيرة العربية.

٥. كل ما انخفض من الأرض.

٦. الدخول في الشيء.

فيكون المعنى المراد من هذه المادة، في سياق الخطبة أن الله تعالى لا يناله غور الأفكار الباحثة عن كنهه، ومعرفة ذاته، ومهما بلغ الداخل في البحث عنها، لأنّ المتناهي لا يدرك اللامتناهي.

وإسناد الغوص هاهنا إلى الفطن (غوص الفطن) جاء على سبيل الاستعارة؛ إذ الحقيقة إسناده إلى

وإسناد الغوص هاهنا إلى الفطن (غوص الفطن) جاء على سبيل الاستعارة؛ إذ الحقيقة إسناده إلى

وإسناد الغوص هاهنا إلى الفطن (غوص الفطن) جاء على سبيل الاستعارة؛ إذ الحقيقة إسناده إلى

وإسناد الغوص هاهنا إلى الفطن (غوص الفطن) جاء على سبيل الاستعارة؛ إذ الحقيقة إسناده إلى

وإسناد الغوص هاهنا إلى الفطن (غوص الفطن) جاء على سبيل الاستعارة؛ إذ الحقيقة إسناده إلى



الحيوان بالنسبة إلى الماء، وهو مستلزم لتشبيهه المعقولات بالماء، ووجه الاستعارة هاهنا إنّ صفات الجلال، ونعوت الكمال لما كانت في عدم تناهيها والوقوف على حقائقها، وأغوارها تشبه البحر الخضمّ الذي لا يصل السائح له إلى ساحل، ولا ينتهي الغائص فيه إلى قرار، وكان السائح لذلك البحر، والخائص في تيّاره هي الفطن الثاقبة لا ريب أن كانت الفطنة شبيهة بالغائص في البحر فأسند الغوص إليها^(٣٣).

وقد يكون معنى قول أمير المؤمنين (لا يدركه غوص الفطن): أي: لا يدركه هجوم الافهام على امر مستقبل؛ بل انما يُعرف - تبارك وتعالى - بالدلائل المحسوسة من افعاله، أو بالوجود نفسه، واعتباره وانقسامه.

ويحتمل ان يكون معنى قول مولى الموحدّين (لا يدركه غوص

الفطن) على عادة العرب، وهو إثمهم يقولون: لو سقانا نوء كذا، لأمنا بالله وعرفنا وحدانيّته، ولو رزقنا الله أنّنا نحيا، لعرفنا أنّ الله الذي لا إله الا هو، ففي ذلك الطّريق يقال: لا يدركه هجوم الإفهام على أمر مستقبل متوقّع.

وقال بعض المحققين معنى قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا يدركه غوص الفطن) إنّ العقل عاجز عن إدراك عجزه، كما أنّ الوهم بالضرورة عاجز عن إدراك المعقولات، وإدراك العقل عاجز عن إدراك عجزه الحقيقي؛ فكيف يتعجّب المتعجّبون أنّه عاجز عن إدراك حقيقة الحق، وحقيقة علمه، وتفصيل معلوماته ومقدوراته، والتقدير الالهيّ الذي هو ينبوع الوجود الحادث^(٣٤).

أما غور فلم يسمع أنهم بالغوا أن قالوا: فلان بعيد الغور، بل يقولون فلان يغوص في الفكر، وهو البديل





تحقيقات لغوية للمختلف من نسخ نهج البلاغة، القسم الأول.....

البيان

المجازي للدرر واللالئ.

من هذا يترجح عندي مادة (غوص)، لكثرة استعمالها، ولدلالاتها على الأمور المعنوية، فضلا عن ذلك قد يكون ما حصل هنا هو من فعل النسخ (التصحيح والتحريف)؛ بسبب القراءة المغلوطة للنص؛ فالكلمتان متشابهتا الرسم (غوص، غور)؛ فالناظر لنهاية (الصاد، والراء) ولا سيما إذا كتب الخط بالخط الأندلسي (غوص، غور) هكذا، وكذا الخط الفارسي. والله أعلم.

أيس وليس، ومعناه: من حيث هو ولا هو^(٣٦)، وقال: إن (ليس) معناها: لا أيس، أي: لا وجد^(٣٧).

وليس: كلمة نفي، وهو فعل ماضٍ، وأصلها ليس بكسر الياء^(٣٨)، فسكنت استثقلا، ولم تقلب ألفا؛ لأنها لا تتصرف، من حيث استعملت بلفظ الماضي للحال^(٣٩).

لا أريد الخوض بفعاليتها، والخلاف الحاصل فيها، وأصولها السامية^(٤٠) بقدر ما أبحث عن معناها إن وردت في الجملة.

في معناها يقول إمام النحاة: (فمعنى ليس النفي كما أن معنى كان الواجب وكل واحدٍ منهما يعني كان، وليس إذا جرّده فهذا معناه؛ فإن قلت ما كان أدخلت عليها ما يُنفى به؛ فإن قلت ليس زيد إلا ذاهبا أدخلت ما يوجب كما أدخلت ما ينفى، فلم تقوَ ما في باب قلب المعنى كما لم تقوَ في تقديم الخبر)^(٤١).

٣. ليس، ولا^(٣٥)

في قول أمير المؤمنين: «الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ» (الذي لا لصفته حدّ محدود).

جاء في العين: ليس: كلمة جحود، قال الخليل: معناه: لا أيس، فطرحت الهمزة وأزقت اللام بالياء، ودليله: قول العرب: اتئني به من حيث

جاء في العين: ليس: كلمة جحود، قال الخليل: معناه: لا أيس، فطرحت الهمزة وأزقت اللام بالياء، ودليله: قول العرب: اتئني به من حيث

جاء في العين: ليس: كلمة جحود، قال الخليل: معناه: لا أيس، فطرحت الهمزة وأزقت اللام بالياء، ودليله: قول العرب: اتئني به من حيث

وأكد ابن هشام نفيها ف (ليس) عنده كلمة دالة على نفي الحال^(٤٢)، عند الإطلاق^(٤٣).

فضلاً عن أن النفي بالأدوات المختصة يكون أكد، وأبلغ من النفي بالأدوات غير المختصة.

ومما تقدّم يكون معناها نفي النسبة بين الفاعل والخبر، من دون نظر إلى زمان أو مكان، وفيها معنى التحقق، والتأكد لقرب صيغته من الماضي المتصرّف^(٤٤).

وهذا يتأكد قول أمير المؤمنين «الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مُحَدُّودٌ»؛ أي: لا نهاية لكونه مختصاً بالوجود؛ لأنه قديم، وليس لعالميته حدّ، على معنى أنّه لا ينتهي الى معلوم لا يعلمه^(٤٩).

وهذا هو الفرق بينه وبين ما ولا النافيتين، مع كونها حرفين^(٤٥).

أو يعني بالحدّ هنا أنه: مركب من الجنس، والفصل، يكون للموصوفات الذي لا وحدة له^(٥٠)، ونفيه هذا الكلام بـ (ليس) نفي الحال الذي يمكن أن يوصف بها. يتحصّل لك من هذا كيف أنّ رواية النفي بـ (ليس) أقوى وأفضل من النفي بـ (لا).

والحالة التركيبية للفظة (ليس) (لا + آيس) أي الوجود تدلّ دلالة قطعية على نفي الموجود المناظر له سبحانه، فهذه الصيغة تدلّ على الاستغراقية في النفي^(٤٦).

أمّا (لا النافية)^(٤٧)، فهي أقدم حروف النفي في العربية^(٤٨)؛ والنفي فيها لا يدلّ على هذا التحقق المراد من تأكيد نفي النسبة بنفيها زمانياً ومكانياً، ولا تنفي الحال أيضاً؛ فهي تفيد مطلق النفي موضوعاً، لا حالاً.

٤. وتَدّ، ووتَدّ^(٥١)

في قول أمير المؤمنين «وَوَتَدّ بِالصُّخُورِ»

الوتد: بالكسر: واحد الأوتاد، وبالفتح لغة، وكذلك الود في لغة



تحقيقات لغوية للمختلف من نسخ نهج البلاغة، القسم الأول.....

من يدغم، تقول: وتدت الوتد وتدا، وإذا أمرت قلت: تَد وتذك بالميتدة، وهي المدق، والوتدان في الاذنين: اللذان في باطنهما كأنهما وتد، قال الأصمعي: يقال وتد واتد، كما يقال: شغل شاغل، ووتد الرجل: أنعظ^(٥٢).

وأوتاد الأرض: الجبال؛ لأنها تثبتها، وأوتاد الفم: الأسنان، وكله على التشبيه بالوتد^(٥٣).

وتدلّ هذه المادة بمجملها على إدخال شيء في محلّ وإحكامه فيه، كإدخال مسمار، أو خشب، أو حجر في محلّ مع الإحكام والشدّ، ومفهوم الإثبات من لوازم الأصل^(٥٤).

وهو من باب ضرب كالوعد، ويشتق منه كما في الوعد، والوتد في الأصل صفة كالحشن ويطلق على شيء كالمسمار، وغيره يدخل في محلّ، ويحكم ويشدّ فيه^(٥٥).

ويعني به أمير المؤمنين: ثبت

بسبب الجبال اضطراب الأرض، وحركتها؛ فهي كالوتدّ مانعة عن تزلزها واضطرابها وهذا الكلام اقتباس من القرآن العظيم^(٥٦) كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَايِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^(٥٧)، وأيضاً قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَايِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾^(٥٨)، وأيضاً قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾^(٥٩).

أما الفرق بين التعبيرين؛ فوتد على التخفيف تعطي معنى وضع الأشياء (الأوتاد)، من دون مزيد عناية، ومبالغة بالأمر.

أمّا وتد ففيها معنى المبالغة، لأنّ التشديد يعطي هذه الزيادة^(٦٠)، أي بالغ في زيادة التوتيد، وإحكامه.

وفي معنى (وتد) معنى التثبيت للأرض؛ أي: ثبتت بواسطة الصخور الأرض، وجعلها ثابتة كالوتد الراسخ في الأرض؛ وعلاقة الشبه أن

الوتد ثابت في الأرض مثبت لغيره، كذلك الجبال هي ثابت للأرض مثبتة للأرض؛ إلا أن الوتد ليس من جنس الموتد فيه على عكس الجبال فهما من جنس واحد.

فضلاً عن ذلك عملية وضع الوتد، تتناسب والواضع؛ فالواضع مُحْكَمٌ لوضعه، فهذا التعبير منه (عليه السلام) لتأكيد فعل الله تعالى.

وهنا لم ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) الصخور، ولم يذكر الجبال؟

لأن إطلاقه على كل مرتفع صخري صخوراً أبلغ؛ فبعض الصخور التي هي من المرتفعات الضخمة لا ترقى إلى أن تكون جبلاً كما هو الحال الآن في العلم الحديث (الجبل ما كان ارتفاعه ألف متر فصاعداً)، وما دون ذلك فهو مرتفع صخري لمسمى آخر (التل) (٦١). أو السهل (٦٢). والله العالم.

٥. ميدان (٦٣)، وميدان (٦٤)

في قول أمير المؤمنين «وَوَتَدٌ بِالصُّخُورِ مَيْدَانٌ أَرْضِهِ».

ولا مندوحة من الرجوع إلى اللغة لتبيان معاني اللفظتين، ففي نهاية ابن الأثير: «لما خلق الله الأرض جعلت تيمد فأرساها بالجبال» ماد يميد، إذا مال وتحرك.

ومنه حديث علي (عليه السلام) «فَسَكَنْتَ مِنَ الْمَيْدَانِ بِرُسُوبِ الْجِبَالِ» هو بفتح الياء: مصدر ماد يميد (٦٥).

في اللسان: ماد الشيء يميد: زاغ وزكا؛ ومدته وأمدته: أعطيته، وامتأده: طلب أن يميده، وماد أهله إذا غارهم ومارهم (٦٦)، ومادت الأغصان: تمايلت، وغصن مائدٌ ومياد: مائل (٦٧).

والميدان، بالفتح ويكسر، وهذه عن ابن عبّاد، أي معروف، الميادين، قال ابن القطّاع في كتاب الأبنية: اختلّف في وزنه، فقليل فعلان، من ماد يميد إذا تلوّى واضطرب،



البيان

تحقيقات لغوية للمختلف من نسخ نهج البلاغة، القسم الأول.....

ومعناه أَنَّ الحَيْلَ تَجُولُ فِيهِ وَتَتَشَى
مُتَعَطِّفَةً وَتَضْطَرِبُ فِي جَوْلَانِهَا، وَقِيلَ
وَزَنَهُ فَلَعَانٌ مِنَ الْمَدَى وَهُوَ الْغَايَةُ،
لِأَنَّ الحَيْلَ تَنْتَهِي فِيهِ إِلَى غَايَاتِهَا مِنْ
الجَزْيِ وَالْجَوْلَانِ، وَأَصْلُهُ مَدْيَانٌ
فَقُدِّمَتِ اللَّامُ إِلَى مَوْضِعِ الْعَيْنِ
فَصَارَ مِيدَانًا، كَمَا قِيلَ فِي جَمْعِ بَازٍ
بِيزَانٍ، وَالْأَصْلُ بِزْيَانٌ، وَوَزَنُ بَازٍ
فَلَعٌ وَبِيزَانٌ فَلَعَانٌ، وَقِيلَ وَزْنُهُ فَيَعَالٌ
مِنْ مَدَنٍ يَمْدُنُ إِذَا أَقَامَ، فَتَكُونُ الْيَاءُ
وَالْأَلْفُ فِيهِ زَائِدَتَيْنِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ
الحَيْلَ لَزِمَتِ الْجَوْلَانَ فِيهِ وَالتَّعَطُّفَ
دُونَ غَيْرِهِ (٦٨).

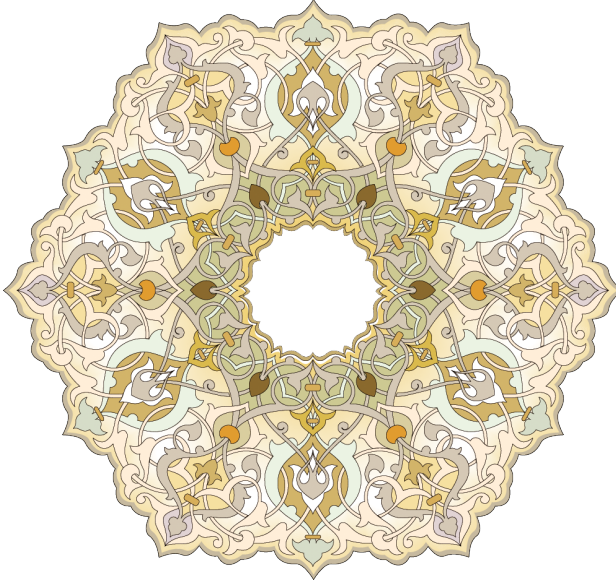
كَلَّمَا الْمَادَّتَيْنِ تَدْلَانِ عَلَى الْحَرَكَةِ؛
إِلَّا أَنَّ (مِيد) وَعَاءَ الْحَرَكَةَ، وَ(مِيد)
هِيَ الْحَرَكَةُ.
فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ إِنَّهُ لَا مَسْوَعٌ
مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى مُرَادِفِهِ؛ أَعْنِي
إِضَافَةَ الْمِيدَانِ (بِالْتَسْكِينِ) الَّتِي
بِمَعْنَى الْأَرْضِ، إِلَى (أَرْضِهِ) الَّتِي
فِي كَلَامِهِ (وَوَتَّدَ بِالصَّخُورِ مِيدَانِ
أَرْضِهِ).

وَاللَّفْظَانِ يَدْلَانِ عَلَى الْحَرَكَةِ
وَالْاضْطِرَابِ إِلَى شَتَى الْاِتِّجَاهَاتِ مَعَ
لِحَاطِ الظَّرْفِ وَالْمَظْرُوفِ.
وَكَذَلِكَ تَدَلُّ هَذِهِ الْمَادَّةُ عَلَى
الإِعْطَاءِ، وَالزُّوْعَانِ، وَالزُّكَاةِ
(الكَثْرَةِ)، مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ (مَائِدَةٌ)؛
فَمَادَّتُهَا الْأَصْلِيَّةُ (الْمِيد) هِيَ الْاِنْبِسَاطُ،
وَمِنْ هُنَا قَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى الْمُرَادُ إِذْ
الْجِبَالُ وَوُجِدَتْ مِنْهُ تَعَالَى لِتَعَادُلِ
اِنْبِسَاطِ الْأَرْضِ فِي الْفِضَاءِ.

وَالنَّاطِرُ لِهَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ يَظُنُّ أَنَّ مَا
حَصَلَ هُنَا مِنْ تَغْيِيرٍ هُوَ مِنَ الْإِبْدَالِ
الْحَرَكَيِّ، وَلَكِنْ هُنَا الْأَمْرُ مُخْتَلَفٌ
فَلَيْسَ كُلُّ تَغْيِيرٍ فِي الْحَرَكَةِ يُقَالُ لَهُ
ذَلِكَ (لِأَنَّ الْإِبْدَالَ الْحَرَكَيَّ لَا يَغْيِرُ
الْمَعْنَى عَادَةً)؛ إِذْ بَعْضُ التَّغْيِيرَاتِ
تُؤَدِّي إِلَى تَغْيِيرِ الْمَعْنَى، وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى
وَاحِدًا، وَالْجُذْرُ وَاحِدًا (مِيد).

وَأَنَا مِيَالٌ إِلَى رَأْيِ الْبِيهَقِيِّ، يَقُولُ:
(مِنْ رَوَى مِيدَانٌ بِجُزْمِ الْيَاءِ فِرْوَايْتَهُ)

ضعيفة، لأنّ اللفظ من: ما ديميد؛ (مَيّدان). والله العالم.
 اذا تحرّك، ومصدره الميدان بفتح الياء هذا نهاية القسم الأوّل من تحقيق
 كالنّزوان)^(٦٩). الروايات المختلفة من نسخ نهج
 وهنا تترجّح رواية النسخة البلاغة الخطبة الأولى. والحمد لله
 المضبوطة من ابن السكون الحليّ أوّلاً وآخرًا.



الهوامش

١٥. نفسه: ٣٨.
١٦. نهج البلاغة، ضبط ابن السكون، تحقيق العطار، مقدمة المحقق: ٤٣-٤٥.
١٧. في (أ): الصحيفة: ٤٥، وفي (سكون): ٦٧.
١٨. وفي بعض النسخ (نعمه). انظر: (أ): ٤٦ الهامش: ٢، انظر: منهاج البراعة: ٢٦/١، وهو جمع (نعمة)، وقد يجمع جمع قلة على (أنعم).
١٩. العين: ٢ / ١٦٢، وانظر: الصحاح: ٥ / ٢٠٤٣.
٢٠. الصحاح: ٥ / ٢٠٤٣.
٢١. انظر: المخصص: ج ٣ ق ٣ (السفر الثاني عشر): ٢٩٠.
٢٢. اللسان: ١٢ / ٥٨٠.
٢٣. لقمان: ٢٠.
٢٤. التحقيق في كلمات القرآن: ١٢ / ١٧٩.
٢٥. يقصد سورة إبراهيم: ٣٤ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾.
٢٦. شرح ابن أبي الحديد: ١ / ٦٥-٦٦.
٢٧. هذا الاختلاف في النسخة موجود فقط في النسخة (سكون): ٦٧، وفي الخطبة (٩٣) رواية أخرى في موضع وموضوع آخرين، وهي الخطبة: (وفيها يصف الله تعالى ثم يبين فضل الرسول الكريم وأهل بيته ثم يعظ الناس) وقد ورد قوله (لا يناله حدسُ الفطن). انظر: (أ): ١٨٢، و(سكون): ٢٢٩.
٢٨. انظر: الصحاح: ٣ / ١٠٤٧.
٢٩. اللسان: ٧ / ٦٢.
١. أعني بالمنهج اللغوي الذي يلائم عملنا هنا، وإلا المناهج اللغوية كثيرة، وهنا ليس مقام الحديث عنها.
٢. انظر: مجلة كلية الفقه: ٢٠١٧.
٣. بعد قراءة بحث الأستاذ الدكتور عباس الفحام، تحضلت أسبابٌ لمنهج الشريف الرضي في جمعه، ليس هذا مكان طرحها، سأفرد لها بحثاً خاصاً، وهذه الإنارة أفدناها من بحثه المعتر؛ فشكراً جزيلاً له.
٤. سأرمز لها بالنسخة (أ).
٥. مقدّمة التحقيق، الشيخ قيس العطار: ١٨.
٦. انظر: مقدّمة التحقيق، الشيخ العطار: ١٨-١٩.
٧. مقدّمة التحقيق، الشيخ العطار: ٢٠.
٨. مقدّمة التحقيق، الشيخ العطار: ٢٠-٢١.
٩. بتفصيلٍ وإفٍ ارجع الى الدراسة التي قام بها الشيخ العطار.
١٠. مقدّمة التحقيق، الشيخ العطار: ٢٣.
١١. تجد تحقيق السيد هاشم الميلاني بخلاف ذلك؛ فهو مع اعتماده النسخ القديمة أيضاً إلا أن تحقيقه لم يكن بالمستوى المطلوب، مع اعتباده نسختين متفتحتين معاً.
١٢. وسأرمز لهذه النسخة بـ (سكون).
١٣. نهج البلاغة، ضبط ابن السكون، تحقيق العطار، مقدمة المحقق: ٣٣.
١٤. نفسه: ٣٤-٣٥.



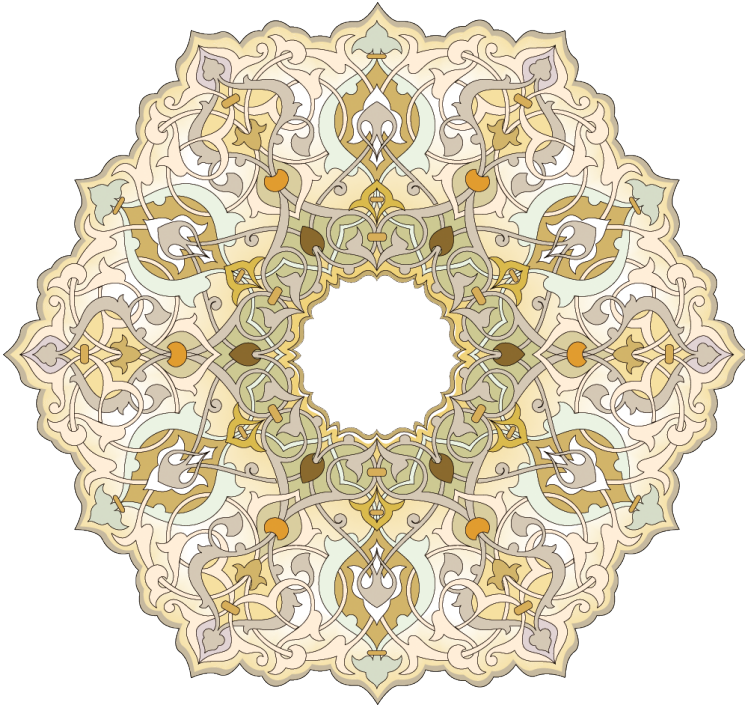
-أ. د. علي عباس الأعرجبي
٣٠. اللسان: ٥ / ٣٤ وما بعدها.
٣١. التاج: ٧ / ٣٢٥.
٣٢. التاج: ٧ / ٣٢٥.
٣٣. انظر: شرح نهج البلاغة: ١ / ١١٤.
٣٤. انظر: معارج نهج البلاغة، البيهقي: ٣٣-٣٤.
٣٥. هذه الرواية (لا لصفته) من مختصات (سكون)، وغير موجودة في (أ)؛ بل كل من ذكرها في كتابه وضمّنها خطبه ذكرها (ليس لصفته). انظر: الكافي: ١ / ١٣٥، ١٣٧، التوحيد للصدوق: ٤٢، الغارات: ١ / ١٧٢، وغيرها كثير.
٣٦. العين: ٧ / ٣٣٠، وانظر: مقاييس اللغة: ١ / ١٦٤.
٣٧. العين: ٧ / ٣٣٠، وانظر: مقاييس اللغة: ١ / ١٦٤.
٣٨. انظر: مغني اللبيب: ١ / ٣٨٧.
٣٩. انظر: الصحاح: ٣ / ٩٧٦.
٤٠. كفانا مؤونة ذلك الأستاذ الدكتور ستار الفتلاوي، أستاذ الدراسات المقارنة، آثار القادسية، في كتابه (فعل الوجود في اللغات السامية)، طبعة دار تمّوز، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.
٤١. كتاب سيبويه: ١ / ٥٩.
٤٢. انظر: مغني اللبيب: ١ / ٣٨٦.
٤٣. انظر: معاني النحو: ٤ / ١٦٣.
٤٤. انظر: التحقيق في كلمات القرآن: ١٠ / ٢٧٣.
٤٥. انظر: التحقيق في كلمات القرآن: ١٠ / ٢٧٣.
٤٦. انظر: فعل الوجود في اللغات السامية: ٢٥.
٤٧. للمزيد في (لا) وأنواعها ينظر: مغني اللبيب: ١ / ٣١٣ وما بعدها.
٤٨. انظر: التطور النحوي: ١١٥.
٤٩. انظر: معارج نهج البلاغة: ٤١.
٥٠. انظر: معارج نهج البلاغة: ٤٢.
٥١. في (أ): ٤٥ وتّد، وفي (سكون): ٦٨ وتّد.
٥٢. انظر: الصحاح: ٢ / ٥٤٧.
٥٣. ينظر: المخصص: ج ٣ ق ٢ / (السفر الحادي عشر): ١٩.
٥٤. ينظر: التحقيق في كلمات القرآن: ١٣ / ١٨.
٥٥. المصدر نفسه.
٥٦. ينظر: مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ١ / ٤٢.
٥٧. النحل: ١٥.
٥٨. الانبياء: ٣١.
٥٩. النبأ: ٧.
٦٠. انظر: صبح الأعشى: ٢ / ٢٤١.
٦١. في ويكيديا: (الجبل): أعلى من ألف قدم يسمى جبلا، و٥٠١ و٩٩٩ يسمى تلاً، وهناك توصيف آخر للجبل في هذا الباب من الموسوعة ذكرته جامعة كامبريدج يعطي أرقاما أكبر، لك النظر فيه.
٦٢. وللمزيد حول الجبال وأثرها، وتوجيه ذلك في كتاب (الإعجاز العلمي في نهج البلاغة)، د. لبيب ييضمون: ٣٠ وما بعدها.
٦٣. في (أ): ٤٥.
٦٤. في (سكون): ٦٨.





تحقيقات لغوية للمختلف من نسخ نهج البلاغة، القسم الأول.....

٦٥. النهاية، ابن الاثير: ٤ / ٣٧٩.
٦٦. اللسان: ٣ / ٤١١.
٦٧. اللسان: ٣ / ٤١٢.
٦٨. التاج: ٥ / ٢٦٦.
٦٩. ينظر: معارج نهج البلاغة: ٤٦.



السنة الثالثة - العدد السابع - ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ رَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ بِالْبَابِ

مَنْ رَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ بِالْبَابِ



b: The date of research delivery to the edition chief.

c: Ramifying the scope of the research when possible.

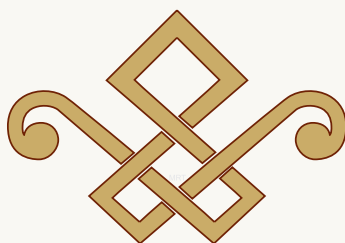
(14) With the researcher is not consented to abort the process of publication for his research after being submitted to the edition board, there should be reasons the edition board convinced of with provision it is to be of two-week period from the submission date.

(15) It is the right of the journal to translate a research paper into other languages without giving notice to the researcher.

(16) You can deliver your research paper to us either via Al- Mubeen journal email:-

Inahj.org@gmail.com, or Al.Mubeen journal building, in this address:

Iraq/ Holy Karbala/ Al.Sadraa street/ behind Ali Akbar shrine(A.S)/ Nahjul Balagha Sciences Foundation.



(9) For the research should never have been taken from a thesis or dissertation or published previously, or submitted to any means of publication; in part the researcher is to make a covenant certifying the abovementioned cases.

(10) Attaching the curriculum vitae, if the researcher cooperates with the journal for the first time.

(11) In the journal do all the published ideas manifest the viewpoints of the researcher himself; it is not necessary to come in line with the issuing vicinity, in time, the research stratification is subject to technical priorities.

(12) All research exposed to confidential revision to state their reliability for publication. No research retrieved to researchers; whether they are approved or not; it takes the procedures below:

a: A researcher should be notified to deliver the meant research for publication in a two-week period maximally from the time of submission.

b: A researcher whose paper approved is to be apprised of the edition chief approval and the eminent date of publication.

c: With the rectifiers reconnoiters some renovations or depth, before publishing, the research are to be retrieved to the researchers to accomplish them for publication.

d: Notifying the researchers whose research papers are not approved; it is not necessary to state the whys and wherefores of the disapproval.

e: A researcher bestowed a version in which the meant research published, and a financial reward.

(13) Taking into consideration some points for the publication priorities, as follows:

a: Research participated in conferences and adjudicated by the issuing vicinity.

Nahjul Balagha Sciences Foundation greats to publish all the original scientific research in Al- Mubeen journal, under the provisos below:

(1) The journal publishes the original scientific articles which adhere to the scientific procedures and the global common standards, and are written either in Arabic or English.

(2) The research should be compatible with the Identity of the journal in the dissemination of competent research of Road of Eloquence (Nahjul Balagha) and the chronicle of Imam Ali (A.S) and his thought in all fields of knowledge.

(3) The author should provide 1 copies of the original article printed on A4 size, together with a CD copy, within 10,000 - 15,000 words in length, using (Simplified Arabic) font in the Arabic researches and (Times New Roman) font in the English researches.

(4) Abstract should be submitted in a separate page written in both Arabic and English, and include the title of the article.

(5) The front page should have; the name of the researcher/ researchers, address, occupation, (English& Arabic), telephone number and email, and taking cognizance of averting a mention of the researcher/ researchers in the context.

(6) Making an allusion to all sources in the endnotes, and taking cognizance of the common scientific procedures in documentation; the title of the book and page number.

(7) Submitting all the attached sources for the marginal notes, in the case of having foreign sources, there should be a bibliography apart from the Arabic one, and such books and research should be arranged alphabetically.

(8) Printing all tables, pictures and portraits on attached papers, and making an allusion to their sources at the bottom of the caption, in time there should be a reference to them in the content.

A decorative circular frame composed of a dark brown outer ring and a lighter brown inner ring. The frame is embellished with four large, ornate scrollwork motifs in dark red and gold, positioned at the top, bottom, left, and right. The top and bottom motifs are symmetrical and feature intricate, swirling lines. The left and right motifs are square knotwork designs, also symmetrical. The text "Publication conditions" is centered within the frame in a dark green, serif font.

Publication conditions

Editors Board

Prof.Dr.Saleh Kadhim Ajeel
Al Gburi/College Of Arts/Babylon
University

Asst.Prof.Dr.Adnan Marid Jebur /
College Of Education For Human
Sciences/Kabala University

Asst.Prof.Dr.Flawayh Khudair Shnee/
College Of Arts/Wasit University

Asst.Prof.Dr.Mohammed Hussein
Aboud Al-Taie/College of Islamic
Sciences
Karbala University

Asst.Prof.Dr.Abd Ali Kadhim Al-
Fatlawi/
College Of Religious Tourism/
Karbala University

Prof.Dr.Hussein Lafta Hafedh/
Kufa Studies Center/Kufa
University

Asst.Prof.Dr. Hassan Hameed
Fayyadh.College Of Basic
Education/Kufa University

Asst.Prof.Dr.Yousif Kadhim
Al-Shammari/College Of Arts/
Babylon University

Asst.Prof.Dr.Muṣṭafa Kadhim
Shgedl/College Of Arts/Baghdad
University

Asst.Prof.Dr.Fahed Naemah Al-
Baidhani/College Of Education For
Human Sciences/
Karbala University

Copy Editors (Arabic)

Asst.Prof.Dr.Layth Qabel Al-
Waeli\ Collage Of Education
For Human Sciences/Karbala
University

Prof.Dr.Muayad Jasim
Mohammed Hussein\Collage
Of Islamic Sciences/Karbala
University

Financial and Management

Zaman Jaafar Kadhim
Ahmed Adnan Al-Muamar

Copy Editors (English)

Hassan Ali Abd AL-Ameer

Design And Production

Ahmed Abbas Mahdi

General Supervisor

Eminent Sheikh. Abdul-Mahdi El-Karbalai
Legal Authority of the holy Al-Hussien shrine

Editor-In-Chief

Seid.Nabeel Qaddoori Hassan Al-Hassani
Chairmen of Nahjul Balagha Sciences Foundation

Managing Editor

Dr.Liwaa Abdul-Hassan Atiyah
General Directorate of Education /Karbala

Secretary Editor

Ali Jasim Mohammed Ali
B.A.Business Sciences Management/Karbala University

Consultation Board

Prof. Dr. Salah Mahdi Al-Fart-
toosi, Kufa University - Iraq

Prof.Dr. Mohammed Jawad
Al-Tureihi.Baghdad University - Iraq

Prof.Dr. Ali Mahdi Zeton, Leba-
nese University- Lebanon

Prof. Dr. Abdul Hadi bin ammar Gilo-
vi, Gafsa University - Tunis

Prof.dr. Hasan Mandeel Al-
Ogaili.Baghdad University
- Iraq

Prof.Dr. Mohammed Hasanain
Al-Naqawy, Bahauddin Zakariya
University - Pakistan

Prof.Dr. Ayad Abdul Huessein
Al-Khafaji, Karbala University-
Iraq

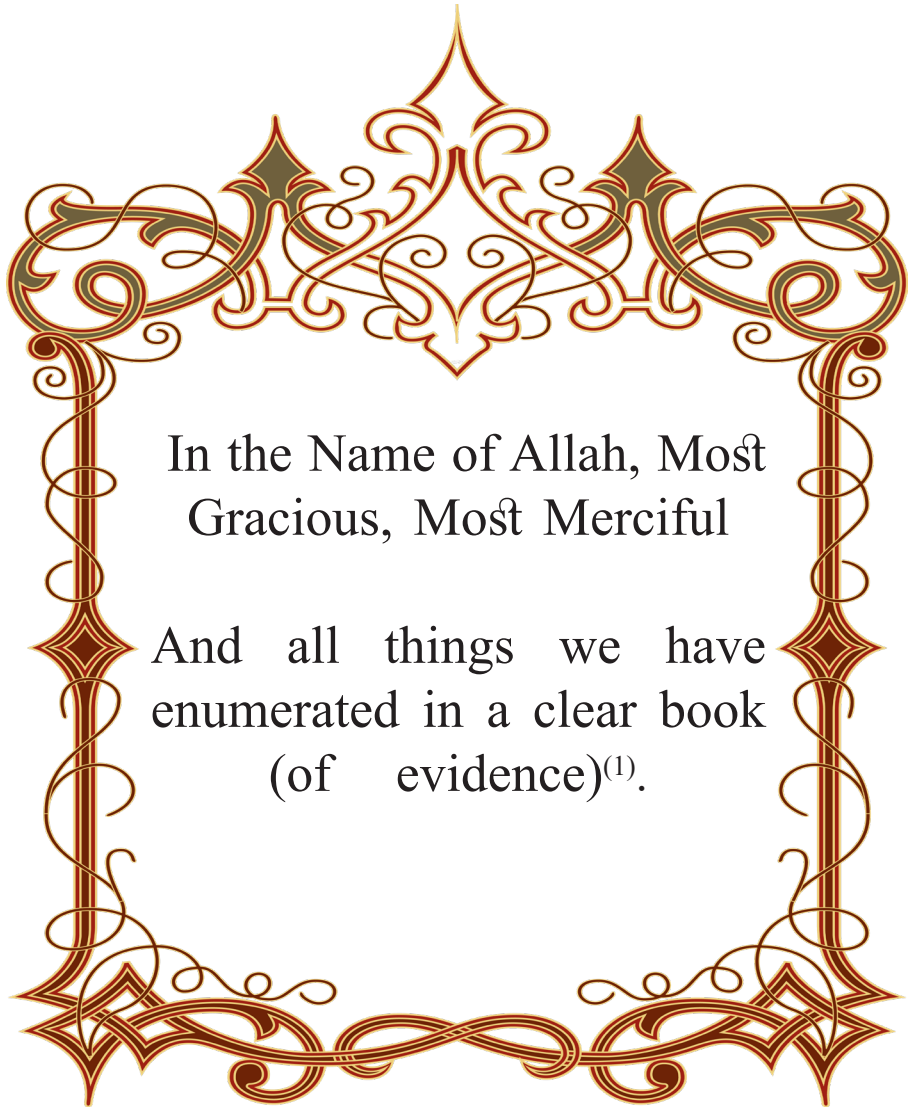
Prof.Dr. Hakim Habeeb AL-Graiti,
kufa University - Iraq

Prof.Dr. Sami Hammood Alhaj
Jassim, Al-mustansiriyah
University - Iraq

Prof.Dr. Najah Fahem Al-Obaidi,
Karbala University - Iraq

Prof.Dr. Jawad Kadhim
Alnasrallah, Basrah University
- Iraq

Assist.prof.dr. Ali Abdul Fatah Alhajj
Farhood,Babylon University - Iraq



In the Name of Allah, Most
Gracious, Most Merciful

And all things we have
enumerated in a clear book
(of evidence)⁽¹⁾.

1- Abodullah Yussif Ali, The
Holy Quran, Text Translation
and Comment,(Kuwait:
That El-salasil,1989) , Iyat
12,Sura, Yasin.

AL-MUBEEN

Quarterly Adjudicated Journal

Concerned with the Sciences of Road of Eloquence
(Nahj Albalagha) and the chronicle of Imam Ali (a.s)
And his thought

Issued By

General Secretariat of the Holy Al-hussien Shrine

Nahjul Balagha Sciences Foundation

Licensed by

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Reliable for Scientific Promotion

Third Year. Seventh Edition\ Shawwal 1439- June 2018